مجموعة مسائل ابن تيمية

مسائل في العقيدة ، تاليف ابن تيمية ، أحمد
ابن عبدالحليم - ٧٢٨ هـ . بخط عبدالمعطي
ابن السيد يوسف علي سنة ١٣٥٨هـ .

١٥٦ ص   ٢٢ س   ٣٤ x ٢٣ سم

نسخة حسنة حديثة ، خطها نسخ حسن .

الاعلام ١: ١٤٠   هدية العارفين ١ : ١٠٥

١- أصول الدين   أ- المولف   ب- الناسخ
جـ- تاريخ النسخ

٢٠

مجموعة مسائل

لابن تيمية .

بسم الله الرحمن الرحيم

مسـئلة ما قولكم في مذهب السلف في الاعتقاد ومذهب غيرهم من المتاخرين؟
ما الصواب منهما وما تنتحلونه انتم من المذهبين؟ وعن اهل الحديث هل هم
اولى بالصواب من غيرهم؟ وهل هم المراد بالفرقة الناجيه؟ وهل حدث بعدهم
علوم جهلوها وعلمها غيرهم؟ وعما تقولون في المنطق وهل من قال انه فرض
كفايه مصيب أم مخطئ؟

الجواب هذه المسائل بسطها يحتمل مجلدات لكن نشير الى المهم منها والله
الموفق قال الله تعالى (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع
غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا) وقد شهد الله
تعالى لاصحاب نبيه صلى الله عليه وسلم ومن تبعهم باحسان بالايمان نعلم قطعا
انهم المراد بالآية الكريمة فقال تعالى (والسابقون الاولون من المهاجرين
والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه واعد لهم جنات
تجري تحتها الانهار[1] خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم) وقال تعالى (لقد رضي الله
عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فانزل السكينة عليهم
واثابهم فتحا قريبا) فحيث تقرر ان من اتبع غير سبيلهم ولاه الله ما تولى واصلاه
جهنم فمن سبيلهم في الاعتقاد الايمان بصفات الله تعالى واسمائه التي وصف
بها نفسه وسمى بها نفسه في كتابه وتنزيله أو على لسان رسوله من غير زيادة
عليها ولا نقص منها ولا تجاوز لها ولا تفسير لها ولا تاويل لها بما يخالف
ظاهرها ولا تشبيه لها بصفات المخلوقين ولا سمات المحدثين بل امروها كما جاءت
وردوا علمها الى قائلها ومعناها الى المتكلم بها وقال بعضهم - ويروى عن
الشافعي - آمنت بما جاء عن الله وبما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
على مراد رسول الله. وعلموا ان المتكلم بها صادق لا شك في صدقه فصدقوه

[1] في الأصل: الأنهار تحتها



ولم يعلموا حقيقة معناها فسكتوا عما لم يعلموه واخذ ذلك الآخر عن الأول ووصى
بعضهم بعضا بحسن الاتباع والوقوف حيث وقف اولهم وحذروا من التجاوز
لهم والعدول عن طريقتهم ومذهبهم ونرجو أن يجعلنا الله تعالى ممن اقتدى
بهم في بيان ما بينوه وسلوك الطريق الذي سلكوه والدليل على ان مذهبهم
ما ذكرناه انهم نقلوا الينا القرآن العظيم واخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم
نقل مصدق لها مؤمن بها قابل لها غير مرتاب فيها ولا شاك في صدق قائلها
ولم يفسروا ما يتعلق بالصفات منها ولا تأولوه ولا شبهوه بصفات المخلوقين
اذ لو فعلوا شيئا من ذلك لنقل عنهم ولم يجز ان يكتم بالكلية اذ لا
يجوز التواطؤ على كتمان ما يحتاج الى نقله ومعرفته لجريان ذلك في القبح
مجرى التواطؤ على نقل الكذب وفعل ما لا يحل بل بلغ من مبالغتهم في السكوت
عن هذا أنهم كانوا اذا رأوا من يسأل عن المتشابه بالغوا في كفه تارة بالقول
العنيف وتارة بالضرب وتارة بالاعراض الدال على شدة الكراهة لمسألته
ولذلك لما بلغ عمر رضي الله عنه ان صبيغا يسأل عن المتشابه اعد له عراجين
النخل فبينا عمر يخطب قام فسأله عن الذاريات ذروا فالحاملات وقرا وما
بعدها فنزل عمر فقال لو وجدتك محلوقا[1] لضربت الذي فيه عيناك بالسيف
ثم امر به فضرب ضربا شديدا وبعث به الى البصرة وأمرهم ان لا يجالسوه
فكان بها كالبعير الاجرب لا يأتي مجلسا الا قالوا عزمة امير المؤمنين[2]
فتفرقوا عنه حتى تاب وحلف بالله ما بقي يجد مما كان في نفسه شيئا فاذن
عمر في مجالسته فلما خرجت الخوارج أتي فقيل له هذا وقتك فقال لا ، نفعتني
موعظة العبد الصالح[1] ولما سئل مالك بن أنس رحمه الله تعالى فقيل له يا أبا
عبد الله : الرحمن على العرش استوى كيف استوى ؟ فاطرق مالك وعلاه
الرحضاء يعني العرق وانتظر القوم ما يجيء منه فيه فرفع رأسه اليه وقال

(وبينوا لنا سبيلهم الاصح اسل)

[1] يعني محلوق الرأس وكان ذلك سيما الخوارج كما جاء الحديث فيهم «سيماهم التحليق»

[2] يعني عمر [illegible] عزم علينا الا [illegible] صبيغا آمرا لنا [illegible]

[1] يعني عمر بن الخطاب رضي الله عنه

الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول والايمان به واجب والسؤال عنه
بدعه ، وأحسبك رجل سوء وأمر به فأخرج ومن أول الاستواء بالاستيلاء
فقد اجاب بغير ما اجاب به مالك وسلك غير سبيله وهذا الجواب من مالك
رحمه الله في الاستواء شاف كاف في جميع الصفات مثل النزول والمجيء واليد
والوجه وغيرها فيقال في مثل النزول النزول معلوم والكيف مجهول والايمان
به واجب والسؤال عنه بدعه وهكذا يقال في سائر الصفات إذ هي بمثابة
الاستواء الوارد به الكتاب والسنة وثبت عن محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة
انه قال : اتفق الفقهاء كلهم من الشرق والغرب على الايمان بالقرآن والأحاديث
التي جاء بها الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في صفة الرب عز وجل
من غير تفسير[1] ولا وصف ولا تشبيه فمن فسر[1] شيئا من ذلك فقد خرج
مما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وفارق الجماعة فانهم لم يصفوا ولم يفسروا[1]
ولكن آمنوا بما في الكتاب والسنة ثم سكتوا فمن قال بقول جهم فقد فارق
الجماعة انتهى . فانظر رحمك الله الى هذا الامام كيف حكى الاجماع في هذه
المسألة ولا خير فيما خرج عن اجماعهم ولو لزم التجسيم من السكوت عن
تأويلها لفروا منه وأولوا ذلك فانهم اعرف الامة بما يجوز على الله وما يمتنع
عليه وثبت عن اسمعيل بن عبد الرحمن الصابوني انه قال : إن اصحاب الحديث
المتمسكين بالكتاب والسنة يعرفون ربهم تبارك وتعالى بصفاته التي
نطق بها كتابه وتنزيله وشهد له بها رسوله على ما وردت به الأخبار الصحاح
ونقله العدول الثقات ولا يعتقدون تشبيها لصفاته بصفات خلقه ولا
يكيفونها تكييف المشبه ولا يحرفون الكلم عن مواضعه تحريف المعتزله
والجهمية وقد اعاذ الله اهل السنة من التحريف والتكييف ومن عليهم
بالتفهيم والتعريف حتى سلكوا سبيل التوحيد والتنزيه وتركوا القول

[1] يريد تحريف الجهمية الذي يسمونه تفسيرا

بالتعطيل والتشبيه واكتفوا بنفي النقائص بقوله عز من قائل (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) وبقوله تعالى (ولم يكن له كفوا احد) وقال سعيد بن جبير ما لم يعرفه البدريون فليس من الدين وثبت عن الربيع ابن سليمان قال سألت الشافعي رحمه الله تعالى عن صفات الله تعالى فقال: حرام على العقول ان تمثل الله تعالى ، وعلى الأوهام ان تحده ، وعلى الظنون ان تقطع وعلى النفوس ان تفكر ، وعلى الضمائر أن تعمق وعلى الخواطر أن تحيط وعلى العقول ان تعقل الا ما وصف نفسه او على لسان نبيه عليه السلام وثبت عن الحسن البصري انه قال: لقد تكلم مطرف على هذه الاعواد بكلام ما قيل قبله ولا يقال بعده قالوا وما هو يا ابا سعيد قال: الحمد لله الذي من الايمان به الجهل بغير ما وصف به نفسه . وقال سحنون من العلم بالله السكوت عن غير ما وصف به نفسه وثبت عن الحميدي أبي بكر عبد الله ابن الزبير: انه قال اصول السنة — فذكر اشياء — ثم قال: وما نطق به القرآن والحديث مثل (وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم) ومثل (والسموات مطويات بيمينه) وما اشبه هذا من القرآن والحديث لا نزيد فيه ولا نفسره ونقف على ما وقف عليه القرآن والسنة — ونقول: الرحمن على العرش استوى ومن زعم غير هذا فهو جهمي .

فمذهب السلف رضوان الله عليهم اثبات الصفات واجراؤها على ظاهرها ونفي الكيفية عنها لان الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات واثبات الذات اثبات وجود لا اثبات كيفية فكذلك اثبات الصفات وعلى هذا معنى [كلام] السلف كلهم ولو ذهبنا نذكر ما اطلعنا عليه من كلام السلف في ذلك لخرجنا عن المقصود في هذا الجواب .

فمن كان قصده الحق واظهار الصواب اكتفى بما قدمناه ومن كان قصده

الجدال والقيل والقال والمكابرة لم يزده التطويل الا الخروج عن سواء السبيل والله الموفق . وقد ثبت ما ادعيناه من مذهب السلف رضوان الله عليهم بما نقلناه جملة عنهم وتفصيلا واعتراف العلماء من اهل النقل كلهم بذلك ولم اعلم عن احد منهم خلافا في هذه المسألة بل قد بلغني عمن ذهب الى التأويل لهذه الايات والاخبار من اكابرهم الاعتراف بان مذهب السلف فيها ما نقلناه ، ورأيت لبعض شيوخهم في كتابه قال اختلف اصحابنا في أخبار الصفات فمنهم من أمرها كما جاءت من غير تفسير ولا تأويل مع نفي التشبيه عنها وهو مذهب السلف فحصل الاجماع على صحة ما ذكرناه بقول المنازع والحمد لله . وما أحسن ما جاء عن عبد العزيز بن عبد الله بن ابي سلمة انه قال عليك بلزوم السنة فانها لك باذن الله عصمة فان السنة انما جعلت ليستن بها ويقتصر عليها وانما سنها من قد علم ما في خلافها من الزلل والخطأ والحمق والتعمق فارض لنفسك بما رضوا به لانفسهم فانهم عن علم وقفوا وببصر نافذ كفوا ولهم كانوا على كشفها أقوى وبتفصيلها لو كان فيها احرى ، وانهم لهم السابقون وقد بلغهم عن نبيهم ما يجري من الاختلاف بعد القرون الثلاثة فلئن كان الهدي ما انتم عليه لقد سبقتموهم اليه ولئن قلتم حدث حدث بعدهم فما احدثه الا من اتبع غير سبيلهم ورغب بنفسه عنهم واختار ما نحته فكره على ما تلقوه عن نبيهم وتلقاه عنهم من تبعهم باحسان ولقد وصفوا منه ما يكفي وتكلموا منه بما يشفي فمن دونهم مقصر ومن فوقهم مُفْرِط لقد قصر دونهم أناس فجفوا وطمح آخرون فغلوا وانهم فيما بين ذلك لعلى هدى مستقيم

قلناه

الشهير بالماجشون



فصل واما كونهم اعلم ممن بعدهم واحكم وأن مخالفهم أحق بالجهل والحشو ونبين ذلك بالقياس المعقول من غير احتجاج بنفس الإيمان بالرسول كما قال الله تعالى (سنريهم اياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق) فأخبر

انه سيُري الآيات المرئية المشهودة حتى يتبين أن القرآن حق ثم قال (اولم يكف ربك انه على كل شيء شهيد) [فاكتفى] بأخبار الله فى القرآن وشهادته بذلك .

فنقول من المعلوم أن اهل الحديث يشاركون كل طائفة فيما يتحلون به من صفات الكمال ويمتازون عنهم بما ليس عندهم فان المنازع لهم لابد أن يذكر فيما يخالفهم فيه طريقا أخرى مثل المعقول والقياس والرأي والكلام والنظر والاستدلال والمحاجة والمجادلة والمكاشفة والمخاطبة والوجد والذوق ونحو ذلك وكل هذه الطرق ، لاهل الحديث صفوتها وخلاصتها فهم اكمل الناس عقلا واعدلهم قياسًا ، وأصوبهم رأيا ، وأسدهم كلاما ، وأصحهم نظرًا ، وأهداهم استدلالاً ، وأقومهم جدلاً ، وأتمهم فراسة ، وأصدقهم الهاما ، وأحدهم بصرًا ومكاشفة ، وأصوبهم سمعا ومخاطبة ، وأعظمهم وأحسنهم وجدًا وذوقا وهذا هو للمسلمين بالنسبة الى سائر الأمم ولاهل السنة والحديث بالنسبة الى سائر الملل[1] فكل من استقرأ احوال العالم وجد المسلمين أحدّ واسد عقلا وأنهم ينالون فى المدة اليسيرة من حقائق العلوم والاعمال اضعاف ما يناله غيرهم فى قرون واجيال وكذلك اهل السنة والحديث تجدهم كذلك ممتعين وذلك لان اعتقاد الحق الثابت يقوي الادراك ويصححه قال تعالى (والذين اهتدوا زادهم هدى) وقال (ولو انهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرًا لهم وأشد تثبيتا وإذًا لآتيناهم من لدنا أجرًا عظيما ولهديناهم صراطا مستقيما) وهذا يعلم تارة بموارد النزاع بينهم وبين غيرهم فلا تجد مسألة خولفوا فيها الا وقد تبين أن الحق معهم وتارة باقرار مخالفيهم ورجوعهم اليهم دون رجوعهم الى غيرهم او بشهادتهم على مخالفيهم بالضلال والجهل وتارة بشهادة المؤمنين الذين هم شهداء

[1] يريد الفرق والاديان

الله فى الارض وتارة بان كل طائفة تعتصم بهم فيما خالفت فيه الاخرى وتشهد بالضلال على كل من خالفها اعظم مما تشهد به عليهم .

فاما شهادة المؤمنين الذين هم شهداء الله فى الارض فهذا أمر ظاهر معلوم بالحس والتواتر لكل من سمع كلام المسلمين لا تجد فى الامة عُظّم أحد تعظيما أعظم مما عظموا به ولا تجد غيرهم يُعظَّم الا بقدر ما وافقهم فيه كما لا يُنقَص الا بقدر ما خالفهم حتى انك تجد المخالفين لهم كلهم وقت الحقيقة[1] يقر بذلك كما قال الامام احمد : آية ما بيننا وبينهم يوم الجنائز ، فان الحياة بسبب اشتراك الناس فى المعاش يعظم الرجل طائفته فاما وقت الموت فلا بد من الاعتراف بالحق من عموم الخلق ولهذا لم يعرف فى الاسلام مثل جنازته ، مسح المتوكل[2] موضع الصلاة عليه فوجد ألف ألف وستمائة ألف سوى من صلى فى الخانات والبيوت واسلم يومئذ من اليهود والنصارى عشرون الفا وهو انما نَبُلَ[3] عند الامة باتباع الحديث والسنة وكذلك الشافعي واسحق وغيرهما انما نبلوا فى الاسلام باتباع اهل الحديث والسنة وكذلك البخاري وامثاله انما نبلوا بذلك وكذلك مالك والاوزاعي والثوري وابو حنيفة وغيرهم انما نبلوا فى عموم الامة وقبل قولهم لما وافقوا فيه الحديث والسنة وما تكلم فيمن تكلم فيه منهم الا بسبب المواضع التى لم يتفق له متابعتها من الحديث والسنة اما لعدم بلاغها اياه أو لاعتقاده ضعف دلالتها او رجحان غيرها عليها .

وكذلك المسائل الاعتقادية الخبرية لم يَنْبُل احد من الطوائف ورؤسهم عند الأمة الا بما معه من الاثبات والسنة فالمعتزلة اولاهم فرسان الكلام انما يحمدون ويعظمون عند اتباعهم وعند من يُغضي عن مساويهم لاجل محاسنهم من المسلمين بما وافقوا فيه مذهب اهل الاثبات والسنة والحديث وردهم على الرافضة بعض ما خرجوا فيه عن السنة والحديث من امامة الخلفاء وعدالة

[1] يعني يوم الوفاة والموت الذي به تظهر الحقيقة

[2] المتوكل على الله الخليفة العباسي جعفر بن المعتصم بن الرشيد خلافته ٢٣٢ - ٢٤٧ قتله ولده المنتصر ٢٤٧

[3] من النبل وهو العظمة

الصحابة وقبول الاخبار وتحريف الكلم عن مواضعه والغلو في علي ونحو ذلك .
وكذلك الشيعة المتقدمون كانوا يرجحون على المعتزلة بما خالفوهم فيه من
اثبات الصفات والقدر والشفاعة ونحو ذلك ، وكذلك كانوا يستحمدون
بما خالفوا فيه الخوارج من تكفير علي وعثمان وغيرهما ، وما كفروا به المسلمين من
الذنوب ويستحمدون بما خالفوا فيه المرجئة من ادخال الواجبات[١] في الايمان ولهذا
قالوا بالمنزلة وان لم يهتدوا الى السنة المحضة .
وكذلك متكلمة أهل الاثبات مثل الكلابية والكرامية والاشعريه انما قبلوا
واتبعوا واستحمدوا الى عموم الامة بما اثبتوه من اصول الايمان من اثبات الصانع
وصفاته واثبات النبوة والرد على الكفار من المشركين واهل الكتاب وبيان
تناقض حججهم . وكذلك استحمدوا بما ردوه على الجهمية والمعتزله والرافضة
والقدريه من انواع المقالات التي يخالفون فيها أهل السنة والجماعة فحسناتهم
نوعان : إما موافقة اهل السنة والحديث ، واما الرد على من خالف السنة
والحديث ببيان تناقض حججهم ولم يتبع أحد مذهب الاشعري ونحوه الا
لاحد هذين الوصفين او كلاهما وكل من أحبه وانتصر له من المسلمين
وعلمائهم فانما يحبه وينتصر له بذلك فالمصنف في مناقبه الدافع للطعن
واللعن عنه كالبيهقي والقشيري ابي القاسم وابن عساكر الدمشقي انما
يحتجون لذلك بما يقوله من اقوال اهل السنة والحديث أو بما رده من أقوال
مخالفيهم لا يحتجون له عند الامة وعلمائها وأمرائها الا بهذين الوصفين ،
ولولا أنه كان من أقرب بني جنسه الى ذلك لألحقوه بطبقته الذين لم
يكونوا كذلك كشيخه الاول ابي علي ورفيقه ابي هاشم لكن كان له من
موافقة مذهب السنة والحديث في الصفات والقدر والامامة والفضائل
والشفاعة والحوض والصراط والميزان ، وله من الردود على المعتزله والقدرية

[١] لا الصلاة [illegible]

والرافضة والجهمية وبيان تناقضهم ما اوجب ان يمتاز بذلك عن اولئك
ويعرف له حقه وقدره فقد جعل الله لكل شيء قدرا .
وبما وافق فيه السنة والحديث صار له من القبول والاتباع ما صار لكن الموافقة
التي فيها قهر المخالف واظهار فساد قوله هي من جنس المجاهد المنتصر فالراد على
اهل البدع مجاهد حتى كان يحيي بن يحيي يقول الذب عن السنة افضل من الجهاد
والمجاهد قد يكون عدلا في سياسته وقد لا يكون ، وقد يكون فيه فجور كما قال
النبي صلى الله عليه وسلم « إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وباقوام
لا خلاق لهم » ولهذا مضت السنة بان يغزى مع كل أمير برا كان أو فاجرا
والجهاد عمل مشكور لصاحبه في الظاهر لا محالة وهو مع النية الحسنة مشكور
باطنا وظاهرا ووجه شكره نصره للسنة والدين ، فهكذا المنتصر للاسلام والسنة
يشكر على ذلك من هذا الوجه ، فحمد الرجال عند الله ورسوله وعباده المؤمنين
بحسب ما وافقوا فيه دين الله وسنته وشرعه من جميع الأصناف ، اذ الحمد انما
يكون على الحسنات والحسنات ما وافقت طاعة الله ورسوله من التصديق بخبر الله
والطاعة لامره وهذا هو السنة ، فالخير كله باتفاق الامة هو فيما جاء به الرسول صلى الله
عليه وسلم وكذلك ما يذم من يذم من المنحرفين عن السنة والشريعة وطاعة الله
ورسوله الا بمخالفة ذلك ومن تكلم فيه من العلماء والامراء وغيرهم انما تكلم فيه
اهل الايمان بمخالفته السنة والشريعة ، وبهذا ذم السلف والائمة لاهل
الكلام والمتكلمين الصفاتيه كابن كرام وابن كلاب والاشعري وما تكلم فيه من
تكلم من أعيان الامة وأئمتها المقبولين فيها من جميع طوائف الفقهاء واهل الحديث
والصوفية الا بما يقولون انهم خالفوا فيه السنة والحديث لخفائه عليهم أو لاعراضهم
عنه او لاقتضاء اصل قياس مهدوه رد[١] ذلك كما يقع نحو ذلك في المسائل العلمية[٢]
فان مخالفة المسلم الصحيح الايمان النص انما يكون لعدم علمه به او لاعتقاده صحة ما

[١] يعني انهم قد يمهدون قياسا فيقتضي طرده ان يرد شيئا من السنة فلذلك يتكلم فيهم الذاب عن السنة ويبين فساد هذا القياس المخالف للسنة اهـ
[٢] كذا وصوابها العملية يعني ان مخالفته للسنة لطرد قياس فاسد يقع في المسائل العلمية كما يقع في المسائل العملية الفقهية

عارضه لكن هو فيما ظهر من السنة وعظم أمره يقع بتفريط من المخالف وعدوان فيستحق من الذم ما لا يستحقه فى النص الخفى وكذلك فيما يوقع الفرقه والاختلاف يعظم امر المخالفة للسنة ، ولهذا اهتم كثير من الملوك والعلماء بأمر الاسلام وجهاد أعدائه حتى صاروا يلعنون الرافضة والجهميه وغيرهم على المنابر حتى لعنوا كل طائفة رأوا فيها بدعة فلعنوا الكلابيه والأشعريه كما كان فى مملكه الأمير محمود بن سبكتكين وفى دولة السلاجقة ابتداء ، وكذلك الخليفة القادر ربما اهتم بذلك واستتاب المعتزلة من الفقها ورفعوا اليه امر القاضى ابى بكر ونحوه وهو ابه حتى كان يختفى وانما تستر بمذهب الأمام احمد وموافقته ثم ولي النظام وسعوا فى رفع اللعنة واستفتوا من استفتوه من فقهاء العراق كالدامغانى الحنفى وابى إسحق الشيرازى وفتواهما حجة على من بخراسان من الحنفية والشافعيه وقد قيل إن ابا اسحق استعفى من ذلك فالزموه وافتوا بأنه لا يجوز لعنهم ويعزر من يلعنهم وعلل الدامغانى بانهم طائفة من المسلمين وعلل ابو اسحق مع ذلك بان لهم ذبا وردًا على اهل البدع المخالفين للسنة فلم يمكن المفتي ان يعلل رفع الذم الا بموافقته السنة والحديث .

وكذلك رأيت فى فتاوى الفقيه ابى محمد فتوى طويلة فيها اشياء حسنة وقد سئل عن مسائل متعددة قال فيها ولا يجوز شغل المساجد بالغناء والرقص ومخالطة المرد ويعزر فاعله تعزيرًا بليغا رادعًا واما لبس الحلق والدمالج والسلاسل والاغلال والتختم بالحديد والنحاس فبدعة وشهرة وشر الأمور محدثاتها وهى لهم فى الدنيا وهى لباس اهل النار وهى لهم فى الاخرة ان ماتوا على ذلك ولا يجوز السجود لغير الله من الاحياء والاموات ولا تقبيل القبور ويعزر فاعله ومن لعن احدًا من المسلمين عزر على ذلك تعزيرًا بليغا والمؤمن لا يكون لعانا وما قربه من عود اللعنة عليه قال ولا تحل الصلاة عند القبور

١ يعنى مخالفة النص

٢ يريد ان مخالف النص الجلى مفرط معتد مذموم اكثر من مخالف النص الخفى .

٣ له ترجمة فى البداية والنهاية وغيرها من التواريخ ج ١٢ ص ٢٩

٤ هو ابو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام مات ٦٦٠ه

ولا المشي عليها مع الرجال والنساء ولا تعمل مساجد للصلاة فانه « اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد » قال واما لعن العلماء الأئمة الاشعرية فمن لعنهم عزر وعادت اللعنة عليه فمن لعن من ليس اهلا للعنة وقعت اللعنة عليه والعلماء انصار فروع الدين والاشعريه انصار اصول قال واما دخولهم النيران فمن لا يتمسك بالقرآن فانه فتنة لهم ومضلة لمن يراهم كما يفتتن الناس بما يظهر على يدي الدجال فانه من ظهر على يديه كرامة ومن لم يكن على الاستقامة كان ذلك فتنة كما يظهر على يدي الدجال من احياء الميت وما من جنته وناره فان الله يضل من لا خلاق له بما يظهر على يدي هؤلاء واما من تمسك بالشرع الشريف فانه لو رأى من هؤلاء من يطير فى الهواء او يمشي على الماء فانه يعلم ان ذلك فتنة للعباد انتهى .

فالفقيه ابو محمد ايضا انما منع اللعن وامر بتعزير اللاعن لاجل ما نصروه من أصول الدين وهو ما ذكرناه من موافقة القرآن والسنة والحديث والرد على من خالف القرآن والسنة والحديث ولهذا كان الشيخ ابو اسحق يقول انما نفقت الاشعرية عند الناس بانتسابهم الى الحنابلة وهذا ظاهر عليه وعلى أئمة اصحابه فى كتبهم ومصنفاتهم قبل وقوع الفتنة القشيرية ببغداد ولهذا قال ابو القاسم ابن عساكر فى مناقبه مازالت الحنابلة والاشاعرة فى قديم الدهر متفقين غير مفترقين حتى حدثت فتنة ابن القشيرى . ثم بعد حدوث الفتنة وقبلها لا تجد من يمدح الاشعري بمدحة الا اذا وافق السنة والحديث ولا يذمه من يذمه الا بمخالفة السنة والحديث وهذا اجماع من جميع هذه الطوائف على تعظيم السنة والحديث واتفاق شهاداتهم على ان الحق فى ذلك ولهذا تجد اعظمهم موافقة لأئمة السنة والحديث اعظم عند جميعهم ممن هو دونه فالاشعري نفسه لما كان اقرب الى قول الامام احمد ومن قبله من أئمة السنة كان عندهم اعظم من أتباعه والقاضى ابو بكر بن الباقلانى لما كان أقربهم الى ذلك كان اعظم عندهم من غيره واما مثل الاستاذ ابي المعالي

خارقة فانه يجوز ان يظهر [illegible] على يد [illegible] على الاستقامة [illegible]

يظهر

وابي حامد ونحوهما ممن خالفوا اصوله فى مواضع فلا تجدهم يُعظمون الا بما وافقوا فيه
السنة والحديث واكثر ذلك تقلدوه من مذهب الشافعى فى الفقه الموافق للسنة
والحديث وبما ذكروه فى الأصول مما يوافق السنة والحديث وما ردُّوه مما يخالف السنة
والحديث وبهذا القدر ينتحلون السنة وينحلونها والا لم يصح ذلك .
وكانت الرافضة والقرامطة علماؤها وامراؤها قد استظهرت فى اوائل الدولة
السلجوقية حتى غلبت على الشام والعراق وأخرجت الخليفة القائم ببغداد
الى تكريت وحبسوه بها فى فتنة البساسيري المشهورة فجاءت بعد ذلك السلجوقيه
حتى هزموهم وفتحوا الشام والعراق وقهروهم بخراسان وحجروهم بمصر وكان فى وقتهم من
الوزراء مثل نظام الملك ومن العلماء مثل أبى المعالى فصاروا بما يقيمونه من السنة
ويردونه من بدعة هؤلاء ونحوهم لهم من المكانة عند الامة بحسب ذلك .
وكذلك المتأخرون من اصحاب مالك الذين وافقوه كابى الوليد الباجى والقاضي
ابى بكر بن العربي ونحوهما لا يُعظَّمون الا بموافقة السنة والحديث وأما الأكابر مثل
ابن حبيب وابن سحنون ونحوهما فلون آخر .
وكذلك ابو محمد بن حزم فيما صنفه من الملل والنحل انما يُستحمد بموافقة السنة
والحديث مثل ما ذكره فى مسائل القَدَر والارجاء ونحو ذلك بخلاف ما انفرد به من
قوله فى التفضيل بين الصحابة وكذلك ما ذكره فى باب الصفات فانه يُستحمد
فيه بموافقة أهل السنة والحديث لكونه يثبت الأحاديث الصحيحة ويعظم
السلف وأئمة الحديث ويقول انه موافق للامام احمد فى مسألة القرآن وغيرها
ولا ريب انه موافق له ولهم فى بعض ذلك لكن الاشعري ونحوه اعظم موافقة للامام
احمد بن حنبل ومن قبله من الأئمة فى القرآن والصفات وان كان أبو محمد فى
مسائل الإيمان والقدر اقوم من غيره وان كان اعلم بالحديث واكثر تعظيما له ولاهله
من غيره لكن قد كان خالط من أقوال الفلاسفة والمعتزلة فى مسائل الصفات ما صرفه

عن موافقة اهل الحديث فى معانى مذهبهم فى ذلك فوافق هؤلاء[١] فى اللفظ وهؤلاء[٢] فى المعنى
وبمثل هذا صار يذمه من يذمه من الفقهاء والمتكلمين وعلماء الحديث باتباعه لظاهر
لا باطن [له] كما نفى المعانى[٣] فى الامر والنهى والاشتقاق وكما نفى خرق العادات ونحوه
من عبادات القلوب مضموما الى ما فى كلامه من الوقيعه فى الاكابر والاسراف فى
نفى المعانى[٤] ودعوى متابعة الظواهر وان كان له من الايمان والدين والعلوم الواسعة
الكثيرة ما لا يدفعه الا مكابر ، ويوجد فى كتبه من كثرة الاطلاع على الاقوال
والمعرفة بالاحوال والتعظيم لدعائم الاسلام ولجانب الرسالة ما لا يجتمع مثل
ذلك لغيره فالمسألة التى يكون فيها حديث يكون جانبه فيها ظاهر الترجيح وله من التمييز
بين الصحيح والضعيف والمعرفة باقوال السلف ما لا يكاد يقع مثله لغيره من الفقهاء .
وتعظيم أئمة الامة وعمومها للسنة والحديث واهله فى الاصول والفروع من
الاقوال والاعمال اكثر من ان يذكر هنا . وتجد الاسلام والايمان كلما ظهر وقوي
كانت السنة واهلها اظهر واقوى وان ظهر شئ من الكفر والنفاق ظهرت
البدع بحسب ذلك مثل دولة المهدي والرشيد ونحوهما ممن كان يعظم الاسلام
والايمان ويغزو أعداءه من الكفار والمنافقين كان اهل السنة فى تلك الأيام أقوى
واكثر واهل البدع اذل واقل فان المهدى قتل من المنافقين الزنادقه من لا يحصى
عدده الا الله ، والرشيد كان كثير الغزو والحج وذلك أنه لما انتشرت الدولة
العباسية وكان فى انصارها من اهل المشرق والاعاجم طوائف من الذين نعتهم
النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال « الفتنة هٰهنا » ظهر حينئذ كثير من البدع
وعربت ايضا اذ ذاك طائفة من كتب الاعاجم من المجوس الفرس والصابئين
الروم والمشركين الهند وكان المهدي من خيار خلفاء بنى العباس وأحسنهم ايمانا
وعدلا وجوداً صار يتتبع المنافقين الزنادقة كذلك وكان خلفاء بنى العباس
احسن تعاهداً للصلوات فى اوقاتها من بنى امية فان اولئك كانوا كثيري

١ أي اهل الحديث ٢ أي الفلاسفة

٣ أي الحكم والقياس والعلل وتعدية الحكم والاشتقاقات ما علق به الحكم

٤ الحكم والتعليل

الاضاعة لمواقيت الصلاة كما جاءت فيهم الاحاديث « انه سيكون بعدى امراء يؤخرون الصلاة عن وقتها فصلوا الصلاة لوقتها واجعلوا صلاتكم معهم نافلة » لكن كانت البدع فى القرون الثلاثة الفاضلة مقموعة وكانت الشريعة اعز واظهر وكان القيام بجهاد اعداء الدين من الكافرين والمنافقين اعظم . وفى دولة ابى العباس المأمون ظهرت الخرمية ونحوهم من المنافقين وعربت من كتب الاوائل المجلوبة من بلاد الروم ما انتشر بسببه مقالات الصابئين وراسل ملوك المشركين من الهند ونحوهم حتى صارت بينهما مودة فلما ظهر ما ظهر من الكفر والنفاق فى المسلمين وقوى ما قوى من حال المشركين واهل الكتاب كان ذلك ما ظهر من استيلاء الجهمية والرافضة وغيرهم من اهل الضلال وتقريب الصابئة ونحوهم من المتفلسفة وذلك بنوع رأي يحسبه صاحبه عقلا وعدلا وانما هو جهل وظلم اذ التسوية بين المؤمن والمنافق والمسلم والكافر اعظم الظلم وطلب الهدى عند اهل الضلال أعظم الجهل فتولد من ذلك محنة الجهمية حتى امتحنت الامة بنفي الصفات والتكذيب بكلام الله ورؤيته وجرى من محنة الامام احمد وغيره ما جرى مما يطول وصفه . وكان فى ايام المتوكل قد عز الاسلام حتى الزم اهل الذمه بالشروط العمرية والزموا الصغار فعزت السنة والجماعة وقمعت الجهميه والرافضه ونحوهم وكذلك فى أيام المعتضد والمهدي والقادر وغيرهم من الخلفاء الذين كانوا احمد سيرة وأحسن طريقة من غيرهم وكان الاسلام فى زمنهم أعز كانت السنة بحسب ذلك . وفى دولة بنى بويه ونحوهم الامر بالعكس فانهم كان فيهم اصناف المذاهب المذمومة قوم منهم زنادقة وفيهم قرامطه كثيرة ومتفلسفة ومعتزلة ورافضة وهذه الاشياء كثيرة فيهم غالبة عليهم فحصل فى الاسلام والسنة فى ايامهم من الوهن ما لم يعرف حتى استولى النصارى على ثغور الاسلام وانتشرت القرامطة فى ارض مصر والمغرب والمشرق وغير ذلك وجرت حوادث كثيرة .

العمرية

ولما كانت مملكة محمود بن سبكتكين من احسن ممالك بنى جنسه كان الاسلام والسنة فى مملكته أعز فانه غزا المشركين من اهل الهند ونشر من العدل ما لم ينشره مثله فكانت السنة فى ايامه ظاهرة والبدع فى ايامه مقموعه .

وكذلك السلطان نور الدين محمود الذى كان بالشام عز الاسلام والسنة فى زمنه واذل الكفار واهل البدع ممن كان بالشام ومصر وغيرهما من الرافضه والجهميه ونحوهم وكذلك ما كان فى زمنه من خلافة بنى العباس ووزارة ابن هبيرة لهم فانه كان من امثل وزراء الاسلام ولهذا كان له من العناية بالاسلام والحديث ما ليس لغيره .

وما يوجد من اقرار أئمة الكلام والفلسفة وشهادتهم على انفسهم وعلى بنى جنسهم بالضلال ومن شهادة أئمة الكلام والفلسفة بعضهم على بعض فاكثر من ان يحتمله هذا الموضع . وكذلك ما يوجد من رجوع أئمتهم الى مذهب عموم اهل السنة وعجائزهم كثير ، وائمة السنة والحديث لا يرجع منهم احد « لان الايمان اذا خالط بشاشته القلوب لا يسخطه أحد » وكذلك ما يوجد من شهادتهم لاهل الحديث بالسلامة والخلاص من أنواع الضلال وهم لا يشهدون لاهل البدع الا بالضلال وهذا باب واسع كما قدمناه .

كان فى الاصل المقابلة

وجميع الطوائف المتقابلة من اهل الاهواء تشهد لهم بأنهم اصلح من الآخرين وأقرب الى الحق فنجد كلام اهل النحل فيهم وحالهم بمنزلة كلام اهل الملل مع المسلمين وحالهم معهم . واذا قابلنا بين الطائفتين اهل الحديث ، واهل الكلام فالذي يعيب بعض اهل الحديث وأهل الجماعه بحشو القول انما يعيبهم بقلة المعرفة او بقلة الفهم ، أما الاول فان يحتجوا باحاديث ضعيفة وموضوعة وآثار لا تصلح للاحتجاج ، واما الثانى فان لا يفهموا معنى الاحاديث الصحيحة بل قد يقولون القولين المتناقضين ولا يهتدون للخروج من ذلك والامر راجع الى شيئين اما زيادة أقوال غير مفيدة تظن أنها مفيدة كالاحاديث الموضوعة واما أقوال مفيدة لكنهم لا يفهمونها اذ كان اتباع الحديث يحتاج (أولا) الى صحة الحديث (وثانيا) الى فهم معناه كاتباع

معهم

القرآن فالخلل يدخل عليهم من ترك احدى المقدمتين[١] ومن عابهم من الناس انما يعيبهم
بهذا ولا ريب ان هذا موجود فى بعضهم يحتجون باحاديث موضوعة فى مسائل
الأصول والفروع وبآثار مفتعلة وحكايات غير صحيحة ويذكرون من القرآن والحديث
مالا يفهمون معناه وربما تأولوه على غير تأويله ووضعوه على غير موضوعه ، ثم انهم بهذا
المنقول الضعيف والمعقول السخيف قد يكفرون ويُضللون ويُبدّعون أقواما من
اعيان الامة ويُجهلون ، ففى بعضهم من التفريط فى الحق والتعدى على الخلق ما قد
يكون بعضه خطأ مغفورا ، وقد يكون منكرا من القول وزورا وقد يكون من البدع
والضلالات التى توجب غليظ العقوبات فهذا لا ينكره الا جاهل او ظالم وقد رأيت
من هذا عجائب لكن هم بالنسبة الى غيرهم فى ذلك كالمسلمين بالنسبة الى بقية الملل
ولا ريب ان فى كثير من المسلمين من الظلم والجهل والبدع والفجور ما لا يعلمه الا من
احاط بكل شيء علما لكن كل شر يكون فى بعض المسلمين فهو فى غيرهم اكثر وكل خير يكون
فى غيرهم فهو فيهم أعلى وأعظم وهكذا اهل الحديث بالنسبة الى غيرهم .

وبيان ذلك ان ما ذكر من فضول الكلام الذى لا يفيد مع اعتقاد انه طريق الى
التصور والتصديق هو فى اهل الكلام والمنطق أضعاف أضعافِ أضعافِ ما هو فى
أهل الحديث اضعافا مضاعفة فبازاء احتجاج اولئك بالحديث الضعيف احتجاج
هولاء[١] بالحدود والاقيسة الكثيرة العظيمة[٢] التى لا تفيد معرفة بل جهلا وضلالا
وبازاء تكلم اولئك باحاديث لا يفهمون معناها تكلُّفُ هؤلاء من القول بغير علم ما هو
اعظم ~~اعظم~~ من ذلك واكثر ، وما احسن قول الامام احمد : ضعيف الحديث خير
من رأي الرجال . ثم لاهل الحديث من المزية أن ما يقولونه من الكلام الذى لا
يفهمه بعضهم هو كلام فى نفسه حق وقد آمنوا بذلك ، وأما المتكلمة فيتكلفون من
القول ما لا يفهمونه ولا يعلمون أنه حق ، واهل الحديث لا يستدلون بحديث
ضعيف فى نقض أصل عظيم من اصول الشريعة بل اما فى تأييده واما فى فرع من

[١] عدم الصحة أو عدم الفهم

[١] اى المتكلمين والمناطقة
[٢] لعله : العقيمة

الفروع واولئك[+] يحتجون بالحدود والمقاييس الفاسدة فى نقض الاصول الحق الثابتة
اذا عرف هذا فقد قال الله تعالى عن أتباع الأئمة من اهل الملل المخالفين للرسل
(فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم) وقال تعالى (يوم تقلب
وجوههم فى النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا) ومثل هذا فى القرآن
كثير . واذا كانت سعادة الدنيا والآخرة هى باتباع المرسلين فمن المعلوم أن
أحق الناس بذلك أعلمهم بآثار المرسلين واتبعهم لذلك فالعالمون باقوالهم وافعالهم
المتبعون لها هم أهل السعادة فى كل زمان ومكان وهم الطائفة الناجية من أهل كل ملة
وهم أهل السنة والحديث من هذه الامة فانهم يشاركون سائر الامة فيما عندهم من
امور الرسالة ، ويمتازون عنهم بما اختصوا به من العلم الموروث عن الرسول فيما
يجهله غيرهم أو يكذب به ، والرسل صلوات الله عليهم وسلامه عليهم البلاغ المبين
وقد بلغوا البلاغ المبين ، وخاتم الرسل محمد صلى الله عليه وسلم أنزل الله كتابه مصدقا
لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فهو الامين على جميع الكتب وقد بلّغ أبين
البلاغ وأتمه وأكمله وكان أنصح الخلق لعباد الله وكان بالمؤمنين رؤوفا رحيما ،
بلغ الرسالة وأدى الامانة وجاهد فى الله حق جهاده وعبد الله حتى أتاه اليقين

فاسعد الخلق واعظمهم نعيما وأعلاهم درجة اعظمهم اتباعا وموافقة [له]
علما وعملا وأما غير اتباعه من اهل الكلام فالكلام فى أقيستهم التى هى حججهم وبراهينهم
على معارفهم وعلومهم وهذا يدخل فيه كل من خالف شيئا من السنة والحديث
من المتكلمين والفلاسفة فالكلام فى هذا المقام واسع لا ينضبط هنا لكن المعلوم
من حيث الجملة ان الفلاسفة والمتكلمين من اعظم بنى آدم حشوا وقولا للباطل
وتكذيبا للحق فى مسائلهم ودلائلهم لا يكاد والله اعلم تخلو لهم مسئلة واحدة
عن ذلك . واذكر انى قلت مرة لبعض من كان ينتصر لهم من المشغوفين بهم
وانا اذ ذاك صغير قريب العهد من الاحتلام كل ما يقوله هؤلاء ففيه باطل اما

[+] اى المتكلمين

فى الدلائل واما فى المسائل اما ان يقولوا مسألة تكون حقا لكن يقيمون عليها أدلة —
ضعيفة وأما ان تكون المسألة باطلا فاخذ ذلك يعظم هذا ، وذكر مسألة التوحيد
(فقلت) التوحيد حق لكن اذكر ما شئت من ادلتهم التى تعرفها حتى اذكر لك ما
فيه فذكر بعضها بحروفه حتى فهم الغلط وذهب الى ابنه وكان ايضا من المتعصبين
لهم فذكر ذلك قال فأخذ يعظم ذلك علي فقلت انا لا اشك فى التوحيد ولكن فى هذا
الدليل المعين ويدلك على ذلك أمور (أحدها) أنك تجدهم اعظم الناس شكا
واضطرابا وأضعف الناس علما ويقينا ، وهذا أمر يجدونه فى انفسهم ويشهده
الناس منهم ، وشواهد ذلك أعظم من أن تذكر هنا ، وانما فضيلة احدهم باقتداره
على الأعتراض والحد والدليل ومن المعلوم ان الاعتراض والقدح ليس بعلم ولا
فيه منفعة ، وأحسن أحوال صاحبه ان يكون بمنزلة العامى وانما العلم فى
فى جواب السؤال ولهذا تجد غالب حججهم تتكافأ اذ كل منهم يقدح فى أدلة
الأخر وقد قيل ان الاشعري مع أنه من أقربهم الى السنة والحديث وأعلمهم
بذلك صنف فى آخر عمره كتابا فى تكافؤ الادلة يعنى ادلة [علم] الكلام فان ذلك
هو صناعته التى يحسن الكلام فيه وما زال أئمتهم يخبرون بعدم الأدلة والهدى
فى طريقهم كما ذكرناه عن ابى حامد وغيره حتى قال ابو حامد الغزالى اكثر الناس شكا
عند الموت اهل الكلام وهذا ابو عبد الله الرازي من اعظم الناس فى هذا الباب ،
باب الحيرة والشك والاضطراب لكن هو مسرف فى هذا الباب بحيث له نهمة فى
التشكيك دون التحقيق بخلاف غيره فانه يحقق شيئا ويثبت على نوع من الحق
لكن بعض الناس قد يثبت على باطل محض بل لا بد فيه من نوع من الحق وكان من
فضلاء المتاخرين وأبرعهم فى الفلسفة والكلام ابن واصل الحموي كان يقول: أستلقي
على قفاي وأضع الملحفة على نصف وجهي ثم اذكر المقالات وحجج هؤلاء وهؤلاء =
واعتراض هؤلاء وهؤلاء حتى يطلع الفجر ولم يترجح عندى شئ ولهذا أنشد الخطابي

[هامش: المشغوفين] [هامش: اشك]

[هامش: أى ان ادلة المطالب المتعارضة والمتضادة تتساوى فلا يرجح بعضها على بعض فيتحير الطالب ولا يتمكن من اختيار بعضها وترجيحه]

[هامش: يعنى الغزالى]

حجج تهافت كالزجاج تخالها   حقا وكل كاسر مكسور

فاذا كانت هذه حال حججهم فاي لغو وباطل وحشو يكون أعظم من هذا وكيف
يليق بمثل هؤلاء أن ينسبوا اهل الحديث والسنة الذين هم أعظم الناس علما ويقينا
وطمأنينة وسكينة يعلمون ويعلمون أنهم يعلمون وهم بالحق يوقنون لا يشكون ،
ولا يمترون ، فاما ما اوتيه علماء اهل الحديث وخواصهم من اليقين والمعرفة والهدى
فامر يجل عن الوصف ولكن عند عوامهم من اليقين والعلم النافع ما لم يحصل منه شئ
لأئمة المتفلسفة المتكلمين وهذا ظاهر مشهود لكل احد غاية ما يقول أحدهم أنهم
جزموا بغير دليل وصمموا بغير حجة وانما معهم التقليد وهذا القدر قد يكون فى كثير
من العامة لكن جزم العلم غير جزم الهوى فالجازم بغير علم يجد من نفسه أنه غير
عالم بما جزم به والجازم بعلم يجد من نفسه انه عالم ، اذ كون الأنسان عالما وغير
عالم مثل كونه سامعا ومبصرا وغير سامع ومبصر فهو يعلم من نفسه ذلك مثل ما
يعلم من نفسه كونه محبا ومبغضا ومريدا وكارها ومسرورا ومحزونا ومنعما ومعذبا
وغير ذلك ومن شك فى كونه يعلم مع كونه يعلم فهو بمنزلة من جزم بأنه علم وهو لا يعلم
وذلك نظير من شك فى كونه سمع ورأى أو جزم بانه سمع ورأى ما لم يسمعه ويراه
والغلط والكذب يعرض للأنسان فى كل واحد من طرفي النفي والأثبات لكن هذا
الغلط والكذب العارض لا يمنع ان يكون الانسان جازما بما لا شك فيه من ذلك
كما يجزم بما يجده من المطعوم والأرايح وان كان قد يعرض له من الانحراف ما يجد
به الحلو مرا ، فالأسباب العارضة لغلط الحس الباطن او الظاهر والعقل بمنزلة
المرض العارض لحركة البدن والنفس والاصل هو الصحة فى الادراك وفى الحركة
فان الله خلق عباده على الفطرة وهذه الامور يعلم الغلط فيها باسبابها الخاصة
كالمرة الصفراء العارضة للطعم وكالحول فى العين ونحو ذلك ، والانسان حاسب
نفسه على ما يجزم به وجد اكثر الناس الذين يجزمون بما لا يجزم به انما هو

لنوع من الهوى كما قال تعالى (وان كثيرا ليضلون باهوائهم بغير علم) وقال (ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله). ولهذا تجد اليهود يعممون بباطلهم لما فى نفوسهم من الكبر والحسد والقسوة وغير ذلك من الاهواء واما النصارى فاعظم ضلالا منهم وان كانوا فى العادة والاخلاق أقل منهم شرا فليسوا جازمين بغالب ضلالهم بل عند الاعتبار تجد من ترك الهوى من الطائفتين ونظر نوع نظر تبين له ان الاسلام حق.

والمقصود هنا ان معرفة الانسان بكونه يعلم او لا يعلم مرجعه الى وجود نفسه عالمة ولهذا لا نحتج على منكر العلم الا بوجودنا نفوسنا عالمة كما احتجوا على منكري الاخبار المتواترة بأنا نجد نفوسنا عالمة بذلك وجازمة به كعلمنا وجزمنا بما أحسسناه وجعل المحققون وجود العلم بخبر الاخبار هو الضابط فى حصول التواتر اذ لم يحدوه بعدد ولا صفة بل متى حصل العلم كان هو المعتبر والانسان يجد نفسه عالمة وهذا حق فانه لا يجوز ان يستدل الانسان على كونه عالما بدليل فان علمه بمقدمات ذلك الدليل يحتاج الى ان يجد نفسه عالمة بها فلو احتاج علمه بكونه عالما الى دليل افضى الى الدور أو التسلسل ولهذا لا يحس الانسان بوجود العلم عند وجود سببه ان كان بديهيا[1] أو ان كان نظريا اذا علم المقدمتين وبهذا استدل على منكري افادة النظر العلم وان كان فى هذه المسألة تفصيل ليس هذا موضعه. فالغرض أن من نظر فى دليل يفيد العلم وجد نفسه عالمة عند علمه بذلك الدليل كما يجد نفسه سامعة رائية عند الاستماع للصوت والترائى للشمس أو الهلال او غير ذلك والعلم يحصل فى النفس كما تحصل سائر الادراكات والحركات بما يجعله الله من الأسباب، وعامة ذلك بملائكة الله تعالى فان الله سبحانه ينزل بها على قلوب عباده من العلم والقوة وغير ذلك ما يشاء ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم لحسان « اللهم ايده بروح القدس » وقال تعالى (كتب فى قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه) وقال صلى الله عليه وسلم « من طلب القضاء واستعان عليه وكل اليه ومن لم يطلب القضاء ولم يستعن عليه انزل الله عليه ملكا

[1] البديهى هو الذى يظهر بادى الرأى من غير تأمل ونظر واستدلال واما النظرى فهو المحتاج الى ذلك كما هو ظاهر النسبة والله سبحانه الموفق تعالى وتقدس اهـ من هامش الاصل

يسدده » وقال ابن مسعود: كنا نتحدث ان السكينة تنطق على لسان عمر، وقال عبد الله ابن مسعود: ان للملك لمة وللشيطان لمة فلمة الملك ايعاد بالخير وتصديق بالحق، ولمة الشيطان ايعاد بالشر وتكذيب بالحق، وهذا الكلام الذى قاله ابن مسعود هو محفوظ عنه وربما رفعه بعضهم الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو كلام جامع لاصول ما يكون من العبد من علم وعمل، من شعور وارادة وذلك ان العبد له قوة الشعور والاحساس والادراك فقوة الارادة والحركة واحداهما اصل الثانية مستلزمة لها والثانية مستلزمة للاولى ومكملة لها فهو بالاولى يصدق بالحق ويكذب بالباطل وبالثانية يحب النافع الملائم له ويبغض الضار المنافى له والله سبحانه خلق عباده على الفطرة التى فيها معرفة الحق والتصديق به ومعرفة الباطل والتكذيب به ومعرفة النافع الملائم والمحبة له، ومعرفة الضار المنافى والبغض له بالفطرة فما كان حقا موجودا صدقت به الفطرة وما كان حقا نافعا فاحبته[a] الفطرة احبته واطمأنت اليه وذلك هو المعروف، وما كان باطلا معدوما وما كذبت به الفطرة فابغضته الفطرة فانكرته قال تعالى (يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر) والانسان كما سماه النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال « اصدق الاسماء الحارث وهمام » فهو دائم يهم ويعمل لكنه لا يعمل الا لما يرجو نفعه[1] او دفع مضرته لكن قد يكون ذلك الرجاء مبنيا على اعتقاد باطل اما فى نفس المقصود فلا يكون نافعا ولا ضارا واما فى الوسيلة فلا تكون طريقا اليه وهذا جهل، وقد يعلم ان هذا الشئ يضره ويفعله ويعلم أنه ينفعه ويتركه لأن[b] ذلك العلم عارضه ما فى نفسه من طلب لذة أخرى او دفع الم آخر فيكون جاهلا ظالما حيث قدم هذا على ذاك[c] ولهذا قال ابو العالية: سألت اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فقالوا: كل من عصى الله فهو جاهل وكل من تاب قبل الموت فقد تاب من قريب. واذا كان الانسان لا يتحرك الا لرجاء

[a] كذا ولعله عرفته

[1] كان فى الاصل منفعته

[c] ذلك

أو ان كان راهبا خائفا لم يسع [الا] فى النجاة ولم يهرب [الا] من الخوف فالرجاء لا يكون الا بما يلقى فى نفسه من الايعاد بالخير الذي هو طلب المحبوب أو فوات المكروه فكل بنى آدم له اعتقاد فيه تصديق بشيء وتكذيب بشيء وله قصد وارادة لما يرجوه مما هو عنده محبوب ممكنا الوصول اليه أو وجود المحبوب عنده او دفع المكروه عنه والله خلق العبد يقصد الخير فيرجوه بعمله فاذا كذب بالحق فلم يصدق به ولم يرج الخير فيقصده ويعمل له كان خاسرا بترك تصديق الحق وطلب الخير، فكيف اذا كذب بالحق وكره ارادة الخير، فكيف اذا صدق بالباطل واراد الشر فذكر عبد الله بن مسعود أن لقلب ابن آدم لمة من الملك ولمة من الشيطان فلمة الملك تصديق بالحق وهو ما كان [من] غير جنس الاعتقاد الفاسد و[لمة الشيطان] هو التكذيب بالحق وايعاد بالشر وهو ما كان من جنس ارادة الشر وظن وجوده اما مع رجاء ان كان مع هوى نفس واما مع خوفه ان كان غير محبوب لها . وكل من الرجاء والخوف مستلزم للآخر فمبدأ العلم الحق والارادة الصالحة من لمة الملك، ومبدأ الاعتقاد الباطل والارادة الفاسدة من لمة الشيطان قال الله تعالى (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا) وقال تعالى (انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه) أي يخوفكم أولياءه وقال تعالى (واذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم) .

والشيطان وسواس خناس اذا ذكر العبد ربه خنس فاذا غفل عن ذكره وسوس فلهذا كان ترك ذكر الله سببا ومبدأ لنزول الاعتقاد الباطل والارادة الفاسدة فى القلب، ومن ذكر الله تعالى تلاوة كتابه وفهمه ومذاكرة العلم كما قال معاذ بن جبل: ومذاكرته تسبيح . وقد تنازع أهل الكلام فى حصول العلم فى القلب عقب النظر فى الدليل فقال بعضهم[1] ذلك على سبيل التولد وقال المنكرون[2] للتولد بل ذلك بفعل الله تعالى، والنظر اما متضمن للعلم

1 كالمعتزلة 2 كالاشاعرة

واما موجب له وهذا ينصره المنتسبون للسنة من المتكلمين ومن وافقهم من الفقهاء من اصحاب مالك والشافعي واحمد وغيرهم وقالت المتفلسفه بل ذلك يحصل بطريق الفيض من العقل[1] الفعال عند استعداد النفس لقبول الفيض وقد يزعمون أن العقل الفعال هو جبريل . فأما قول القائلين[2] ان ذلك بفعل الله فهو صحيح بناء على ان الله هو معلم كل علم وخالق كل شيء لكن هذا الكلام مجمل ليس فيه بيان لنفس السبب الخاص . واما قول القائلين بالتولد[3] فبعضه حق وبعضه باطل [فان] كان دعواهم ان الفعل المتولد هو حاصل بمجرد قدرة العبد [فذلك] باطل قطعا ولكن هو حاصل بامرين قدرة العبد والسبب الاخر كالقوة التى فى السهم والقبول الذى فى المحل ولا ريب أن النظر هو سبب ولكن الشان فيما به يتم حصول العلم، واما زعم اولئك[4] انه بالعقل الفعال فمن الخرافات التى لا دليل عليها وأبطل من ذلك زعمهم ان ذلك هو جبريل وزعمهم ان كلما يحصل فى عالم العناصر من الصور الجسمانية وكمالاتها فهي من فيضه وبسببه[5] من ابطل الباطل ولكن اضافتهم ذلك الى امور روحانية صحيح فى الجمله فان الله سبحانه وتعالى يدبر امر السموات والأرض بملائكته التى هى السفراء فى أمره، ولفظ الملك يدل على ذلك وبذلك اخبرت الانبياء وقد شهد الكتاب والسنة من ذلك بما لا يتسع هذا الموضع لذكره كما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم فى ملائكة الخلق وغيره، واما تخصيص روح واحد متصل بفلك القمر[6] يكون هو رب هذا العالم فهذا باطل وليس هذا موضع استقصاء ذلك ولكن يعلم ان المبدأ فى شعور النفس وحركتها هم الملائكه والشياطين فالملك يلقى التصديق بالحق والامر بالخير والشيطان يلقى التكذيب بالحق والامر بالشر والتصديق والتكذيب مقرون بنظر الانسان كما أن الأمر والنهي مقرون بارادته . فاذا كان النظر فى دليل هاد كالقرآن وسلم من معارضات الشيطان تضمن ذلك النظر للعلم والهدى ولهذا امر العبد بالاستعاذة من الشيطان الرجيم عند القراءة واذا كان النظر فى دليل مضل والناظر يعتقد

1 هو العقل العاشر مدبر فلك القمر بزعمهم
2 كالاشاعرة
3 كالمعتزلة
4 يعنى المتفلسفه
5 اى العقل الفعال
6 كما تزعم الفلاسفة ومن قلدهم

صحته بان تكون مقدمتاه أو احداها متضمنة للباطل او تكون المقدمات صحيحه لكن التاليف ليس بمستقيم فانه يصير فى القلب بذلك اعتقاد فاسد وهو غالب شبهات اهل الباطل المخالفين للكتاب والسنة من المتفلسفه والمتكلمين ونحوهم فاذا كان الناظر لابد له من منظور فيه والنظر فى نفس المتصور المطلوب حكمه لايفيد علما بل ربما خطر له بسبب ذلك النظر انواع من الشبهات يحسبها ادلة لفرط تعطش القلب الى معرفة حكم تلك المسألة وتصديق ذلك التصور واما النظر المفيد للعلم فهو ما كان فى دليل هاد والدليل الهادي على العموم والاطلاق هو كتاب الله وسنة نبيه فان الذى جاءت به الشريعه من نوعي النظر هو ما يفيد وينفع ويحصل الهدى وهو بذكر الله وما نزل من الحق فاذا اراد النظر والاعتبار فى الادلة المطلقة من غير تعيين مطلوب فذلك النظر فى كتاب الله وتدبره كما قال تعالى (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام = ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم) وقال تعالى (وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وانك لتهدى الى صراط مستقيم صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الارض ألا الى الله تصير الامور) ◉

واما النظر فى مسألة معينة وقضية معينة لطلب حكمها والتصديق بالحق فيها والعبد لا يعرف ما يدله على هذا أو هذا فمجرد هذا النظر لا يفيد بل قد يقع له تصديقات يحسبها حقا وهى باطل وذلك من القاء الشيطان وقد يقع له تصديقات تكون حقا وذلك من القاء الملك وكذلك اذا كان النظر فى الدليل الهادي وهو القرآن فقد يضع الكلم مواضعه ويفهم مقصود الدليل فيهتدي بالقرآن وقد لا يفهمه أو يحرف الكلم عن مواضعه فيضل به ويكون ذلك من الشيطان كما قال تعالى (وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا) وقال (يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وما يضل به الا الفاسقين) وقال (فاما الذين امنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون واما الذين فى قلوبهم

المقدمات

كان فى الاصل الى اخر السورة

مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم) وقال (قل هو للذين امنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر وهو عليهم عمى) وقال (هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين) ◉

فالناظر فى الدليل بمنزلة المترائى للهلال قد يراه وقد لا يراه لعشا فى بصره وكذلك اعمى القلب واما الناظر فى المسألة فهذا يحتاج الى شيئين الى ان يظفر بالدليل الهادي والى ان يهتدي به وينتفع فامره الشرع بما يوجب ان ينزل على قلبه الاسباب الهادية ويصرف عنه الاسباب المعوقة وهو ذكر الله تعالى فان الشيطان وسواس خناس فاذا ذكر العبد ربه خنس واذا غفل عن ذكر الله وسوس وذكر الله يعطي الايمان وهو أصل الايمان والله سبحانه رب كل شيء ومليكه وهو معلم كل علم وواهبه فكما أن نفسه[1] أصل لكل شيء موجود فذكره والعلم به أصل لكل علم وذكره فى القلب والقرآن يعطي العلم المفصل فيزيد الايمان كما قال جندب بن عبد الله البجلي وغيره من الصحابة تعلمنا الايمان ثم تعلمنا القرآن فازددنا ايمانا ولهذا كان اول ما أنزل الله على نبيه (اقرأ باسم ربك الذي خلق) فامره ان يقرأ بسم الله فتضمن هذا الامر بذكر الله وما نزل من الحق وقال (باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم) فذكر سبحانه انه خلق الاعيان الموجودة عموما وخصوصا وهو الانسان وانه المعلم للعلم عموما وخصوصا للانسان وذكر التعليم بالقلم الذى هو آخر المراتب ليستلزم تعليم القول وتعليم العلم الذي فى القلب وحقيقة الامر أن العبد مفتقر الى ما يسأله من العلم والهدى طالب سائل ، فبذكر الله والافتقار اليه يهديه الله ويدله كما قال « يا عبادي كلكم ضال الا من هديته فاستهدوني أهدكم » وكما كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول « اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والارض انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدنى لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدى من تشاء الى صراط مستقيم » ◉

ومما يوضح ذلك ان الطالب للعلم بالنظر والاستدلال والتفكر والتدبر لا يحصل

[1] اى ذات الله تعالى المقدسة

اكرم ... م

له ذلك ان لم ينظر فى دليل يفيده العلم بالمدلول عليه ومتى كان العلم مستفادًا بالنظر فلا
بد ان يكون عند الناظر من العلم المذكور الثابت فى قلبه ما لا يحتاج حصوله الى نظر
فيكون ذلك المعلوم اصلا وسببا للتفكر الذي يطلب به معلوما آخر ولهذا كان الذكر
متعلقا بالله لانه سبحانه الحق المعلوم وكان التفكر فى مخلوقاته كما قال تعالى
(الذين يذكرون الله قياما وقعودًا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات
والارض) وقد جاء الاثر «تفكروا فى المخلوق ولا تتفكروا فى الخالق» لان
التفكير والتقدير يكون فى الامثال المضروبة والمقاييس وذلك يكون فى الامور
المتشابهة وهى المخلوقات واما الخالق جل جلاله سبحانه وتعالى فليس له شبيه
ولا نظير فالتفكير الذي مبناه على القياس ممتنع فى حقه وانما هو معلوم بالفطرة
فيذكره العبد وبالذكر وبما أخبر به عن نفسه يحصل للعبد من العلم به امور عظيمة
لا تنال بمجرد التفكير والتقدير اعنى من العلم به نفسه فانه الذى لا تفكير فيه فأما
العلم بمعانى ما أخبر به ونحو ذلك فيدخل فيها التفكير والتقدير كما جاء به الكتاب
والسنة ولهذا كان كثير من ارباب العبادة والتصوف يأمرون بملازمة الذكر ويجعلون
ذلك هو باب الوصول الى الحق وهذا حسن اذا ضموا اليه تدبر القرآن والسنة واتباع
ذلك وكثير من ارباب النظر والكلام يأمرون بالتفكر والنظر ويجعلون ذلك هو الطريق
الى معرفة الحق ، والنظر صحيح اذا كان فى حق ودليل كما تقدم فكل من الطريقين
فيها حق لكن يحتاج الى الحق الذي فى الاخرى ويجب تنزيه كل منهما عما دخل فيهما
من الباطل وذلك كله باتباع ما جاءت به المرسلون وقد بسطنا الكلام فى هذا فى
غير هذا الموضع وبينا طرق اهل العبادة والرياضة والذكر وطريق اهل الكلام
والنظر والاستدلال وما فى كل منهما من مقبول ومردود وبينا ما جاءت به الرساله
من الطريق الكامله الجامعة لكل حق وليس هذا موضع بسط ذلك وانما المقصود
هنا أن الانسان محس بانه عالم ويجد ذلك ويعرفه بغير واسطة أحد كما يحس

بغير ذلك وحصول العلم فى القلب كحصول الطعام فى الجسم فالجسم يحس بالطعام والشراب
وكذلك القلوب تحس بما نزل اليها من العلوم التى هي طعامها وشرابها كما قال النبي
صلى الله عليه وسلم «ان كل آدب يحب ان تؤتى مأدبته وان مأدبة الله هى القرآن»
وكما قال تعالى (انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا
رابيا ومما يوقدون عليه فى النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله) وفى الصحيحين
عن ابى موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل ما بعثنى الله به من الهدى والعلم كمثل غيث
اصاب ارضا وكانت منها طائفة قبلت الماء فانبتت الكلأ والعشب الكثير وكانت منها
طائفة امسكت الماء فسقى الناس وزرعوا وكانت منها طائفة انما هي قيعان لا تمسك
ماء ولا تنبت كلأ فذلك مثل من فقه فى دين الله ونفعه ما بعثنى الله به من الهدى والعلم
ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذى ارسلت به فضرب مثل الهدى والعلم
الذى ينزل على القلوب بالماء الذي ينزل على الارض وكما ان لله ملائكة موكلة بالسحاب
والمطر فله ملائكة موكلة بالهدى والعلم هذا رزق القلوب وقوتها وهذا رزق الاجساد
وقوتها قال الحسن البصري فى قوله تعالى ومما رزقناهم ينفقون قال ان من أعظم النفقة
نفقة العلم او نحو هذا الكلام وفى اثر آخر نعمت العطية ونعمت الهدية الكلمة من
الخير يسمعها الرجل فيهديها الى اخ له مسلم وفى اثر آخر عن ابى الدرداء ما تصدق عبد
بصدقة افضل من موعظة يعظ بها اخوانا له مؤمنين فيتفرقون وقد نفعهم الله
بها او ما يشبه هذا الكلام . وعن كعب بن عجرة قال ألا اهدى لك هدية فذكر الصلاة
على النبي صلى الله عليه وسلم . وروى ابن ماجة فى سننه عن ابى هريرة عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال «افضل الصدقة ان يتعلم الرجل علما ثم يعلمه اخاه المسلم» وقال معاذ بن
جبل عليكم بالعلم فان طلبه عبادة وتعلمه لله حسنة وبذله لاهله قربة وتعليمه لمن
لا يعلمه صدقة والبحث عنه جهاد ومذاكرته تسبيح ولهذا كان معلم الخير يستغفر
له كل شيء حتى الحيتان فى البحر والله وملائكته يصلون على معلم الناس الخير لما فى ذلك

من عموم النفع لكل شيء وعكسه كاتمو العلم فانه يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون قال طائفة
من السلف اذا كتم الناس العلم فعمل بالمعاصي احتبس القطر فتقول البهائم اللهم
[العن] عصاة بني آدم فانا منعنا القطر بسبب ذنوبهم واذا كان علم الانسان
بكونه عالما مرجعه الى وجوده ذلك واحساسه في نفسه بذلك وهذا امر موجود
بالضرورة لم يكن لهم ان يخبروا عما في نفوس الناس بانه ليس بعلم بغير حجة فان عدم
وجودهم من نفوسهم ذلك لا يقتضي ان الناس لم يجد واذلك لاسيما اذا كان المخبرون يخبرون
عن اليقين الذي في انفسهم ممن لا يشكون في علمه وصدقه ومعرفته بما يقول وهذا
حال أئمة المسلمين وسلف الامة وحملة الحجة فانهم يخبرون بما عندهم من اليقين
والطمأنينة والعلم الضروري كما في الحكاية المحفوظة الكبرى لما دخل عليه متكلمان عن نجم الدين
احدهما ابو عبد الله الرازي والاخر من متكلمي المعتزلة وقالا يا شيخ بلغنا انك تعلم علم
اليقين فقال نعم انا أعلم علم اليقين فقالا كيف يمكن ذلك ونحن من اول النهار الى
الساعة نتناظر فلم يقدر احدنا ان يقيم على الاخر دليلا واظن الحكاية في تثبيت الاسلام
فقال ما ادري ما تقولان ولكن انا اعلم علم اليقين فقالا صف لنا علم اليقين فقال علم
اليقين عندنا واردات ترد على النفوس تعجز النفوس عن ردها فجعلا يقولان واردات
ترد على النفوس تعجز النفوس عن ردها ويستحسنان هذا الجواب وذلك لان
طريق اهل الكلام تقسيم العلوم الى ضروري وكسبي أو بديهي ونظري فالنظري
الكسبي لابد ان يرد الى مقدمات ضروريه او بديهية فتلك لا تحتاج الى دليل
والا لزم الدور او التسلسل والعلم الضروري هو الذي يلتزم نفس المخلوق لزوما
لا يمكنه الانفكاك عنه فالمرجع في كونه ضروريا الى انه يعجز عن دفعه عن نفسه فاخبر
الشيخ ان علومهم ضروريه وانها ترد على النفوس على وجه تعجز عن دفعه فقالا له ما الطريق
الى ذلك فقال تتركان ما انتما فيه وتسلكان ما امر الله به من الذكر والعبادة فقال الرازي
انا مشغول عن هذا وقال المعتزلي انا قد احترق قلبي بالشبهات وأحب هذه الواردات

فلزم الشيخ مدة ثم خرج من محل عبادته وهو يقول والله يا سيدي ما الحق الا فيما تقوله هؤلاء
المشبهة يعني المثبتين للصفات فان المعتزله يسمون الصفاتيه مشبهة وذلك انه علم
علما ضروريا لا يمكنه دفعه عن قلبه ان صانع العالم لابد ان يتميز عن العالم ويكون بائنا
منه له صفات تختص به وان هذا الرب الذي تصفه الجهمية انما هو عدم محض
وهذا موضع الحكاية المشهورة عن الشيخ العارف ابي جعفر الهمداني لابي المعالي
الجويني لما اخذ يقول على المنبر كان الله ولا عرش فقال يا استاذ دعنا من ذكر العرش
يعني لان ذلك انما جاء في السمع اخبرنا عن هذه الضرورة التي نجدها في قلوبنا
فانه ما قال عارف قط يا الله الا وجد من قلبه ضرورة تطلب العلو لا تلتفت يمنة
ولا يسرة فكيف ندفع هذه الضرورة من قلوبنا قال فلطم ابو المعالي على رأسه وقال
حيرني الهمداني حيرني الهمداني ونزل وذلك لان نفس استوائه على العرش
بعد ان خلق السموات والارض في ستة ايام علم بالسمع الذي جاءت به الرسل
كما أخبر به في القرآن والتوراة واما كونه عاليا على مخلوقاته بائنا منهم فهذا امر معلوم
بالفطرة الضرورية التي يشترك فيها بنو آدم وكل من كان بالله اعرف وله أعبد ودعاؤه
له وقلبه له اكثر واكثر كان علمه الضروري بذلك اقوى واكمل فالفطرة مكملة بالفطرة
المنزلة[1] فان الفطرة تعلم الامر مجملا والشرعة تفصله وتبينه وتشهد[2] بما لا تستقل الفطرة
به فهذا هذا والله اعلم والحاصل ان كل من استحكم في بدعته يرى ان يطرد قياسه
لما فيه من التسويه بين المتماثلين عنده وان استلزم ذلك كثرة مخالفة النصوص وهذا موجود
في المسائل العلميه الخبريه والمسائل العمليه الارادية تجد المتكلم قد يطرد قياسه طردا مستمرا
فيكون ظاهر الامر اجود ممن نقضها وتجد المستن الذي شركه في ذلك القياس قد يقول ما يناقض
ذلك القياس في مواضع مع استشعار التناقض تارة وبدون استشعاره وهو الاغلب
وربما يخيل بفروق ضعيفه فهو في نقض علته والتفريق بين المتماثلين فيما يظهر انه دون
الاول في العلم والخبرة وطرد القول وليس كذلك بل هو خير من الاول فان ذلك القياس

[1] يعني الشريعة النازلة من عند الله تعالى
[2] وتشهد

الذى اشتركا فيه كان فاسداً فى اصله لمخالفة النص والقياس الصحيح فالذى طرده اكثر فساداً
وتناقضاً من هذا الذي نقضه وهذا شأن كل من وافق غيره على قياس ليس هو فى نفس
الامر بحق وكان احدهما من النصوص فى مواضع ما يخالف ذلك القياس وهذا يسميه
الفقهاء فى مواضع كثيرة الاستحسان فنجد القائلين بالاستحسان الذي ~~الذي~~ تركوا
فيه القياس لنص خيراً من الذين طردوا القياس وتركوا النص ولهذا يروى عن ابى
حنيفة انه قال لا تأخذوا بمقاييس زفر فانكم ان أخذتم بمقاييسه حرمتم الحلال
وحللتم الحرام فان زفر كان كثير الطرد لما يظنه من القياس مع قلة علمه بالنصوص وكان
ابو يوسف نظره بالعكس كان اعلم بالحديث منه ولهذا توجد المسائل التى يخالف فيها
زفر اصحابه عامتها قياسية ولا يكون الا قياساً ضعيفاً عند التأمل وتوجد المسائل التى
يخالف فيها ابو يوسف اباحنيفة واتبعه محمد عليها عامتها اتبع فيها النصوص =
والاقيسة الصحيحة لان ابا يوسف رحل بعد موت ابى حنيفة الى الحجاز واستفاد من
علم السنن التى كانت عندهم ما لم تكن مشهورة بالكوفة وكان يقول لو رأى صاحبى[1]
ما رأيت لرجع كما رجعت لعلمه بان صاحبه[1] ما كان يقصد الا اتباع الشريعة لكن
قد يكون عند غيره من علم السنن ما لم يبلغه وهذا ايضاً حال كثير من الفقهاء بعضهم
مع بعض فيما اتفقوا عليه من قياس لم تثبت صحته بالأدلة المعتمدة فان الموافقة
فيه توجب طرده ثم اهل النصوص قد ينقضونه والذين لا يعلمون النصوص يطردونه
وكذلك هذه حال اكثر متكلمة اهل الاثبات مع متكلمة النفاة فى مسائل الصفات
والقدر وغير ذلك قد يوافقونهم على قياس فيه نفي ثم يطرده اولئك فينفون به ما
اثبتته النصوص والمثبتة لا تفعل ذلك بل لا بد من القول بموجب النص فربما
قالوا ببعض معناها وربما فرقوا بفرق ضعيف وأصل ذلك موافقة أولئك على
القياس الضعيف وذلك فى مثل مسائل الجسم والجوهر وغير ذلك وهكذا تجد هذا
حال من اعان ظالماً فى الافعال فان الافعال لا تقع الا عن ارادة فالظالم يطرد ارادته

[1] يعني ابا[illegible]

فيصيب من اعانه او يصيب ظلماً لا يختاره هذا فيريد المعين ان ينقض الطرد ويخص
علته ولهذا يقال من اعان ظالماً بلى به وهذا عام فى جميع الظلمة من[1] اهل الاقوال
والاعمال واهل البدع والفجور وكل من[2] خالف الكتاب والسنة من خبر أو أمر او عمل
فهو ظالم فان الله ارسل رسله ليقوم الناس بالقسط ومحمد صلى الله عليه وسلم افضلهم
وقد بين الله سبحانه له من القسط ما لم يبينه لغيره واقدره على ما لم يقدر غيره
فصار يفعل ويأمر بما لا يأمر به غيره ويفعله وذلك ان بنى آدم فى كثير من المواضع
قد لا يعلمون حقيقة القسط ولا يقدرون على فعله بل ما كان اليه اقرب وبه أشبه
كان امثل وهى الطريقة المثلى . وقد بسطنا هذا فى مواضع قال تعالى (واقيموا
الوزن بالقسط) (لا يكلف الله نفساً الا وسعها) وقال فاتقوا الله ما استطعتم
وقال صلى الله عليه وسلم اذا أمرتكم بامر فأتوا منه ما استطعتم ٥
والمقصود ان ما عند عوام المؤمنين وعلمائهم اهل السنة والجماعة من المعرفة واليقين
والطمأنينة والجزم الحق والقول الثابت والقطع بما هم عليه امر لا ينازع فيه الا من
سلبه الله العقل والدين وهب ان المخالف لا يسلم ذلك فلا ريب انهم يخبرون عن
انفسهم بذلك ويقولون انهم يجدون ذلك وهو وطائفته يخبرون بضد ذلك ولا
يجدون عندهم الا الريب فأي الطائفتين احق بان يكون كلامها [موصوفاً] بالحشو
او يكون اولى بالجهل والضلال والافك والمحال وكلام المشايخ والائمة من اهل السنة
والفقه والمعرفة فى هذا الباب اعظم من أن نطيل به الخطاب .
(الوجه الثاني) انك تجد اهل الكلام اكثر الناس انتقالاً من قول الى قول وجزماً
بالقول فى موضع وجزماً بنقيضه وتكفير قائله فى موضع آخر وهذا دليل عدم اليقين
فان الايمان كما قال فيه قيصر لما سأل اباسفيان عمن اسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم
هل يرجع احد منهم عن دينه سخطة له بعد ان يدخل فيه قال لا قال وكذلك
الايمان اذا خالط بشاشته القلوب لا يسخطه احد . ولهذا قال بعض السلف

[1] كان فى الاصل: دون وهو غلط قطعا
[2] كان فى الاصل: وكلا

عمر بن عبد العزيز او غيره — من جعل دينه غرضا للخصومات اكثر التنقل .
واما اهل السنة والحديث فما يعلم احد من علمائهم ولا صالح عامتهم رجع قط عن قوله
واعتقاده بل هم اعظم الناس صبرا على ذلك وان امتحنوا بأنواع المحن وفتنوا بانواع الفتن
وهذه حال الانبياء وأتباعهم من المتقدمين كأهل الاخدود ونحوهم وكسلف هذه الأمة
من الصحابة والتابعين وغيرهم من الأئمة حتى كان مالك رحمه الله يقول لا تغبطوا
احدا لم يصبه في هذا الامر بلاء يقول ان الله لا بد ان يبتلي المؤمن فان صبر رفع
درجته كما قال تعالى (الم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون
ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) وقال تعالى
(وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون) وقال تعالى (والعصر
ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا
بالصبر) ومن صبر من اهل الاهواء على قوله فذاك لما فيه من الحق اذ لا بد في
كل بدعة عليها طائفة كبيرة من الناس أن يكون فيها من الحق الذي جاء به الرسول
صلى الله عليه وسلم ويوافق عليه اهل السنة والحديث ما يوجب قبولها اذ الباطل المحض
لا يقبل بحال . وبالجملة فالثبات والاستقرار في اهل الحديث والسنة أضعاف
أضعاف اضعاف ما هو عند اهل الكلام والفلسفة بل المتفلسف اعظم اضطرابا وحيرة
في امره من المتكلم لأن عند المتكلم من الحق الذي تلقاه عن الانبياء ما ليس عند المتفلسف
ولهذا تجد مثل ابي الحسين البصري وامثاله أثبت من مثل ابن سينا وامثاله .
وايضا تجد اهل الفلسفة والكلام اعظم الناس افتراقا واختلافا مع دعوى كل منهم
ان الذي يقوله حق مقطوع به قام عليه البرهان واهل السنة والحديث اعظم الناس
اتفاقا وائتلافا وكل من كان من الطوايف اليهم اقرب كان الى الاتفاق والائتلاف
اقرب فالمعتزلة اكثر اتفاقا وائتلافا من المتفلسفة اذ للفلاسفة في الالهيات
والمعاد والنبوات بل وفي الطبيعيات والرياضيات وصفات الافلاك من الاقوال

ما لا يحصيه الا ذو الجلال . وقد ذكر من جمع مقالات الاوائل[1] مثل ابي الحسن الاشعري
في كتاب المقالات ومثل القاضي ابي بكر في كتاب الدقائق من مقالاتهم بقدر ما يذكره
الفارابي وابن سينا وامثالهما اضعافا مضاعفة . واهل الاثبات من المتكلمين مثل
الكلابية والكرامية والاشعرية اكثر اتفاقا وائتلافا من المعتزلة فان في المعتزلة من
الاختلاف وتكفير بعضهم بعضا حتى يكفر التلميذ استاذه من جنس ما بين الخوارج
وقد ذكر من صنف في فضائح المعتزلة من ذلك ما يطول وصفه ولست تجد اتفاقا
وائتلافا الا بسبب اتباع آثار الانبياء من القرآن والحديث وما يتبع ذلك ولا تجد افتراقا
واختلافا الا عند من ترك ذلك وقدم غيره عليه وقال تعالى (ولا يزالون مختلفين الا
من رحم ربك ولذلك خلقهم) فاخبر ان اهل الرحمة لا يختلفون واهل الرحمة هم أتباع
الانبياء قولا وفعلا وهم اهل القرآن والحديث من هذه الامة فمن خالفهم في شيء فاته
من الرحمة بقدر ذلك ولهذا لما كانت الفلاسفة ابعد عن اتباع الأنبيا كانوا أعظم
اختلافا والخوارج والمعتزلة والروافض لما كانوا ايضا أبعد عن السنة والحديث
كانوا أعظم افتراقا في هذه لا سيما الرافضة فانه يقال أنهم اعظم الطوائف اختلافا
وذلك لانهم ابعد الطوائف عن السنة والجماعة بخلاف المعتزلة فانهم أقرب
الى ذلك منهم وكذلك الخوارج أقرب الى ذلك منهم . وابو محمد بن قتيبة في أول
كتاب مختلف الحديث لما ذكر اهل الحديث وأئمتهم واهل الكلام وأئمتهم ففي ذكر
أئمة هؤلاء ووصف اقوالهم وافعالهم ما يبين لكل احد ان اهل الحديث هم اهل
الحق والهدى وان غيرهم أولى بالضلال والجهل والحشو والباطل .
وايضا المخالفون لاهل الحديث هم مظنة فساد الاعمال اما عن سوء عقيدة =
ونفاق واما عن مرض في القلب وضعف ايمان ففيهم من ترك الواجبات واعتداء
الحدود والاستخفاف بالحقوق وقسوة القلب ما هو ظاهر لكل احد وعامة
شيوخهم يرمون بالعظائم وان كان فيهم من هو معروف بزهد وعبادة ففي

[1] المقالات التي عناها المؤلف هنا هي
مقالات غير الاسلاميين وهي المعروفة
بمقالات الفلاسفة يدل على ذلك قوله
اذ للفلاسفة في الالهيات الخ وكذلك
قوله من جمع مقالات الاوائل وهذه
المقالات اكبر من مقالات الاسلاميين
المطبوعة حديثا ذكر ذلك شيخ الاسلام
بن تيمية في منهاج السنة ج ٣ ص ٧٢
وكتاب القاضي ابي بكر بن الطيب
الباقلاني اسمه دقائق الكلام وقد
ذكره المصنف في المنهاج ج ٣ ص ٧٢
وكتبه سليمان الصنيع

زهد بعض العامة من اهل السنة وعبادته ماهوا رجح مما هو فيه ومن المعلوم ان العلم اصل
العمل وصحة الاصول توجب صحة الفروع والرجل لا يصدر عنه فساد العمل الا لشيئين
اما الحاجة واما الجهل فاما العالم بقبح الشيء الغني عنه فلا يفعله اللهم الا من غلب عقله هواه
واستولت عليه المعاصي فذلك لون آخر وحزب ثاني . وايضا انه لا يعرف من اهل
الكلام احد الا وله في الاسلام مقالة يكفر قائلها عموم المسلمين حتى اصحابه وفي التعميم
ما يغني عن التعيين فاي فريق احق بالحشو والضلال من هؤلاء وذلك يقتضي وجود الردة
فيهم كما يوجد النفاق فيهم كثيرا وهذا اذا كان في المقالات الخفية فقد يقال انه فيها مخطئ
ضال لم تقم عليه الحجة التي يكفر صاحبها لكن ذلك يقع في طوائف منهم في الامور الظاهرة
التي تعلم العامة والخاصة من المسلمين انها من دين المسلمين بل اليهود والنصارى يعلمون
أن محمدا صلى الله عليه وسلم بعث بها وكفر مخالفها مثل امره بعبادة الله وحده لا شريك
له ونهى عن عبادة احد سوى الله من الملائكة والنبيين والشمس والقمر والكواكب
والاصنام وغير ذلك فان هذا اظهر شعائر الاسلام ، ومثل امره بالصلوات الخمس وايجابه
لها وتعظيم شأنها ، ومثل معاداته لليهود والنصارى والمشركين والصابئين والمجوس ،
ومثل تحريم الفواحش والربا والخمر والميسر ونحو ذلك ثم تجد كثيرا من رؤسائهم
وقعوا في هذه الامور فكانوا مرتدين وان كانوا قد يتوبون من ذلك ويعودون الى
الاسلام فقد حكي عن الجهم بن صفوان انه ترك الصلاة اربعين يوما لا يرى وجوبها
كرؤساء العشائر مثل الاقرع ابن حابس وعيينة بن حصن ونحوهم ممن ارتد عن
الاسلام ودخل فيهم من كان يتهم بالنفاق ومرض القلب وفيهم من لم يكن كذلك
او يقال هم لما فيهم من العلم يشبهون بعبد الله بن ابي سرح الذي كان كاتب الوحي
فارتد ولحق بالمشركين فاهدر النبي صلى الله عليه وسلم دمه عام الفتح ثم أتى به عثمان
اليه فبايعه على الاسلام . فمن صنف في مذهب المشركين ونحوهم أحسن احواله
ان يكون مسلما فكثير من رؤس هؤلاء هكذا تجده تارة يرتد عن الاسلام ردة

صريحة وتارة يعود اليه مع مرض في قلبه ونفاق وقد يكون له حال ثالثة يغلب الايمان
فيها النفاق لكن قل ان يسلموا من نوع نفاق والحكايات عنهم بذلك مشهورة .
وقد ذكر ابن قتيبة من ذلك طرفا في اول مختلف الحديث وقد حكى اهل المقالات بعضهم
عن بعض من ذلك طرفا كما يذكره ابو عيسى الوراق والنوبختي وابو الحسن الاشعري والقاضي
ابو بكر بن الباقلاني وابو عبد الله الشهرستاني وغيرهم ممن يذكر مقالات اهل الكلام .
وابلغ من ذلك ان منهم من يصنف في دين المشركين والردة عن الاسلام كما صنف
الرازي كتابه في عبادة الكواكب والاصنام واقام الادلة على حسن ذلك ومنفعته
ورغب فيه وهذه ردة عن الاسلام باتفاق المسلمين وان كان قد يكون تاب عاد الى الاسلام
ومن العجب ان اهل الكلام يزعمون ان اهل الحديث والسنة اهل تقليد ليسوا اهل
نظر واستدلال وانهم ينكرون حجة العقل وربما حكوا انكار النظر عن بعض أئمة
السنة وهذا مما ينكرونه عليهم (فيقال) لهم ليس هذا بحق فان اهل السنة والحديث
لا ينكرون ما جاء به القرآن هذا اصل متفق عليه بينهم والله قد امر بالنظر والاعتبار
والتفكر والتدبر في غير آية ولا يعرف عن احد من سلف الامة ولا أئمة السنة
وعلمائها انه انكر ذلك بل كلهم متفقون على الامر بما جاءت به الشريعة من النظر والتفكر
والاعتبار والتدبر وغير ذلك ولكن وقع اشتراك في لفظ النظر والاستدلال
ولفظ الكلام فانهم انكروا ما ابتدعه المتكلمون من باطل نظرهم وكلامهم واستدلالهم
فاعتقدوا أن انكار هذا مستلزم لانكار جنس النظر والاستدلال .
وهذا كما ان كل طائفة من اهل الكلام يسمي ما وضعه اصول الدين وهذا اسم عظيم
والمسمى فيه من فساد الدين ما الله به عليم فاذا انكر اهل الحق والسنة ذلك قال
المبطل قد انكروا اصول الدين وهم لم ينكروا ما يستحق ان يسمى اصول الدين وانما انكروا
ما سماه هذا اصول الدين وهي أسماء سموها هم واباؤهم باسماء ما انزل الله بها من
سلطان فالدين ما شرعه الله ورسوله وقد بين اصوله وفروعه ومن المحال

كان في الاصل « الضرر » ولعل الصواب ما اثبتناه

ان يكون الرسول قد بين فروع الدين دون اصوله كما قد بيناهذا فى غيرهذا الموضع[1]
فهكذا لفظ النظر والاعتبار والاستدلال وعامة هذه الضلالات انما تطرق من لم
يعتصم بالكتاب والسنة كما كان الزهري يقول كان علماؤنا يقولون الاعتصام بالسنة
هو النجاة وقال مالك: السنة سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق .
وذلك ان السنة والشريعة والمنهاج هو الصراط المستقيم الذي يوصل العباد الى الله
والرسول هو الهادى الخريت الدليل فى هذا الصراط كما قال تعالى (انا ارسلناك شاهدا
ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا) وقال تعالى (وانك لتهدى الى صراط
مستقيم صراط الله الذي له ما فى السموات وما فى الارض ألا الى الله تصير الامور)
وقال تعالى (وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله)
وقال عبد الله بن مسعود: خط رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا وخط خطوطا
عن يمينه وشماله ثم قال «هذا سبيل الله وهذه سبل على كل سبيل منها شيطان
يدعو اليه» ثم قرأ (وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق
بكم عن سبيله)[2] واذا تأمل العاقل الذي يرجو لقاء الله هذا المثال وتأمل سائر الطوائف
من الخوارج ثم المعتزلة ثم الجهمية والرافضة، ومن اقرب منهم الى السنة من أهل
الكلام مثل الكرامية والكلابية والأشعرية وغيرهم وان كلا منهم له سبيل يخرج
عما عليه الصحابة وأهل الحديث، ويدعي أن سبيله هو الصواب وجدت أنهم المراد
بهذا المثال الذي ضربه المعصوم الذى لا يتكلم عن الهوى ان هو الا وحي يوحى،
والعجب ان من هؤلاء من يصرح بان عقله اذا عارضه الحديث لا سيما فى أخبار الصفات حمل
الحديث على عقله وصرح بتقديمه على الحديث وجعله ميزانا للحديث فليت شعري
هل عقله هذا كان مصرحا بتقديمه فى الشريعة المحمدية فيكون من السبل المأمور
باتباعه أم هو عقل مبتدع جاهل ضال حائر خارج عن السبيل فلا حول ولا قوة الا
بالله . وهؤلاء الاتحادية وامثالهم انما أتوا من قلة العلم والايمان بصفات الله

[1] يشير الى ان ذلك [illegible] الوصول ان اصول الدين وفروعه عن الرسول [illegible] عدة مرات

[2] رواه الامام احمد فى مسنده والنسائي وابن حبان والحاكم من عدة طرق عن ابن مسعود اهـ قاله ابن كثير فى تفسيره

التى يتميز بها عن المخلوقات وقلة اتباع السنة وطريقة السلف فى ذلك بل قد يعتقدون
من التجهم ما ينافى السنة تلقيا لذلك عن متفلسف او متكلم فيكون ذلك الاعتقاد صادا
لهم عن سبيل الله كلما ارادت قلوبهم ان تتقرب الى ربها وتسلك الصراط المستقيم اليه
وتعبده كما فطروا عليه وكما بلغتهم الرسل من علوه وعظمته صرفتهم تلك العوائق
المضلة عن ذلك حتى تجد خلقا من مقلدة الجهمية يوافقهم بلسانه واما قلبه فعلى
الفطرة والسنة، واكثرهم لا يفهمون ما النفي الذي يقولونه بالسنتهم بل يجعلونه
تنزيها مطلقا مجملا ومنهم من لا يفهم قول الجهمية بل يفهم من النفي معنى صحيحا ويعتقد
ان المثبت يثبت نقيض ذلك ويسمع من بعض الناس ذكر ذلك مثل ان يفهم من
قولهم ليس فى جهة ولا له مكان ولا هو فى السماء انه ليس فى جوف السموات وهذا
معنى صحيح وايمانه بذلك حق ولكن يظن ان الذين قالوا هذا النفي اقتصروا على
ذلك وليس كذلك بل مرادهم انه ما فوق العرش شئ اصلا ولا فوق السموات الا
عدم محض ليس هناك آله يعبد ولا رب يدعى ويسأل ولا خالق خلق الخلائق
ولا عرج بالنبي الى ربه أصلا هذا مقصودهم، وهذا هو الذي اوقع الاتحادية
فى قولهم هو نفس الموجودات اذ لم تجد قلوبهم موجودا الا هذه الموجودات اذا لم
يكن فوقها شئ آخر وهذا من المعارف الفطرية الشهودية الوجودية[1] أنه ليس
الا هذا الوجود المخلوق أو وجود آخر مباين له متميز عنه لا سيما اذا علموا ان
الافلاك مستديرة وان الأعلى هو المحيط فانهم يعلمون انه ليس الا هذا الوجود
المخلوق او موجود فوقه فاذا اعتقدوا مع ذلك انه ليس هناك وجود آخر ولا فوق
العالم شئ لزم ان يقولوا هو[2] هذا الوجود المخلوق كما قالت الاتحادية وهذه بعينها
حجة الاتحادية وهذا بعينه مشرب قدماء الجهمية وحدثاؤهم كما يقولون هو
فى كل مكان وليس هو فى مكان ولا يختص بشئ يجمعون دائما بين القولين
المتناقضين لانهم يريدون اثبات موجود وليس عندهم شئ فوق العالم

[1] يعني الوجدانية التى تحس بالاحساس الباطن .

[2] اى الرب الخالق

فتعين ان يكون هو العالم أو يكون فيه ثم يريدون اثبات شيء غير المخلوق فيقولون
ليس فى العالم كما ليس خارجاً عنه او يقولون هو وجود المخلوقات دون أعيانها أو يقولون
هو الوجود المطلق فيثبتون فيما يثبتونه اذ كانت قلوبهم متشابهة فى النفي والتعطيل
وهو انكار وجود حقيقي مباين للمخلوقات عال عليها وانما يفترقون فيما يثبتونه ويكرهون
فطرهم وعقولهم على قبول المحال المتناقض فيقولون هو فى العالم وليس هو فيه
او هو العالم وليس اياه او يغلبون الاثبات فيقولون بل هو نفس الوجود او النفي
فيقولون ليس فى العالم ولا خارجا عنه او يدينون بالاثبات فى حال وبالنفي فى حال ، اذا غلب
على احدهم عقله غلب النفي وهو أنه ليس فى العالم واذا غلب عليه الوجد والعبادة رجح
الإثبات وهو أنه فى هذا الوجود او هو هو ولا تجدهم الا على احد هذه الوجوه الاربعة
وان تنوعوا فيما يثبتونه كما ذكرته لك فهم مشتركون فى التعطيل . وقد رأيت منهم
ومن كتبهم وسمعت منهم وممن يخبر عنهم ما شاء الله وكلهم على هذه الاحوال ضالون
عن معبودهم والههم وخالقهم ثم رأيت كلام السلف والأئمة كلهم يصفونهم بمثل
ذلك فمن الله علينا باتباع سبيل المؤمنين وامنا بالله وبرسوله وكل هؤلاء يجد نفسه
مضطربة فى هذا الاعتقاد لتناقضه فى نفسه وانما يسكن بعض اضطرابه نوع تقليد
لمعظم عنده او خوفه من مخالفة أصحابه أو زعمه ان هذا من حكم الوهم والخيال
دون العقل . وهذا التناقض فى اثبات هذا الموجود الذى ليس بخارج عن العالم
ولا هو العالم الذى ترده فطرهم وشهودهم وعقولهم غيرُ ما فى الفطرة من الاقرار بصانع
فوق العالم فان هذا اقرار الفطرة بالحق المعروف وذاك انكار الفطرة بالباطل المنكر
ومن هذا الباب ما ذكره محمد بن طاهر المقدسى فى حكايته المعروفة ان الشيخ ابا جعفر
الهمدانى حضر مرة والاستاذ ابو المعالى يذكر على المنبر كان الله ولا عرش ونفى الاستواء
على العرش على ما عرف من قوله وان كان فى آخر عمره رجع عن هذه العقيدة ومات على
دين امه وعجائز نيسابور قال فقال الشيخ ابو جعفر يا استاذ دعنا من ذكر العرش

يعنى لان ذلك انما جاء فى السمع أخبرنا عن هذه الضرورة التى نجدها فى قلوبنا ما قال عارف
قط يا الله الا وجد من قلبه معنى يطلب العلو لا يلتفت يمنة ولا يسرة فكيف نرفع هذه
الضرورة عن قلوبنا فصرخ أبو المعالى ووضع يده على رأسه وقال حيرنى الهمدانى
أو كما قال ونزل . فهذا الشيخ تكلم بلسان جميع بنى آدم فأخبر ان العرش والعلم
باستواء الله عليه انما اخذ من جهة الشرع وخبر الكتاب والسنة بخلاف الاقرار
بعلو الله على الخلق من غير تعيين عرش ولا استواء فان هذا أمر فطري ضروري
نجده فى قلوبنا نحن وجميع من يدعو الله تعالى فكيف ندفع هذه الضرورة عن قلوبنا .
والجارية التى قال لها النبي صلى الله عليه وسلم «اين الله» قالت فى السماء قال «أعتقها
فانها مؤمنة» جارية أعجمية أرأيت من فقهها وأخبرها بما ذكرته ، وانما اخبرت
عن الفطرة التى فطرها الله تعالى واقرها صلى الله عليه وسلم على ذلك وشهد لها بالايمان
فليتأمل العاقل ذلك يجده هاديا له على معرفة ربه والاقرار به كما ينبغى لا ما
احدثه المتعمقون والمتشدقون ممن سول لهم الشيطان وأملى لهم ۝
ومن امثلة ذلك ان الذين لبسوا الكلام بالفلسفة من اكابر المتكلمين تجدهم
يعدون من الاسرار المصونة والعلوم المخزونة ما اذا تدبره من له ادنى عقل
ودين وجد فيه من الجهل والضلال ما لم يكن يظن انه يقع فيه هؤلاء حتى قد يكذب
بصدور ذلك عنهم مثل تفسير حديث المعراج الذى لأبى عبد الله الرازي الذى
احتذى فيه حذو ابن سينا وعين القضاة الهمدانى فانه روى حديث المعراج
بسياق طويل واسماء عجيبه وترتيب لا يوجد فى شيء من كتب المسلمين لا في
الاحاديث الصحيحة ولا الحسنة ولا الضعيفة المروية عند اهل العلم وانما وضعه
بعض السؤال والطرقية او بعض شياطين الوعاظ او بعض الزنادقة ثم
انه مع الجهل بحديث المعراج الموجود فى كتب الحديث والتفسير والسيرة وعدوله
عما يوجد فى هذه الكتب الى ما لم يسمع من عالم ولا يوجد فى اثارة من علم فسره

أبو جعفر الهمدانى

أي أخبرني عن فقهها الخ

بلغ

بتفسير الصابئة الضالة المنجمين وجعل مضمونه معراج الرسول ترقيه بفكره الى الافلاك وان الأنبياء الذين رآهم هم الكواكب فآدم هو القمر وادريس هو الشمس والانهار الاربعة هي العناصر الاربعة وانه عرف الوجود الواجب المطلق ثم انه يعظم ذلك ويجعله من الاسرار والمعارف التي يجب صونها وسترها عن افهام المؤمنين وعلمائهم حتى أن طائفة ممن كانوا يعظمونه لما رأوا ذلك تعجبوا منه غاية التعجب وجعل بعض المتعصبين له يدفع ذلك حتى أروه النسخة بخط بعض المشايخ المعروفين الخبيرين بحاله وقد كتبها في ضمن كتابه الذي سماه المطالب العاليه وجمع فيه عامة آراء الفلاسفة والمتكلمين.

وتجد اباحامد الغزالي مع ان له من العلم بالفقه والتصوف والكلام والاصول وغير ذلك مع الزهد والعبادة وحسن القصد وتبحره في العلوم الاسلامية اكثر من اولئك يذكر في كتاب الاربعين ونحوه كتابه المضنون به على غير اهله فاذا طلبت ذلك الكتاب واعتقدت فيه اسرار الحقائق وغاية المطالب وجدته قول الصابئة المتفلسفة بعينه قد غيرت عباراته وترتيبه ومن لم يعلم حقائق مقالات العباد ومقالات أهل الملل يعتقد ان ذلك هو السر الذي كان بين النبي صلى الله عليه وسلم وابي بكر وانه هو الذي يطلع عليه المكاشفون الذين ادركوا الحقائق بنور الهي فان اباحامد كثيرا ما يحيل في كتبه على ذلك النور الالهي وعلى ما يعتقد انه يوجد للصوفية والعُبّاد برياضتهم وديانتهم من ادراك الحقائق وكشفها لهم حتى يزنوا بذلك ما ورد به الشرع وسبب ذلك أنه كان قد علم بذكائه وصدق طلبه ما في طريق المتكلمين والمتفلسفة من الاضطراب وآتاه الله ايمانا مجملا كما اخبر به عن نفسه وصار يتشوف الى تفصيل الجملة فيجد في كلام المشايخ والصوفية ما هو اقرب الى الحق وأولى بالتحقيق من كلام الفلاسفة والمتكلمين والامر كما وجده لكن لم يبلغه من الميراث النبوي الذي عند خاصة الأمة من العلوم والأحوال وما وصل اليه السابقون الأولون من العلم والعبادة حتى نالوا من المكاشفات العلمية والمعاملات العبادية ما لم ينله أولئك فصار يعتقد ان تفصيل تلك الجملة يحصل بمجرد تلك الطريق حيث لم يكن عنده طريق غيرها لانسداد الطريقة

الطريقة الخاصة السنية النبوية بما كان عنده من قلة العلم بها ومن الشبهات التي تقلدها عن المتفلسفة والمتكلمين حتى حالوا بها بينه وبين تلك الطريقة ولهذا كان كثير الذم لهذه الحوائل ولطريقة العلم وانما ذاك[1] لعلمه الذي سلكه والذي حجب به عن حقيقة المتابعة للرسالة وليس هو بعلم وانما هو عقائد فلسفية وكلامية كما قال السلف: العلم بالكلام هو الجهل وكما قال ابو يوسف[2] من طلب العلم بالكلام تزندق ولهذا صار طائفة ممن يرى فضيلته وديانته يدفعون وجود هذه الكتب عنه حتى كان الفقيه أبو محمد بن عبد السلام[3] فيما علقه عنه انه ينكر ان يكون بداية الهداية من تصنيفه ويقول انما هو تقول عليه مع ان هذه الكتب مقبولها أضعاف مردودها، والمردود منها أمور مجملة وليس فيها عقائد ولا اصول الدين. واما «المضنون به على غير اهله» فقد كان طائفة اخرى من العلماء يكذبون به عنه واما اهل الخبرة به وبحاله فيعلمون ان هذا كله كلامه لعلمهم بمواد كلامه ومشابهة بعضه بعضا ولكن كان هو وامثاله كما قدمت مضطربين لا يثبتون على قول ثابت لأن عندهم من الذكاء والطلب ما يتشوفون به الى طريقة خاصة الخلق ولم يقدر لهم سلوك طريق خاصة هذه الامة الذين ورثوا عن الرسول صلى الله عليه وسلم العلم والايمان وهم اهل حقائق الايمان والقرآن كما قدمناه واهل الفهم لكتاب الله والعلم والفهم لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم واتباع هذا العلم بالاحوال والاعمال المناسبة لذلك كما جاءت به الرسالة ولهذا كان الشيخ ابو عمرو ابن الصلاح يقول فيما رأيته بخطه: ابو حامد كثر القول فيه ومنه فاما هذه الكتب يعني المخالفة للحق فلا يلتفت اليها واما الرجل فيسكت عنه ويفوض امره الى الله ومقصوده انه لا يذكر بسوء لأن عفو الله عن الناسي والمخطئ وتوبة المذنب تأتي على كل ذنب وذلك من اقرب الاشياء الى هذا وامثاله ولأن مغفرة الله بالحسنات منه ومن غيره وتكفيره الذنوب بالمصائب تأتي على محقق الذنوب فلا يقدم الانسان على انتفاء ذلك في حق معين الا ببصيرة لا سيما مع كثرة الاحسان والعلم الصحيح والعمل الصالح والقصد الحسن وهو رحمه الله يميل الى الفلسفة لكنه أظهره



[1] اى ذمه يقع على علم خاص هو ما عرفه من العلوم الكلامية والفلسفية

[2] هو القاضي يعقوب بن ابراهيم صاحب ابي حنيفة

[3] الشهير بالعز بن عبد السلام

ابو عبد الله المازرى فى كتاب افرده [illegible] ابو بكر الطرطوشى [illegible] ورد عليه [illegible]

فى قالب التصوف والعبارات الاسلامية ولهذا رد عليه علماء المسلمين حتى أخص أصحابه
به ابو بكر بن العربى قال : شيخنا ابو حامد دخل فى بطن الفلاسفة ثم اراد ان يخرج
منهم فما قدر ، وقد حكى عنه من القول بمذاهب الباطنية ما يوجد تصديق ذلك فى كتبه ورد
عليه ابو الحسن المرغينانى رفيقه رد عليه كلامه فى مشكاة الأنوار ونحوه ورد عليه الشيخ
ابو البيان والشيخ ابو عمرو بن الصلاح وحذر من كلامه فى ذلك هو وابو زكريا النواوى وغيرهما
ورد عليه ابن عقيل وابن الجوزى وأبو محمد المقدسي وغيرهم . وهذا باب واسع فان
الخارجين[1] عن طريقة السابقين الأولين من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان
لهم فى كلام الرسول ثلاث طرق طريقة التخييل والتأويل والتجهيل (فأهل التخييل)
هم الفلاسفة والباطنية الذين يقولون انه خيل أشياء لاحقيقة لها فى الباطن وخاصية
النبوة عندهم التخييل ، (والتأويل) طريقة المتكلمين من الجهمية والمعتزلة وأتباعهم
يقولون ان ما قاله له تأويلات تخالف ما دل عليه اللفظ ، وما يفهم منه وهو وان كان لم يبين
مراده ولا بين الحق الذى يجب اعتقاده فكان مقصوده ان هذا يكون سبباً للبحث
بالعقل حتى يعلم الناس الحق بعقولهم ويجتهدوا فى تأويل ألفاظه الى ما يوافق قولهم
ليثابوا على ذلك فلم يكن قصده لهم البيان والهداية والارشاد والتعليم بل قصد
التعمية والتلبيس ولم يعرفهم الحق حتى ينالوا الحق بعقلهم ويعرفوا حينئذ ان كلامه
لم يقصد به البيان فيجعلون حالهم فى العلم مع عدمه خيراً من حالهم مع وجوده وأولئك
المتقدمون كابن سينا وامثاله ينكرون على هؤلاء ويقولون : ألفاظه كثيرة صريحة لا
تقبل التأويل لكن كان قصده التخييل وان يعتقد الناس الأمر على خلاف ما هو عليه ،
(واما الصنف الثالث) الذين يقولون انهم أتباع السلف فيقولون أنه لم يكن الرسول يعرف
معنى ما انزل عليه من هذه الآيات ولا اصحابه يعلمون معنى ذلك بل لازم قولهم انه هو
نفسه لم يكن يعرف معنى ما تكلم به من أحاديث الصفات بل يتكلم بكلام لا يعرف معناه
والذين ينتحلون مذهب السلف يقولون انهم لم يكونوا يعرفون معاني النصوص

[1] اى من المتفلسفة والمتكلمين

يقولون من ذلك فى الرسول وهذا القول من ابطل الاقوال ومما يعتمدون عليه من ذلك
ما فهموه من قوله تعالى (وما يعلم تأويله الا الله) ويظنون أن التأويل هو المعنى الذى
يسمونه هم تأويلا وهو مخالف للظاهر ثم هؤلاء قد يقولون تجرى النصوص على ظاهرها
وتأويلها لا يعلمه الا الله ، ويريدون بالتأويل ما يخالف الظاهر وهذا تناقض منهم
وطائفة يريدون بالظاهر ألفاظ النصوص فقط والطائفتان غالطتان فى فهم الآية .
وذلك ان لفظ التأويل قد صار بسبب تعدد الاصطلاحات له ثلاث معان (احدها)
ان يراد بالتأويل حقيقة ما يؤول اليه الكلام وان وافق ظاهره وهذا هو المعنى الذى يراد
بلفظ التأويل فى الكتاب والسنة كقوله تعالى (هل ينظرون الا تأويله يوم يأتى تأويله
يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق) ومنه قول عائشة : كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول فى ركوعه وسجوده : سبحانك اللهم ربنا ولك الحمد اللهم
اغفر لى يتأول القرآن ، و[الثانى أن] يراد بلفظ التأويل التفسير وهو اصطلاح كثير
من المفسرين ولهذا قال مجاهد امام التفسير : ان الراسخين فى العلم يعلمون تأويل
المتشابه فانه اراد بذلك تفسيره وبيان معانيه وهذا مما يعلم الراسخون . (والثالث)
ان يراد بلفظ التأويل صرف اللفظ عن ظاهره الذى يدل عليه ظاهره الى ما يخالف ذلك لدليل
منفصل يوجب ذلك وهذا التأويل لا يكون الا مخالفا لما يدل عليه اللفظ ويبينه .
وتسمية هذا تأويلا لم يكن فى عرف السلف وانما سمى هذا وحده تأويلا طائفة من المتأخرين
الخائضين فى الفقه وأصوله والكلام وظن هؤلاء أن قوله تعالى (وما يعلم تأويله الا الله)
يراد به هذا المعنى ثم صاروا فى هذا التأويل على طريقين قوم يقولون انه لا يعلمه الا الله
وطائفة يقولون ان الراسخين فى العلم يعلمونه وكلا الطائفتين مخطئة فان هذا التأويل
فى كثير من المواضع أو أكثرها وعامتها من باب تحريف الكلم عن مواضعه من جنس تأويلات
القرامطة والباطنية وهذا هو التأويل الذى اتفق سلف الامة وأئمتها على ذمه وصاحوا
باهله من أقطار الأرض ورموا فى آثارهم بالشهبان[1] وقد صنف الامام احمد كتابا فى

كذا فى الاصل منفصل

[1] جمع شهاب والمراد الحجج المحرقة لاباطيلهم

الرد على هؤلاء وسماه الرد[1] على الزنادقة والجهمية فيما شكت فيه من متشابه القرآن
وتاولته على غير تاويله فعاب احمد عليهم انهم انهم تفسير القرآن بغير ما هو معناه . ولم يقل
احمد ولا أحد من الأئمة ان الرسول لم يكن يعرف معاني آيات الصفات وأحاديثها
ولا قالوا ان الصحابة والتابعين لهم باحسان لم يعرفوا تفسير القرآن ومعانيه كيف
وقد امر الله بتدبر كتابه فقال تعالى (كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته)
ولم يقل بعض آياته وقال (افلا يتدبرون القرآن) وقال (أفلم يدبروا القول) وامثال
ذلك من النصوص التى تبين أن الله يحب ان يتدبر القرآن كله وأنه جعله نورًا وهدى
لعباده ومحال ان يكون ذلك مما لا يفهم معناه وقد قال ابو عبد الرحمن السلمي حدثنا
الذين كانوا يقرئوننا القرآن عثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود أنهم كانوا إذا تعلموا
من النبي صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم نجاوزها حتى نتعلم ما فيها من العلم والعمل قالوا
فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعا . وهذه الامور مبسوطة فى غير هذا الموضع
والمقصود هنا انه من يقول فى الرسول وبيانه للناس [أنه لا يفهم ولا يعرف معناه] مما هو
من قول الملاحدة فكيف يكون قوله فى السلف حتى يدعي اتباعه وهو مخالف للرسول والسلف
عند نفسه وطائفته فانه أظهر من قول النفاة ما كان الرسول يرى عدم اظهاره لما فيه من فساد
الناس واما عند اهل العلم والايمان فلا . وقول النفاة باطل باطنا وظاهرًا والرسول صلى الله
عليه وسلم ومتبعوه منزهون عنه بل مات صلى الله عليه وسلم وتركنا على المحجة البيضاء ليلها
كنهارها لا يزيغ عنها الا هالك وأخبرنا أن كل ما حدث بعده من محدثات الامور فهو بدعة
وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار . وربما أنشد بعض اهل الكلام بيت مجنون
بنى عامر . وكل يدعي وصلا بليلى ∴ وليلى لا تقر لهم بذاكا
فمن قال من الشعر ما هو حكمة أو تمثل ببيت من الشعر فيما بين انه حق لكان قريبا اما
اثبات الدعوى بمجرد كلام منظوم من شعر أو غيره فيقال لصاحبه ينبغي أن تبين ان
السلف لا يقرون بمن انتحلهم وهذا ظاهر فيما ذكره هو وغيره ممن يقولون عن السلف

(١) قلت هو جزء صغير طبع عن نسخة المكتبة المحمودية بالمدينة المنورة على نفقة محمد سعيد قدا وشركاه بمكة المكرمة

ما لم يقولوه ولم ينقل عنهم أحد له معرفة بحالهم وعدل فيما نقل فان الناقل لابد ان يكون عالما
عدلا فان فرض أن احدًا نقل مذهب السلف كما يذكره فاما أن يكون قليل المعرفة بآثار
السلف كابي المعالى وابي حامد وابن الخطيب وامثالهم ممن لم يكن له من المعرفة بالحديث
ما يعد به من عوام اهل الصناعه فضلا عن خواصها ولم يكن الواحد من هؤلاء يعرف
البخاري ومسلما وأحاديثهما الا بالسماع كما يذكر ذلك العامة ولا يميزون بين الحديث الصحيح
المتواتر عند اهل العلم بالحديث والحديث المفترى المكذوب وكتبهم اصدق شاهد بذلك ففيها
عجائب وتجد عامة هؤلاء الخارجين عن منهاج السلف من المتكلمة والمتصوفة يعترف بذلك
اما عند الموت واما قبل الموت والحكايات فى هذا كثيرة معروفة . هذا ابو الحسن الاشعري
نشأ فى الاعتزال اربعين عاما يناظر عليه ثم رجع عن ذلك وصرح بتضليل المعتزله وبالغ
فى الرد عليهم . وهذا أبو حامد الغزالى [مع فرط ذكائه وتألهه ومعرفته بالكلام والفلسفه
وسلوكه طريق الزهد والرياضة والتصوف ينتهى فى هذه المسائل الى الوقف والحيرة
ويحيل فى آخر أمره على طريقة اهل الكشف وان كان بعد ذلك رجع الى طريقة اهل الحديث]
وصنف الجام العوام عن علم الكلام [وهذا ابو عبد الله محمد بن عمر الرازي قال فى كتابه الذي
صنفه فى اقسام اللذات] لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي
عليلا ولا تروي غليلا ورأيت اقرب الطرق طريقة القرآن [اقرأ فى الاثبات الرحمن على
العرش استوى - اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه - واقرأ فى النفي
ليس كمثله شيء - ولا يحيطون به علما - هل تعلم له سميا . ثم قال ومن جرب مثل تجربتي
عرف مثل معرفتي] وكان يتمثل كثيرا

نهاية اقدام العقول عقال ... واكثر سعي العالمين ضلال
وارواحنا فى وحشة من جسومنا ... وحاصل دنيانا اذى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا ... سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

وهذا امام الحرمين ترك ما كان ينتحله ويقرره واختار مذهب السلف [وكان يقول

يا اصحابنا لا تشتغلوا بالكلام فلو عرفت ان الكلام يبلغ بي ما بلغ ما اشتغلت به . وقال عند موته لقد خضت البحر الخضم وخليت اهل الاسلام وعلومهم ودخلت في الذي نهوني عنه والآن ان لم يتداركني ربي برحمته فالويل لابن الجويني وها انا ذا اموت على عقيدة أمي اوقال عقيدة عجائز نيسابور . وهذا ابو عبد الله محمد بن عبد الكريم الشهرستاني قال انه لم يجد عند الفلاسفة والمتكلمين الا الحيرة والندم] وكان ينشد

لعمري لقد طفت المعاهد كلها وسيرت طرفي بين تلك المعالم

فلم أر الا واضعا كف حائر على ذقن اوقارعا سن نادم

وابن الفارض من متأخري الاتحادية صاحب القصيدة التائية المعروفة بنظم السلوك وقد نظم فيها الاتحاد نظما رائق اللفظ فهو اخبث من لحم خنزير في صينية من ذهب وما احسن تسميتها بنظم الشكوك الله اعلم بها وبما اشتملت عليه ونفقت كثيرا وبالغ اهل العصر في تحسينها والاعتداد بما فيها من الاتحاد ، لما حضرته الوفاة أنشد

ان كان منزلتي في الحب عندكم ما قد لقيت لقد ضيعت أيامي

أمنية ظفرت نفسي بها زمنا واليوم أحسبها أضغاث أحلامي

ولقد كان من اصول الايمان ان يثبت الله العبد بالقول الثابت في الحياة الدنيا في الآخرة كما قال تعالى (ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي اكلها كل حين باذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتفكرون ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء ۞ والكلمة أصل العقيدة فان الاعتقاد هو الكلمة التي يعتقدها المرء وأطيب الكلام والعقائد كلمة التوحيد واعتقاد أن لا آله الا الله وأخبث الكلم والعقائد كلمة الشرك وهو اتخاذ آلهة مع الله فان ذلك باطل لا حقيقة له . ولهذا قال سبحانه (ما لها من قرار) ولهذا كلما بحث الباحث وعمل العامل على هذه الكلمات والعقائد الخبيثة

كذا في الاصل : وانق[1]

ألم تركيف

يتذكرون

لا يزداد الا ضلالا وبعدا عن الحق وعلما ببطلانها كما قال تعالى (والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب او كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا اخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور) فذكر سبحانه مثلين أحدهما مثل الكفر والجهل المركب الذي يحسبه صاحبه موجودا او يكون خيالا معدوما كالسراب وان الحي[1] عطشان الى الحق كعطش الجسد الى الماء فاذا طلب ما ظنه ماء وجده سرابا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب وهكذا تجد عامة هؤلاء الخارجين عن السنة والجماعة . والمثل الثاني مثل الكفر والجهل البسيط الذي لا يتبين فيه حق ولا يرى فيه هدى والكفر المركب مستلزم للبسيط وكل كفر فلا بد فيه من جهل مركب فضرب سبحانه المثلين بذلك يبين حال الاعتقاد الفاسد ويبين حال عدم معرفة الحق وهو يشبه حال المغضوب عليهم والضالين [وهما] حال المصمم على الباطل حتى يحل به العذاب وحال الضال الذي لا يرى طريق الهدى فنسأل الله العظيم العظيم ان يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة وان يرزقنا الاعتصام بالكتاب والسنة . ومن امثلة ما ينسبه كثير من اتباع المشايخ والصوفية الى المشايخ الصادقين من الكذب والمحال او يكون من كلامهم المتشابه الذي تأولوه على غير تأويله أو يكون من غلطات بعض الشيوخ وزلاتهم او من ذنوب بعضهم وخطأهم مثل كثير من البدع والفجور الذي يفعله بعضهم بتأويل سائغ او بوجه غير سائغ فيعفى عنه او يتوب او يكون منه ومن غيره حسنات يغفر له بها أو مصائب يكفر عنه بها أو يكون من كلام المتشبهين بأولياء الله من ذوي الزهادات والعبادات والمقامات[2] وليس هو من اولياء الله المتقين بل من الجاهلين الظالمين المعتدين او المنافقين او الكافرين وهذا كثير ملأ العالم تجد كل قوم يدعون من الاختصاص بالاسرار والحقائق ما لا يدعي المرسلون وان ذلك عند خواصهم وأن ذلك لا يقابل الا بالتسليم ويحتجون لذلك باحاديث موضوعة وتفسيرات باطلة

[1] كذا في الاصل : الحق

[2] كذا في الاصل : والمقالات

مثل قولهم عن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتحدث هو وابو بكر بحديث وكنت كالزنجي
بينهما فيجعلون عمر مع النبي صلى الله عليه وسلم وصديقه كالزنجي وهو حاضر يسمع الكلام
ثم يدعي احدهم[١] انه علم ذلك[٢] بما قذف فى قلبه ويدعى كل منهم ان ذلك هو ما يقوله من الزور
والباطل ولو ذكرت ما فى هذا الباب من الاصناف لطال فمنهم من يجعل للشيخ قصائد
يسميها جنيب القرآن ويكون وجده بها وفرحه بمضمونها اعظم من القرآن ويكون
فيها من الكذب والضلال امور ومنهم من يجعل له قصائد فى الاتحاد وأنه خالق جميع
الخلق وخلق السموات والارض وانه يُسجد له ويعبد . ومنهم من يصف الرب فى
قصائده بما نقل فى الموضوعات من اصناف التمثيل والتكييف والتجسيم التى هى كذب
مفترى ، وكفر صريح مثل مواكلته[١] ومشاربته[١] ومماشاته[١] ومعانقته[١] ونزوله[١] الى الارض
وقعوده[١] فى بعض رياض الأرض ونحو ذلك ويجعل كل منهم ذلك من الاسرار المخزونة
والعلوم المصونة التى تكون لخواص اولياء الله المتقين . ومن امثلة ذلك انك تجد
عند الرافضة والمتشيعة ومن اخذ عنهم من دعوى علوم الأسرار والحقائق التى
يدعون أخذها عن اهل البيت إما من العلوم الدينية وإما من علم الحوادث الكائنة
ما هو عندهم من أجل الامور التى يجب التواصى بكتمانها والايمان بما لا يعلم حقيقته
من ذلك وجميعها كذب مختلق وافك مفترى فان هذه الطائفة من اكثر الطوائف
كذبا وادعاء للعلم المكتوم ولهذا انتسبت اليهم الباطنية والقرامطة وهؤلاء خرج أولهم
فى زمن امير المؤمنين على بن ابى طالب رضي الله عنه وصاروا يدعون أنه خُصّ بأسرار
من العلوم والوصية حتى كان يسأله عن ذلك خواص أصحابه فيخبرهم بانتفاء ذلك ولما
بلغه[٢] ان ذلك قد قيل كان يخطب الناس وينفى ذلك وقد خرج اصحاب الصحيح كلام علي
هذا من غير وجه مثل ما فى الصحيح عن ابى جحيفة قال سألت عليا هل عندكم شيء ليس
فى القرآن فقال لا والذى فلق الحبة وبرأ النسمة ما عندنا الا ما فى القرآن إلا فهما
يعطيه الله الرجل فى كتابه وما فى هذه الصحيفة (قلت) وما فى الصحيفة قال :

١ احد المتصوفة
٢ ما يدعيه سرا وحقيقة

١ هذه الضمائر كلها عائدة على الرب

٢ اى على بن ابى طالب

العقل[١] وفكاك الأسير وألا يقتل مسلم بكافر ولفظ البخاري هل عندكم شيء من الوحي
غير ما فى كتاب الله ؟ قال : لا ، والذى خلق الحبة وبرأ النسمة ما أعلمه إلا فهما يعطيه
الله رجلا فى القرآن ، وفى الصحيحين عن ابراهيم التيمى عن ابيه — وهذا من أصح
اسناد على وجه الارض — قال ما عندنا شيء الا كتاب الله وهذه الصحيفة عن
النبي صلى الله عليه وسلم «المدينة حرم ما بين عير الى ثور» وفى رواية لمسلم : خطبنا
علي بن ابى طالب فقال : من زعم أن عندنا كتابا نقرؤه الا كتاب الله وما فى هذه الصحيفة
— قال وصحيفته معلقة فى قراب سيفه — فقد كذب فيها اسنان الابل وأشياء
من الجراحات وفيها قال النبي صلى الله عليه وسلم «المدينة حرم» الحديث . واما الكذب
والأسرار التى يدعونها عن جعفر الصادق فمن اكبر الأشياء [كذبا] حتى يقال ما كذب
على أحد ما كذب على جعفر رضى الله عنه ومن هذه الأمور المضافة اليه كتاب الجفر
الذى يدعون انه كتب فيه الحوادث والجفر ولد الماعز يزعمون أنه كتب ذلك فى جلده
وكذلك كتاب البطاقة الذي يدعيه ابن أحلى ونحوه من المغاربة ومثل كتاب الجدول
فى الهلال والهفت عن جعفر وكثير من تفسير القرآن وغيره ومثل كتاب رسائل اخوان
الصفا الذى صنفه جماعة فى دولة بنى بويه ببغداد وكانوا من الصابئة[١] المتفلسفة
المتحنفة[١] جمعوا بزعمهم بين دين الصابئة المبدلين وبين الحنيفية وأتوا بكلام
المتفلسفة وبأشياء من الشريعة وفيه من الكفر والجهل شيء كثير ومع هذا فطائفة
من الناس من بعض أكابر قضاة النواحى يزعم أنه من كلام جعفر الصادق وهذا قول
زنديق وتشنيع جاهل . ومثل ما يذكره بعض العامة من ملاحم ابن غنضب ويزعمون
أنه كان معلما للحسن والحسين وهذا شيء لم يكن فى الوجود باتفاق اهل العلم ، وملاحمه[٢]
انما صنفها بعض الجهال فى دولة نور الدين ونحوها وهو شعر فاسد نظم جاهل ٥
وكذلك عامة هذه الملاحم المروية بالنظم ونحوه عامتها من الاكاذيب وقد احدث فى زماننا
من القضاة والمشايخ غير واحدة منها وقويت بعض هؤلاء على ذلك بعد ان ادعى قدمها

١ اى الدية التى فى القتل

عن على

١ كان فى الاصل الصابئية

١ ... بقوله جمعوا

٢ اى ملاحم ابن غنضب

وقلت بل أنت صنفتها ولبسها على بعض ملوك المسلمين لما كان المسلمون محاصري عكة وكذلك
غيره من القضاة وغيرهم لبسوا على غير هذا الملك وباب الكذب فى الحوادث الكونية اكثر منه
فى الامور الدينية لان تشوف الذين يُغلّبون الدنيا على الدين الى ذلك اكثر وان كان لاهل الدين
الى ذلك تشوف لكن تشوفهم الى الدين أقوى واولٰئك ليس لهم من الفرقان بين الحق والباطل
من النور ما لاهل الدين فلهذا اكثر الكذابون فى ذلك ونفق منه شئ كثير وأُكلت به أموال
عظيمة بالباطل وقُتلت به نفوس كثيرة من المتشوفة الى المُلك ونحوها ولهذا ينوعون طرق
الكذب فى ذلك ويتعمدون الكذب فيه تارة بالاحالة على الحركات والاشكال الجثمانية الالهية
من حركات الافلاك والكواكب والشهب والرعود والبروق والرياح وغير ذلك وتارة بما
يحدثونه هم من الحركات والأشكال كالرمل والحصا والشعير والقرعة باليد ونحو ذلك مما
هو من جنس الاستقسام بالأزلام فانهم يطلبون علم الحوادث بما يفعلونه من الاستقسام
بها سواء كانت قداحا وحصا وغير ذلك مما ذكره اهل العلم بالتفسير. فكل ما يحدثه
الانسان بحركة من تغيير شئ من الاجسام ليستخرج به علم ما يفعله فهو من هذا الجنس
بخلاف الفأل الشرعي وهو الذي كان يعجب النبي صلى الله عليه وسلم وهو ان يخرج متوكلا
على الله فيسمع الكلمة الطيبة وكان يعجبه الفال ويكره الطيرة لان الفال تقوية لما فعله
باذن الله والتوكل عليه، والطيرة معارضة لذلك فيكره الانسان ان يتطير، وانما تضر
الطيرة من تطير لانه أضر نفسه، فاما المتوكل على الله فلا وليس المقصود ذكر هذه الأمور
وسبب اصابتها تارة وخطئها تارات وانما الغرض أنهم يتعمدون فيها كذبا كثيرا من
غير ان تكون دلت على ذلك كما يتعمد خلق كثير الكذب فى الرؤيا الصالحة وهى جزء
من ستة واربعين جزأ من النبوة وكما كانت الجن تخلط بالكلمة تسمعها من السماء مائة
كذبة ولهذا ثبت فى صحيح مسلم عن معاوية بن الحكم السلمي قال قلت يا رسول الله انى
حديث عهد بجاهلية وقد جاء الله بالاسلام، وان منا رجالا يأتون الكهان قال «فلا تأتهم»
قال قلت، ومنا رجال يتطيرون قال «ذاك شئ يجدونه فى صدورهم فلا يصدهم»

١ يؤثرون الحياة الدنيا
٢ كان فى الاصل يجدونه
٣ سواها ونبلا

قال قلت، ومنا رجال يخطون قال «كان نبي من الانبياء يخط فمن وافق خطه فذاك»
فاذا كان ما هو من اجزاء النبوة ومن أخبار الملائكة قد يتعمد فيه الكذب الكثير فكيف
بما هو فى نفسه مضطرب لا يستقر على أصل فلهذا تجد عامة من فى دينه فساد يدخل
فى الاكاذيب الكونية مثل أهل الاتحاد فان ابن عربي فى كتاب عنقاء مغرب وغيره
أخبر بمستقبلات كثيرة عامتها كذب وكذلك ابن سبعين وكذلك الذي استخرج مدة
بقاء هذه الأمة من حساب الجمل من حروف المعجم الذي ورثوه من اليهود ومن حركات
الكواكب الذي ورثوه من الصابئة كما فعل ابو نصر الكندي وغيره من الفلاسفة
وكما فعل بعض من تكلم فى تفسير القرآن من اصحاب الرازي ومن تكلم فى تأويل
وقائع النساك من المائلين الى التشيع وقد رأيت من أتباع هؤلاء طوائف يدعون
أن هذه الأمور من الاسرار المخزونة والعلوم المصونة وخاطبت فى ذلك طوائف
منهم وكنت أحلف لهم ان هذا كذب مفترى وانه لا يجري من هذه الأمور شئ
وطلبت مباهلة بعضهم لان ذلك كان متعلقا باصول الدين وكانوا من الاتحادية
الذين يطول وصف دعاويهم فان شيخهم الذي هو عارف وقته وزاهده عندهم
كانوا يزعمون أنه هو المسيح الذي نزل وان معنى ذلك نزول روحانية عيسى
عليه السلام عليه وأن امه اسمها مريم وانه يقوم بجمع الملل الثلاث وأنه
يظهر مظهرا أكمل من مظهر محمد وغيره من المرسلين ولهم مقالات من أعظم
المنكرات يطول ذكرها ووصفها. ثم ان من عجيب الامر أن هؤلاء المتكلمين
المدعين لحقائق الأمور العلمية والدينية المخالفين للسنة والجماعة يحتج كل منهم
بما يقع له من حديث موضوع او مجمل لا يفهم معناه وكلما وجد أثرا فيه اجمال
نزله على رأيه فيحتج بعضهم بالمكذوب مثل قول عمر كنت كالزنجي ومثل ما يروونه
من سر المعراج وما يروونه من ان اهل الصفة سمعوا المناجاة من حيث لا يشعر
الرسول فلما نزل الرسول اخبروه فقال من أين سمعتم فقالوا كنا نسمع الخطاب

١ شيوخ عبد الحق بن سبعين
٢ كان فى الاصل الصابئية
٤ ... الحديث المكذوب ...
٥ ...
٦ يعنون من السماء بعد المعراج

حتى انى لما بينت لطائفة تمشيخوا وصاروا قدوة للناس ان هذا اكذب ماخلقه الله
قط قلت ويبين لك ذلك أن المعراج كان بمكة بنص القرآن وباجماع المسلمين والصفة
انما كانت بالمدينة فمن أين كان بمكه أهل صفة ؟ وكذلك احتجاجهم بأن اهل الصفة قاتلوا
النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه مع المشركين لما انتصروا[1] وزعموا انهم مع الله ليحتجوا بذلك
على متابعة الواقع[2] سواء كان طاعة لله اومعصية ويجعلوا حكم دينه هوما كان[3] كما قال الذين
أشركوا (لوشاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا) وامثال هذه الموضوعات كثيرة . وأما المجملات
فمثل احتجاجهم بنهي بعض الصحابة عن ذكر بعض خفي العلم كقول علي رضي الله عنه حدثوا
الناس بما يعرفون ، ودعوا ماينكرون أتحبون أن يكذب الله ورسوله ، وقول عبد الله
ابن مسعود : مامن رجل يحدث قوما بحديث لاتبلغه عقولهم الا كان فتنة لبعضهم ،
وقول عبد الله ابن عباس فى تفسير بعض الآيات : مايؤمنك أنى لواخبرتك بتفسيرها
كفرت وكفرك بها تكذيبك بها . وهذه الآثار حق لكن ينزل كل منهم[4] ذاك الذي
لم يحدث[5] به على مايدعيه هو من الاسرار والحقائق التى اذا كشفت وجدت من الباطل والكفر
والنفاق حتى ان اباحامد[6] فى منهاج القاصدين وغيره هو وامثاله تمثل بما يروى عن على
ابن الحسين[7] أنه قال : يارب جوهر علم لوابوح به لقيل لى انت ممن يعبد الوثنا
ولاستحل رجال مسلمون دمي يرون أقبح مايأتونه حسنا
فاذا كانت هذه طرق هؤلاء الذين يدعون من التحقيق وعلوم الاسرار ماخرجوا به عن السنة
والجماعة وزعموا أن تلك العلوم الدينية أوالكونية مختصة بهم فأمنوا بجملها ومتشابهها
وانهم منحوا من حقائق العبادات وخالص الديانات مالم يمنح الصدر الأول حفاظ الاسلام
وبدور الملة ولم يتجرء[8] واعليها برد وتكذيب مع ظهور الباطل فيها تارة وخفائه أخرى فمن
المعلوم أن العقل والدين يقتضيان أن جانب النبوة والرسالة احق بكل تحقيق وعلم ومعرفة
واحاطة بأسرار الأمور وبواطنها هذا لاينازع فيه مؤمن ونحن الآن فى مخاطبة من فيه ايمان
واذا كان الامر كذلك فأعلم الناس بذلك أخصهم بالرسول واعلمهم بأقواله وأفعاله وحركاته

[1] يعنون فى غزوة احد
[2] اى موافقة القدر الواقع ولو خالف الشرع
[5] اى الصحابي
[6] هو الغزالى
[7] هو الملقب زين العابدين
[8] اى لم يتجرأ الصحابة التابعون على ... على ردها وتكذيب

وسكناته ومدخله ومخرجه وباطنه وظاهره وأعلمهم باصحابه وسيرته وايامه واعظمهم بحثا عن
ذلك وعن نقلته واعظمهم تدينا به واتباعا له واقتفاء به وهؤلاء هم اهل السنة والحديث
حفظا له ومعرفة بصحيحه وسقيمه وفقها فيه وفهما يؤتيه الله اياه فى معانيه وايمانا
وتصديقا وطاعة وانقيادا واقتداء واتباعا مع مايقترن بذلك من قوة عقلهم وقياسهم
وتمييزهم وعظيم مكاشفاتهم ومخاطباتهم فإنهم أشد الناس نظرا وقياسا ورأيا وأصدق
الناس رؤيا وكشفا أفلا يعلم من له أدنى عقل ودين أن هؤلاء احق بالصدق والعلم والايمان
والتحقيق ممن يخالفهم وأن عندهم من العلوم ماينكرها الجاهل والمبتدع والذي عندهم هو
الحق المبين وأن الجاهل بأمرهم والمخالف لهم هو الذي معه من الحشو مامعه [و] من
الضلال وهذا باب يطول شرحه . فان النفوس لها من الأقوال والأفعال مالايحصره
إلا ذو الجلال والأقوال اخبارات وانشاءات كالامر والنهي[1] . فاحسن الحديث
وأصدقه كتاب الله خبره أصدق الخبر وبيانه أوضح البيان وأمره أحكم الامر (فبأي
حديث بعد الله وآياته يؤمنون) وكل من اتبع كلاما أو حديثا مما يقال انه يلهمه صاحبه
ويوحى اليه أوانه ينشئه ويحدثه مما يعارض به القرآن فهو من اعظم الظالمين ظلما ولهذا
لما ذكر الله سبحانه قول الذين ما قدروا الله حق قدره حيث انكروا الإنزال على البشر[2]
ذكر المتشبهين[3] به المدعين لمماثلته من الاقسام الثلاثة فان المماثل له اما ان يقول ان الله
أوحى الي أو يقول أوحي الي وألقي الي ، وقيل لي ، ولايسمي القائل ، أويضيف ذلك
الى نفسه ويذكر انه هو المنشئ له ووجه الحصر أنه اما ان يحذف الفاعل أو يذكره ،
واذا ذكره فاما ان يجعله من قول الله ، أومن قول نفسه فانه اذا جعله من كلام الشياطين
لم يقبل منه ، وماجعله من كلام الملائكة فهو داخل فيما يضيفه الى الله وفيما حذف
فاعله فقال تعالى (ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا أوقال اوحي الي ولم يوح اليه شئ ومن
قال سأنزل مثل ما انزل الله) وتدبر كيف جعل الأولين فى حيز الذي جعله وحيا من الله
ولم يسم الموحي فانهما من جنس واحد فى ادعاء جنس الانباء وجعل الآخر فى حيز

[1] مثال من الانشاء

وهو الذي ادعى أن يأتي بمثله ولهذا قال (فمن افترى على الله كذبا) ثم قال (ومن قال سأنزل
مثل ما انزل الله) فالمفتري للكذب والقائل أوحي الي ولم يوح اليه شيء من جملة الاسم الاول
وقد قرن به الاسم الاخر فهؤلاء الثلاثة المدعون لشبه النبوة وقد تقدم قبلهم المكذب
للنبوة فهذا يعم جميع اصول الكفر التي هي تكذيب للرسل أو مضاهاتهم كمسيلمة الكذاب
وامثاله . وهذه هي أصول البدع التي نردها نحن في هذا المقام لأن المخالف للسنة يرد
بعض ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم أو يعارض قول الرسول بما يجعله نظيرا له من
رأي او كشف او نحو ذلك . فقد تبين ان الذي يسمي هؤلاء[1] وأئمتهم حشوية هم أحق
بكل وصف مذموم يذكرونه وأئمة هؤلاء[2] احق بكل علم نافع وتحقيق وكشف حقائق =
واختصاص بعلوم لم يقف عليها هؤلاء الجهال المنكرون عليهم المكذبون لله ورسوله .
فان [نبزهم با]لحشوية ان كان لانهم يروون الاحاديث بلا تمييز فالمخالفون لهم أعظم الناس
قولا للحشو الآراء والكلام الذي لا تعرف صحته ، بل يعلم بطلانه ، وان كان لأن فيهم
عامة لا يميزون فما من فرقة من تلك الفرق الا واتباعها من أجهل الخلق وأكفرهم ،
وعوام هؤلاء عمار المساجد بالصلوات واهل الذكر والدعوات وحجاج البيت العتيق
والمجاهدون في سبيل الله واهل الصدق والامانة وكل خير في العالم فقد تبين لك
أنهم[2] احق بوجود الذم وان هؤلاء أبعد عنها وان الواجب على الخلق أن يرجعوا اليهم
فيما اختصهم الله به من الوراثة النبوية التي لا توجد الا عندهم . وايضا ينبغي
النظر في الموسومين بهذا الاسم[4] وفي الواسمين لهم به أيهما احق وقد علم أن هذا
الاسم مما اشتهر عن النفاة ممن هم مظنة الزندقة كما ذكر العلماء كأبي حاتم وغيره أن علامة الزنادقة[3]
تسميتهم لأهل الحديث حشوية . ونحن نتكلم بالاسماء التي لا نزاع فيها مثل لفظ
الاثبات والنفي (فنقول) : من المعلوم أن هذا من تلقيب بعض الناس لأهل الحديث
الذين يقرونه على ظاهره فكل من كان عنه أبعد كان أعظم ذما بذلك كالقرامطة[1] ثم
الفلاسفة ثم المعتزلة وهم يذمون بذلك المتكلمة الصفاتية[4] من الكلابية[5] والكرامية[6]

[1] الشيعيون ود[illegible]

[1] اي القرامطة في صفات [illegible] القرآن [illegible]

[2] أي مخالفو السنة

[4] اي الحشوية

[5] اتباع عبد الله بن سعيد بن كلاب د ترجمه في الجزء [illegible]

[6] اتباع محمد بن كرام د ترجمه في جزء [illegible] الاعتدال للذهبي ولسان [illegible]

والاشعرية والفقهاء والصوفية وغيرهم فكل من اتبع النصوص واقرها سموه بذلك[1]
ومن قال بالصفات العقلية[2] مثل العلم والقدرة دون الخبرية[3] ونحو ذلك سمى مثبتة
الصفات الخبرية حشوية كما يفعل ابو المعالي وابو حامد ونحوهما . والطريقة ابي المعالي
كان ابو محمد[4] يتبع في فقهه وكلامه لكن ابو محمد كان اعلم بالحديث وأتبع له من ابي المعالي
وبمذاهب الفقهاء ، وابو المعالي اكثر اتباعا للكلام وهما في العربية متقاربان ٥
وهؤلاء[5] يعيبون منازعهم اما لجمعه حشو الحديث من غير تمييز بين صحيحه وضعيفه
او لكون اتباع الحديث في مسائل الاصول من مذهب الحشو لانها مسائل علمية والحديث
لا يفيد[6] ذلك او لان اتباع النصوص مطلقا في المباحث الاصولية الكلامية حشو[6] لأن
النصوص لا تفي بذلك[6] فالامر راجع الى احد امرين ، اما ريب في الاسناد او في
المتن اما لانهم يضيفون الى الرسول ما لم يُعلم انه قاله كأخبار الآحاد ويجعلون
مقتضاها العلم واما لانهم يجعلون ما فهموه من اللفظ معلوما وليس هو بمعلوم
لما في الادلة اللفظية من الاحتمال . ولا ريب ان هذا عمدة كل زنديق ومنافق
يبطل العلم بما بعث الله به رسوله ، تارة يقول لا نعلم أنهم قالوا ذلك ، وتارة يقول
لا نعلم ما اراد بهذا القول ، ومتى انتفى العلم بقولهم او بمعناه لم يستفد من جهتهم
علم فيتمكن بعد ذلك ان يقول ما يقول من المقالات وقد أمن على نفسه أن يعارض
بآثار الانبياء لانه قد وكل ثغورها بذينك الراجين الدافعين لجنود الرسل عنه الطاعنين
لمن احتج بها وهذا القدر بعينه عين الطعن في نفس النبوة بل يقر بتعظيمهم وكمالهم
اقرار من لا يتلقى من جهتهم علما فيكون الرسول عنده بمنزلة خليفة يعطى السكة
والخطبة رسما ولفظا ، كتابة وقولا من غير أن يكون له أمر او نهي مطاع ، فله صورة
الامامة بما جعل له من السكة والخطبة وليس له حقيقتها ، وهذا القدر وان
استجازه كثير من الملوك لعجز بعض الخلفاء عن القيام بواجبات الامارة من الجهاد
والسياسة كما يفعل ذلك كثير من نواب الولاة لضعف مستنيبه وعجزه فيتركب من

[1] أي حشوي

[2] أي التي يعرف ثبوتها لله تعالى بالعقل

[3] اي التي لا تعرف الا من طريق الخبر والوحي كالاستواء والنزول الى سماء الدنيا

[4] هو عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام ت ٦٦٠هـ

[5] اي ابو المعالي وابو حامد وابو محمد بن عبد السلام واضرابهم

[6] يعني عندهم وبزعمهم

تقدم ذى المنصب والبيت وقوة نائبه صلاح الأمر ، اوفعل ذلك لهوى ورغبة فى الرئاسة
ولطائفته دون من هو احق بذلك منه وسلك مسلك المتغلبين بالعدوان . فمن المعلوم
ان المؤمن بالله ورسوله لا يستجيز أن يقول فى الرسالة انها عاجزة عن تحقيق العلم وبيانه حتى
يكون الأفراد بهامع تحقيق العلم الألهى من غيرها موجبا لصلاح الدين ، ولا يستجيز ان يتعدى
عليها بالتقدم بين يدي الله ورسوله ويقدم علمه وقوله على علم الرسول وقوله ، ولا يستجيز أن
يسلط عليها التأويلات العقلية ويدعي أن ذلك من كمال الدين ، وأن الدين لا يكون كاملا
الا بذلك . وأحسن احواله أن يدعى ان الرسول [كان] عالما بأن ما اخبر به أن له
تأويلات وتبيانا غير ما يدل عليه ظاهر قوله ومفهومه وأنه ما ترك ذلك الا لأنه [أنه] ما كان يمكن نشرها الناس علنا
البيان بين تلك الأعراب ونحوهم وانه وكل ذلك الى عقول المتأخرين وانما يفعل [ذلك] من في
قلبه مرض ونفاق . وهذا هو الواقع فان المتفلسفة تقول : ان الرسل لم يتمكنوا من بيان
الحقائق لأن اظهارها يفسد الناس ولا تحتمل ذلك عقولهم ثم قد يقولون انهم عرفوها ،
وقد يقول بعضهم لم يعرفوها ، وانا اعرف بها منهم ثم يبينونها هم بالطرق القياسية
الموجودة عندهم ولم يعقلوا انه ان كان العلم بها ممكنا فهو ممكن لهم كما يدعون انه ممكن
لهم والا فلا سبيل لهم الى معرفتها باقرارهم . وكذلك التعبير وبيان العلم بالخطاب والكتاب
ان لم يكن ممكنا فلا يمكنكم ذلك وأنتم تتكلمون وتكتبون علمكم فى الكتب وان كان ذلك ممكنا
فلا يصح قولكم لم يمكن الرسل ذلك ، وان قلتم يمكن الخطاب بها مع خاصة الناس دون
عامتهم — وهذا قولهم — فمن المعلوم أن علم الرسل يكون عند خاصتهم كما يكون علمكم عند
خاصتكم ومن المعلوم ان كل من كان بكلام المتبوع وأحواله وبواطن أموره وظواهرها
أعلم ، وهو بذلك أقوم كان احق بالاختصاص به ولا ريب ان اهل الحديث أعلم الأمة
واخصها بعلم الرسول وعلم خاصته مثل الخلفاء الراشدين وسائر العشرة [٤] ومثل أبى بن كعب
وعبد الله بن مسعود ومعاذ بن جبل وعبد الله بن سلام وسلمان الفارسى وأبى الدرداء
وعبادة بن الصامت وأبي ذر الغفاري وعمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان ، ومثل سعد

[١] للتفلسفة
[٢] يعنى الانبياء
[٤] المبشرين بالجنة نصا وهم بعد الخلفاء الراشدين الاربعة عبد الرحمن بن عوف وسعد بن ابى وقاص وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل

ابن معاذ وأسيد بن حضير وسعد بن عبادة وعباد بن بشر وسالم مولى ابى حذيفة
وغير هؤلاء ممن كان أخص الناس بالرسول واعلمهم بباطن أموره وأتبعهم لذلك ،
فعلماء الحديث اعلم الناس بهؤلاء وببواطن أمورهم وأتبعهم لذلك فيكون عندهم
العلم علم خاصة الرسول وبطانته ، كما أن خواص الفلاسفة يعلمون علم أئمتهم ، وخواص
المتكلمين يعلمون علم أئمتهم ، وخواص القرامطة والباطنية يعلمون علم أئمتهم
وكذلك أئمة الاسلام مثل أئمة العلماء فان خاصة كل امام أعلم بباطن اموره مثل مالك
ابن انس فان ابن القاسم لما كان اخص الناس به وأعلمهم بباطن أمره أعتمد أتباعه على
روايته حتى انه عنه تؤخذ مسائل السر التى رواها ابن ابى الغمر وان طعن بعض الناس
فيها وكذلك ابو حنيفة [فان] ابو يوسف ومحمد وزفر أعلم الناس به ، وكذلك غيرهما
وقد يكتب العالم كتابا أو يقول قولا فيكون بعض من لم يشافهه به اعلم بمقصوده من بعض
من شافهه به كما قال النبى صلى الله عليه وسلم «فرب مبلغ أوعى من سامع» لكن بكل حال
لابد ان يكون المبلغ من الخاصة العالمين بحال المبلغ عنه كما يكون فى أتباع الأئمة من
هو افهم لنصوصهم من بعض اصحابهم . ومن المستقر فى أذهان المسلمين أن ورثة
الرسل وخلفاء الأنبياء هم الذين قاموا بالدين علما وعملا ودعوة الى الله والرسول
فهؤلاء أتباع الرسول حقا وهم بمنزلة الطائفة الطيبة من الأرض [٣] التى زكت فقبلت
الماء فانبتت الكلأ والعشب الكثير فزكت فى نفسها وزكى الناس بها وهؤلاء هم
الذين جمعوا بين البصيرة فى الدين والقوة على الدعوة ولذلك كانوا ورثة الأنبياء
الذين قال الله تعالى فيهم (واذكر عبادنا ابراهيم واسحاق ويعقوب اولى الأيدي
والأبصار) فالأيدي القوة فى أمر الله والأبصار البصائر فى دين الله فبالبصائر
يدرك الحق ويعرف وبالقوة يتمكن من تبليغه وتنفيذه والدعوة اليه . فهذه
الطبقة كان لها قوة الحفظ والفهم والفقه فى الدين والبصر بالتأويل ففجرت
من النصوص أنهار العلوم واستنبطت منها كنوزها ورزقت فيها فهما خاصا

فأبو

[٣] يشير الى الحديث الصحيح «مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضا فكانت منها طائفة طيبة [illegible]» [illegible] أخرجه البخاري ومسلم [illegible] ج ١ ص [illegible]

كما قال أمير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه — وقد سئل هل خصكم رسول الله صلى الله
عليه وسلم بشيء دون الناس — فقال لا، والذي فلق الحبة وبرأ النسمة الا فهماً يؤتيه
الله عبداً في كتابه فهذا الفهم هو بمنزلة الكلأ والعشب الذي انبتته الارض
[الطيبة] وهو الذي تميزت به هذه الطبقة عن الطبقة الثانية وهي التي حفظت
النصوص فكان همها حفظها وضبطها فوردها الناس وتلقوها بالقبول واستنبطوا
منها واستخرجوا كنوزها واتجروا فيها وبذروها في أرض قابلة للزرع والنبات ووردوها
كل بحسبه (قد علم كل اناس مشربهم) وهؤلاء هم الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه
وسلم «نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها وأداها كما سمعها فرب حامل فقه وليس بفقيه
ورب حامل فقه الى من هو افقه منه». وهذا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما
حبر الأمة وترجمان القرآن مقدار ما سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم لا يبلغ نحو
العشرين حديثاً الذي يقول فيه سمعت ورأيت، وسمع[1] الكثير من الصحابه وبورك
له في فهمه والاستنباط منه حتى ملأ الدنيا علماً وفقهاً قال ابو محمد بن حزم وجمعت
فتواه في سبعة اسفار كبار[2] وهي بحسب ما بلغ جامعها والا فعلم ابن عباس كالبحر
وفقهه واستنباطه وفهمه في القرآن بالموضع الذي فاق به الناس وقد سمعوا
ما سمع وحفظوا القرآن كما حفظه ولكن أرضه[3] كانت من اطيب الاراضي واقبلها
للزرع فبذر فيها النصوص فانبتت من كل زوج كريم (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء
والله ذو الفضل العظيم). واين تقع فتاوى ابن عباس وتفسيره واستنباطه من
فتاوى ابي هريره وتفسيره[4] وأبو هريرة احفظ منه بل هو حافظ الأمة على الاطلاق
يؤدي الحديث كما سمعه ويدرسه بالليل درساً فكانت همته مصروفة الى الحفظ
وتبليغ ما حفظه كما سمعه، وهمة ابن عباس مصروفة الى التفقه والاستنباط
وتفجير النصوص وشق الانهار منها واستخراج كنوزها. وهكذا ورثتهم[5] من
بعدهم اعتمدوا في دينهم على استنباط النصوص لا على خيال فلسفي ولا رأي

[2] كذا اصلنا والذي في احكام الاحكام لابي محمد ابن حزم ج٥ ص٩٢ ونقله عنه ابن قيم الجوزيه في اعلام الموقعين لما ذكر المكثرين من الصحابة قال فهم سبعة يمكن ان يجمع من فتيا كل واحد سفر ضخم وقد جمع ابو بكر محمد بن موسى بن يعقوب ابن امير المؤمنين المأمون فتيا عبد الله بن العباس في عشرين كتابا وابو بكر المذكور احد ائمة الاسلام في العلم والحديث اهـ وكتبه سليمان الصنيع

[4] كذا ولعل في العبارة قلب فان المفضل هو فتاوى ابن عباس على فتاوى ابي هريره

قياسي ولا غير ذلك من الآراء المبتدعات لا جرم كانت الدائرة والثناء الصدق والجزاء العاجل
والآجل لورثة الانبياء التابعين لهم في الدنيا والآخرة فان المرء على دين خليله (قل ان كنتم
تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) وبكل حال فهم أعلم الأمة بحديث الرسول وسيرته
ومقاصده واحواله. ونحن لا نعني باهل الحديث المقتصرين على سماعه او كتابته او
أو روايته بل نعني بهم كل من كان أحق بحفظه ومعرفته وفهمه ظاهراً وباطناً واتباعه
باطناً وظاهراً وكذلك اهل القرآن وأدنى خصلة في هؤلاء محبة القرآن والحديث
والبحث عنهما وعن معانيهما والعمل بما علموه من موجبهما. ففقهاء الحديث أخبر
بالرسول من فقهاء غيرهم، وصوفيتهم أتبع للرسول من صوفية غيرهم، وأمراؤهم
أحق بالسياسة النبوية من غيرهم، وعامتهم احق بموالاة الرسول من غيرهم ومن
المعلوم ان المعظمين للفلسفة والكلام المعتقدين لمضمونهما أبعد عن معرفة الحديث
واتباعه من هؤلاء هذا أمر محسوس بل اذا كشفت احوالهم وجدتهم من اجهل الناس
باقواله واحواله وبواطن اموره وظاهرها حتى نجد كثيراً من العامة اعلم بذلك منهم
ولا يميزون بين ما قاله وما لم يقله بل قد لا يفرقون بين حديث متواتر عنه وحديث
مكذوب موضوع عليه وانما يعتمدون في موافقته على ما يوافق قولهم سواء كان موضوعاً
او غير موضوع فيعدلون الى احاديث يعلم خاصة الرسول بالضرورة اليقينية انها مكذوبة
عليه عن احاديث يعلم خاصته بالضرورة انها قوله لا يعلمون مراده بل غالب هؤلاء لا
يعلمون معاني القرآن فضلاً عن الحديث بل كثير منهم لا يحفظون القرآن أصلاً فمن لا
يحفظ القرآن، ولا يعرف معانيه ولا يعرف الحديث ومعانيه من أين يكون عارفاً
بالحقائق المأخوذة عن الرسول. واذا تدبر العاقل وجد الطوائف كلما كانت الطائفة
الى الله ورسوله أقرب كانت بالقرآن والحديث أعظم عناية واذا كانت عن الله ورسوله
أبعد كانت عنهما أنأى حتى تجد في أئمة علماء هؤلاء من لا يميز بين القرآن وغيره بل
ربما ذكرت عنده آية فقال لا نسلم صحة الحديث وربما قال لقوله عليه السلام كذا

وتكون آية من كتاب الله وقد بلغنا من ذلك عجائب وما لم يبلغنا أكثر وحدثني ثقة أنه
تولى مدرسة مشهد الحسين بمصر بعض أئمة المتكلمين يسمى شمس الدين الاصبهاني
شيخ الايكي فاعطوه جزأ من الربعة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم المص حتى قيل له
هي الف لام ميم صاد . فتأمل هذه الحكومة العادلة ليتبين لك ان الذين يعيبون
اهل الحديث ويعدلون عن مذهبهم زنادقة منافقون بلا ريب ولهذا لما بلغ الإمام
احمد عن ابن ابى قتيلة أنه ذكر عنده أهل الحديث بمكة فقال قوم سوء فقام الإمام
احمد وهو ينفض ثوبه ويقول زنديق زنديق زنديق ودخل بيته فانه عرف مغزاه .
وعيب المنافقين للعلماء بما جاء به الرسول قديم من زمن المنافقين الذين كانوا على عهد
النبي صلى الله عليه وسلم . وأما أهل العلم فكانوا يقولون هم الابدال لانهم ابدال الأنبياء
وقائمون مقامهم حقيقة ليسوا من المعدومين الذين لا يعرف لهم حقيقة ، كل منهم يقوم مقام
الانبياء في القدر الذى ناب عنه فيه هذا في العلم والمقال ، وهذا في العبادة والحال وهذا
في الامرين جميعا، وكانوا يقولون هم الطائفة المنصورة الى قيام الساعه الظاهرين على الحق
لان الهدى ودين الحق الذى بعث الله به رسله معهم وهو الذي وعد الله بظهوره على الدين
كله وكفى بالله شهيدا . فصل وتخليص النكتة ان الرسل اما انهم علموا الحقائق الخبريه
والطلبيه أو لم يعلموها ، واذا علموها فاما انه كان يمكنهم بيانها بالكلام والكتاب او لا
يمكنهم ذلك واذا أمكنهم ذلك فاما ان يمكن للعامة وللخاصة فان قال انهم لم يعلموها
وان الفلاسفة والمتكلمين اعلم بها منهم واحسن بيانا لها منهم فلا ريب ان هذا قول
الزنادقة وانه لا يقوله الا منافق او جاهل ، وان قال ان الرسل مقصدهم صلاح عموم
الخلق وعموم الخلق لا يمكنهم فهم هذه الحقائق الباطنة فخاطبوهم بضرب الأمثال
لينتفعوا بذلك واظهروا الحقائق العقلية في القوالب الحسية فتضمن خطابهم عن
الله وعن اليوم الآخر من التخييل والتمثيل للمعقول بصورة المحسوس ما ينتفع به
عموم الناس في امر الايمان بالله وبالمعاد وذلك يقرر في النفوس من عظمة الله وعظمة

كما يزعم بعضهم انهم مغيبون عن الابصار ويسمونهم رجال الغيب واهل الديوان وغير ذلك من الترهات المفسدة للعقول والاديان

بالمنافقين ... بعد هذا الكلام هنا الزنادقة ... هذا قول الزنادقة

اليوم الآخر ما يحض النفوس على عبادة الله وعلى الرجاء والخوف فينتفعون بذلك
وينالون السعادة بحسب امكانهم واستعدادهم اذ هذا الذي فعلته الرسل غاية
الامكان في كشف الحقائق لعموم النوع البشري ومقصود الرسل حفظ النوع البشري
واقامة مصلحة معاشه ومعاده فمعلوم ان هذا قول حذاق الفلاسفة مثل الفارابي
وابن سينا وغيرهما وهو قول كل حاذق وفاضل من المتكلمين في القدر الذي يخالف
فيه اهل الحديث . فالفارابي يقول ان خاصة النبوة جودة تخييل الأمور المعقولة
في الصور المحسوسة أو نحو هذه العبارة ، وابن سينا يذكر هذا المعنى في مواضع
ويقول ما كان يمكن موسى بن عمران مع أولئك العبرانيين ولا يمكن محمدا مع اولئك
العرب الجفاة ان يبين لهم الحقائق على ما هي عليه فانهم كانوا يعجزون عن فهم
ذلك وان فهموه على ما هو عليه انحلت عزماتهم عن اتباعه لانهم لا يرون من العلم
ما يقتضي العمل وهذا المعنى يوجد في كلام ابي حامد وأمثاله ومن بعده ، طائفة
منه في الأحياء وغير الاحياء ، وكذلك في كلام الرازي . واما الاتحادية ونحوهم
من المتكلمين فعليه مدارهم ومبنى كلام الباطنيه والقرامطة عليه لكن هؤلاء ينكرون
ظواهر الامور العمليه والعلمية جميعا واما غير هؤلاء فلا ينكرون العمليات الظاهرة المتواترة
لكن قد يجعلونها لعموم الناس لا لخصوصهم كما يقولون مثل ذلك في الأمور الخبرية ومدار
كلامهم على ان الرسالة متضمنة لمصلحة العموم علما وعملا وأما الخاصة فلا وعلى هذا
يدور كلام أصحاب رسائل اخوان الصفا وسائر فضلاء المتفلسفة ثم منهم من يوجب
اتباع الامور العملية من الامور الشرعية وهؤلاء كثيرون في متفقهتهم ومتصوفتهم
وعقلاء فلاسفتهم والى هنا كان ينتهي علم ابن سينا اذ تاب والتزم القيام بالواجبات
الناموسية فان قدماء الفلاسفة كانوا يوجبون اتباع النواميس التى وضعها أكابر
حكماء البلاد فلأن يوجبوا اتباع نواميس الرسل أولى فانهم كما قال ابن سينا : اتفق
فلاسفة العالم على أنه لم يقرع العالم ناموس أفضل من هذا الناموس المحمدي وكل عقلاء

الفلاسفة متفقون على أنه أكمل النوع وأفضل النوع البشري وان جنس الرسل أفضل
من جنس الفلاسفة المشاهير ثم قد يزعمون ان الرسل والانبياء حكماء كبار، وان الفلاسفة
الحكماء انبياء صغار وقد يجعلونهم صنفين وليس هذا موضع شرح ذلك فقد تكلمنا
على ذلك فى غير هذا الموضع . وانما الغرض ان هؤلاء الاساطين من الفلاسفة
والمتكلمين غاية ما يقولون هذا القول ونحن ذكرنا الامر على وجه التقسيم العقلى الحاصر
لئلا يخرج عنه قسم ليتبين ان المخالف لعلماء الحديث علما وعملا اما جاهل واما منافق
والمنافق جاهل وزيادة كما سنبينه ان شاء الله والجاهل هنا فيه شعبة نفاق وان كان
لا يعلم بها فالمنكر لذلك جاهل منافق . فقلنا ان من زعم انه وكبار طائفته اعلم من الرسل
بالحقائق واحسن بيانا لها فهذا زنديق منافق اذا اظهر الايمان بهم باتفاق المؤمنين
بهم وسيجيء الكلام معه (وان قال) ان الرسل كانوا اعظم علما وبيانا لكن هذه الحقائق
لا يمكن علمها ولا يمكن بيانها مطلقا او يمكن الامرين للخاصه (قلنا) فحينئذ لا يمكنكم
انتم ما عجزت عنه الرسل من العلم والبيان (ان قلتم) لا يمكن علمها (قلنا) فأنتم
واكابركم لا يمكنكم علمها بطريق الأولى وان قلتم لا يمكنهم بيانها قلنا فانتم واكابركم
لا يمكنكم بيانها (وان قلتم) يمكن ذلك للخاصة دون العامة (قلنا) فيمكن ذلك
للخاصة من الرسل[1] دون عامتهم . فان ادعوا انه لم يكن فى خاصة اصحاب الرسل
من يمكنهم فهم ذلك جعلوا السابقين الاولين دون المتأخرين فى العلم والايمان وهذا من
مقالات الزنادقة لأنه ان جعل بعض الأمم الأوائل من اليونان والهند ونحوهم أكمل عقلا
وتحقيقا للأمور الالهية والمعادية[2] من هذه الامة فهذا من مقالات المنافقين الزنادقة
اذ المسلمون متفقون على ان هذه الامة خير الأمم واكملهم وان اكمل هذه الأمة وأفضلها
سابقوها، واذا اسلم ذلك فأعلم الناس بالسابقين واتبعهم لهم هم أهل الحديث واهل
السنة ولهذا قال الامام أحمد فى رسالة عبدوس بن مالك: أصول السنة عندنا التمسك
بما كان عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والاقتداء بهم وترك البدع وكل بدعة

[1] اى بيانها من الرسل لخاصة الناس دون عامتهم
[2] المتعلقة بالمعاد والبعث واليوم الآخر

فهي ضلالة والسنة عندنا آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم والسنة تفسر القرآن وهي
دلائل القرآن أي دلالات على معناه . ولهذا ذكر العلماء ان الرفض أساس الزندقة وان
اول من ابتدع الرفض انما كان منافقا زنديقا وهو ابن سبأ فانه اذا قدح فى السابقين الأولين[1]
فقد قدح فى نقل الرسالة أو فى فهمها أو فى اتباعها فالرافضة تقدح تارة فى علمهم بها[2] وتارة فى اتباعهم
لها وتحيل ذلك على اهل البيت[3] والمعصوم الذى ليس له وجود فى الوجود . والزنادقة من
الفلاسفة والنصيرية وغيرهم يقدحون تارة فى النقل وهو قول جهالهم وتارة يقدحون فى
فهم الرسالة وهو قول حذاقهم كما يذهب اليه اكابر الفلاسفة والاتحادية ونحوهم حتى كان التلمساني
مرة مريضا فدخل عليه شخص ومعه بعض طلبة الحديث فاخذ يتكلم على قاعدته فى الفكر
انه حجاب وان الامر مداره على الكشف وغرضه كشف الوجود المطلق[4] فقال ذلك الطالب
فما معنى قول ام الدرداء أفضل عمل أبي الدرداء التفكر فتبرم بدخول مثل هذا عليه وقال للذي
جاء به كيف يدخل علي مثل هذا ثم قال: أتدري يا بني ما مثل ابى الدرداء وأمثاله ؟ مثل أقوام
سمعوا كلاما وحفظوه لنا حتى نكون نحن الذين نفهمه ونعرف مراد صاحبه، ومثله بريد حمل
كتابا من السلطان الى نائبه أو نحو ذلك فقد طال عهدي بالحكاية حدثني بها الذي دخل عليه
وهو ثقة يعرف ما يقول فى هذا وكان له فى هذه الفنون جولان كثير . وكذلك ابن سينا
وغيره يذكر من التنقص بالصحابة ما ورثه عن ابيه وشيعته القرامطة حتى تجدهم اذا ذكروا
فى آخر الفلسفة حاجة النوع الى الامامة عرضوا بقول الرافضة[5] الضلال لكن أولئك[6] يصرحون
من السب باكثر مما يصرح به هؤلاء[7] . ولهذا تجد بين الرافضة والقرامطة والاتحادية
اقتران واشتباه يجمعهم امور منها الطعن فى خيار هذه الأمة وفيما عليه أهل السنة
والجماعة وفيما استقر من اصول الملة وقواعد الدين ويدعون باطنا امتازوا به واختصوا
به عمن سواهم ثم هم مع ذلك متلاعنون متباغضون مختلفون كما رأيت وسمعت من ذلك
ما لا يحصى كما قال الله تعالى عن النصارى (ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم
فنسوا حظا مما ذكروا به فاغرينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة) .
وقال عن اليهود (والقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة كلما أوقدوا

[1] من المهاجرين والانصار كابي بكر وعمر وعثمان
[2] اى فى علم السابقين بالرسالة
[3] اى ان الذين يعلمون مقاصد الرسالة ويتبعونها هم اهل البيت من آل على والامام المعصوم من ذريته
[4] الذى هو وجود الحق والخلق عندهم بلا تعدد فيه ولا تمييز
[5] اى الرافضة
[6] الفلاسفة ابن سينا واضرابه

نار الحرب اطفأها الله) وكذلك المتكلمون المختلطون الذين يكونون تارة مع المسلمين
وان كانوا مبتدعين وتارة مع الفلاسفة الصابئين وتارة مع الكفار المشركين وتارة يقابلون
بين الطوائف وينظرون لمن تكون الدائرة وتارة يتحيرون بين الطوائف وهذه كثرت
في كثير ممن انتسب الى الاسلام من العلماء والامراء وغيرهم لاسيما لما ظهر المشركون من
الترك على أرض الاسلام بالمشرق في أثناء المائة السابعة وكان كثير ممن ينتسب الى الاسلام
فيه من النفاق والردة ما أوجب تسليط المشركين واهل الكتاب. فتجد أبا عبد الله الرازي
يطعن في دلالة الأدلة اللفظية[ع] على اليقين وفي افادة الأخبار للعلم وهذان هما مقدمتا
الزندقة كما قدمناه ثم يعتمد فيما أقر به من أمور الاسلام على ما علم بالاضطرار من دين الاسلام
مثل العبادات والمحرمات الظاهرة وكذلك الاقرار بمعاد الاجساد بعد الاطلاع على التفاسير
والاحاديث يجعل[ع] العلم بذلك مستفادا من أمور كثيرة فلا يعطل[٤] تعطيل الفلاسفة الصابئين
ولا يقر[٤] اقرار الحنفاء العلماء المؤمنين وكذلك الصحابة وان كان يقول[٤] بعد التهم فيما
نقلوه وبعلمهم في الجملة لكن يزعم في مواضع انهم لم يعلموا شبهات الفلاسفة وما
خاضوا فيه اذ لم يجد مأثورا عنهم التكلم بلغة الفلاسفة ويجعل هذا حجة له في الرد
على من زعم   وكذلك هذه المقالات لا تجدها الا في
اجهل المتكلمين في العلم وأظلمهم من هؤلاء المتكلمة والمتفلسفة والمتشيعة والاتحادية
في الصحابة مثل قول كثير من العلماء والمتأمرة[ع] أنا أشجع منهم وانهم لم يقاتلوا مثل العدو
الذي قاتلناه ولا باشروا الحروب مباشرتنا ولا ساسوا سياستنا وهذا لا تجده الا في
أجهل الملوك وأظلمهم فانه ان اراد ان نفس الفاظهم وما يتوصلون به الى بيان
مرادهم من المعاني لم يعلموه فهذا لا يضرهم اذ العلم بلغات الأمم ليس مما يجب على الرسل
واصحابهم بل يجب ما لا يتم التبليغ الا به فالمتوسطون بينهم من التراجمة يعلمون
لفظ كل منهما ومعناه فان كان المعنيان واحدا كالشمس والقمر والا علموا ما بين
المعنيين من الاجتماع والافتراق لكل منهما مراد صاحبه كما تصور المعاني وتبين

[ع] يعني ان الفاظ الكتاب العزيز والاخبار النبوية لا تفيد اليقين والعلم القطعي كصفات الله تعالى عند الرازي

[٤] اي الرازي

هكذا بياض في الاصل

كذا ولعله الملوك والامراء

ينقل

ما بين المعنيين من التماثل والتشابه والتقارب. فالصحابة كانوا يعلمون ما جاء به
الرسول وفيما جاء به بيان الحجة على بطلان كفر كل كافر وبيان ذلك بقياس صحيح أحق
وأحسن بيانا من مقاييس أولئك الكفار كما قال تعالى (ولا يأتونك بمثل الا جئناك
بالحق وأحسن تفسيرا) أخبر سبحانه ان الكفار لا يأتونه بقياس عقلي لباطلهم الا جاءه
الله بالحق وجاء من البيان والدليل وضرب المثل بما هو احسن تفسيرا وكشفا وايضاحا
للحق من قياسهم. وجميع ما تقوله الصابئة والمتفلسفة وغيرهم من الكفار من حكم
او دليل يندرج فيما علمه الصحابة وهذه الآية ذكرها الله تعالى بعد قوله (وقال الرسول
يا رب ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين
وكفى بربك هاديا ونصيرا) فبين ان من هجر القرآن فهو من اعداء الرسل وأن هذا أمر
لا بد منه ألا ترى الى قوله تعالى (ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت
مع الرسول سبيلا يا ويلتا ليتني لم اتخذ فلانا خليلا لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني
وكان الشيطان للانسان خذولا). والله تعالى قد ارسل نبيه محمدا الى جميع العالمين
وضرب الأمثال فيما ارسله به لجميعهم كما قال تعالى (ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن
من كل مثل لعلهم يتذكرون) فأخبر انه ضرب لجميع الناس في هذا القرآن من كل مثل
ولا ريب أن الالفاظ في المخاطبات تكون بحسب الحاجات كالسلاح في المحاربات
فاذا كان عدو المسلمين هم في تحصنهم وتسلحهم على صفة غير الصفة التي كانت عليها
فارس والروم كان جهادهم بحسب ما توجبه الشريعة[١] التي مبناها على تحري ما هو لله
أطوع وللعبد أنفع وهو الاصلح في الدنيا والآخرة وقد يكون الخبير بحروبهم أقدر على حربهم
ممن ليس كذلك لا لفضل قوته وشجاعته ولكن لمجانسته لهم كما يكون الأعجمي المتشبه
بالعرب وهم[٢] خيار العجم أعلم بمخاطبة قومه الاعاجم من العربي وكما يكون العربي المتشبه
بالعجم وهم[٣] أدنى العرب اعلم بمخاطبة العرب من العجمي فقد جاء في الحديث «خيار
عجمكم المتشبهون بعربكم وشرار عربكم المتشبهون بعجمكم». ولهذا احاصر النبي

[١] من استعمال الآلات والعدد المناسبة لعصرها في عصرنا هذا كالطيارات والغواصات والدبابات ونحوها فيجب استعمالها

[٢] اي الاعجمي المستعرب

[٣] اي العربي المستعجم

صلى الله عليه وسلم الطائف رماهم بالمنجنيق وقاتلهم قتالا لم يقاتل مثله فى المزاحفة كيوم
بدر وغيره وكذلك لما حوصر المسلمون عام الخندق اتخذوا من الخندق ما لم يحتاجوا اليه في
غير الحصار وقيل ان سلمان اشار عليهم بذلك فسلموا ذلك لانه طريق الى فعل ما امر الله به
ورسوله وقد قررنا فى قاعدة السنة والبدعة ان البدعة فى الدين هى ما لم يشرعه الله ورسوله
وهو ما لم يأمر به أمر ايجاب ولا استحباب فاما ما أمر به أمر ايجاب او استحباب وعلم الأمر به
بالادلة الشرعية فهو من الدين الذى شرعه الله وان تنازع اولوا الامر فى بعض ذلك وسواء
كان هذا مفعولا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم اولم يكن فما فعل بعده بأمره من قتال المرتدين
والخوارج المارقين وفارس والروم والترك واخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب
وغير ذلك هو من سنته ولهذا كان عمر بن عبد العزيز يقول : سن رسول الله صلى الله عليه
وسلم سننا الأخذ بها تصديق لكتاب الله واستكمال لطاعة الله وقوة على دين الله ليس
لاحد تغييرها ولا النظر فى رأي من خالفها ، من اهتدى بها فهو مهتد ومن استنصر
بها فهو منصور ومن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى وأصلاه جهنم
وساءت مصيرا . فسنة خلفائه الراشدين هي مما امر الله به ورسوله وعليه أدلة شرعية
مفصلة ليس هذا موضعها فكما أن الله بين فى كتابه مخاطبة أهل الكتاب واقام عليهم الحجة
بما بينه من أعلام رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وما فى كتبهم من ذلك وما حرفوه وبدلوه
من دينهم وصدق بما جاءت به الرسل قبله حتى اذا سمع ذلك الكتابى العالم المنصف
وجد ذلك كله من أبين الحجة وأقوم المحجة . والمناظرة والمحاجة لا تنفع الا مع العدل
والانصاف والا فالظالم يجحد الحق الذى يعلمه وهو المسفسط والمقرمط أو يمتنع عن
الاستماع والنظر فى طريق العلم وهو المعرض عن النظر والاستدلال فكما أن الاحساس
الظاهر لا يحصل للمعرض ولا يقوم للجاحد فكذلك الشهود الباطن لا يحصل للمعرض عن
النظر والبحث بل طالب العلم يجتهد فى طلبه من طرقه ولهذا سمى مجتهدا كما يسمى المجتهد
فى العبادة وغيرها مجتهدا كما قال بعض السلف ما المجتهد فيكم الا كاللاعب فيهم

وقال أبي ابن كعب وابن مسعود اقتصاد فى سنة خير من اجتهاد فى بدعة وقد قال النبي
صلى الله عليه وسلم « اذا اجتهد الحاكم فاصاب فله أجران واذا اجتهد فاخطأ فله اجر »[1]
وقال معاذ بن جبل ويروى مرفوعا وهو محفوظ عن معاذ : عليكم بالعلم فان تعليمه حسنة
وطلبه عبادة ومذاكرته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة وبذله
لاهله قربة فجعل الباحث عنه مجاهدا فى سبيل الله . ولهذا لما كانت المحاجة لا تنفع
الا مع العدل قال تعالى (ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن الا الذين ظلموا [منهم])
فالظالم ليس علينا أن نجادله بالتى هى أحسن واذا حصل من مسلمة اهل الكتاب
الذين علموا ما عندهم بلغتهم وترجموا لنا بالعربية انتفع بذلك فى مناظرتهم ومخاطبتهم
كما كان عبد الله بن سلام وسلمان الفارسى وكعب الحبر وغيرهم يحدثون بما عندهم من
العلم وحينئذ يستشهد بما عندهم على موافقة ما جاء به الرسول ويكون حجة عليهم
من وجه وعلى غيرهم من وجه آخر كما بيناه فى موضعه . والالفاظ العبرية تقارب
العربية بعض المقاربة كما تتقارب الاسماء[2] فى الاشتقاق الاكبر وقد سمعت
الفاظ التوراة بالعبرية من مسلمة اهل الكتاب فوجدت اللغتين متقاربتين غاية
التقارب حتى صرت افهم كثيرا من كلامهم العبري بمجرد المعرفة بالعربية والمعانى
الصحيحة [التى فى التوراة] اما مقاربة لمعانى القرآن أو مثلها او بعينها وان كان فى القرآن من الالفاظ
والمعانى خصائص عظيمة . فاذا اراد المجادل منهم [أن] يذكر ما يطعن فى القرآن
بنقل أو عقل مثل أن ينقل عما فى كتبهم عن الأنبياء ما يخالف ما جاء به محمد صلى الله عليه
وسلم او خلاف ما ذكره الله فى كتبهم كزعمهم للنبي صلى الله عليه ان الله أمرهم بتحميم
الزانى دون رجمه امكن النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ان يطلبوا التوراة
ومن يقرأها يقرأها بالعربي ويترجمها من ثقات التراجمة كعبد الله ابن سلام ونحوه
لما قال لحبرهم ارفع يدك عن آية الرجم فاذا هي تلوح ورجم النبي صلى الله عليه وسلم
الزانيين منهما بعد أن أقام عليهم الحجة من كتابهم وذلك أنه موافق لما انزل الله

[1] رواه البخاري ومسلم وابو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث ابي هريرة وعمرو بن العاص اثاره المنذري فى تلخيص سنن ابي داود

[2] كذا ولعله الأسماء

عليه من الرجم وقال «اللهم اني اول من أحيا أمرك إذ أماتوه» ولهذا قال ابن عباس
فى قوله تعالى (إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين اسلموا) قال[١]:
محمد صلى الله عليه وسلم من النبيين الذين اسلموا وهو لم يحكم إلا بما انزل الله عليه كما
قال (وان احكم بينهم بما انزل الله) . وكذلك يمكن ان يقرأ من نسخة مترجمة بالعربية
قد ترجمها الثقات بالخط واللفظ العربيين يعلم بهما ما عندهم بواسطة المترجمين الثقات
من المسلمين او ممن يعلم خطهم[٢] منا كزيد بن ثابت ونحوه لما أمره النبي صلى الله عليه وسلم
ان يتعلم ذلك والحديث معروف فى السنن[٣] وقد احتج به البخاري فى (باب ترجمة الحاكم وهل
يجوز ترجمان) قال وقال خارجة بن زيد عن زيد بن ثابت أن النبي أمره ان يتعلم كتاب
اليهود حتى كتب للنبي صلى الله عليه وسلم واقرأه كتبهم اذا كتبوا اليه . والمكاتبة
بخطهم والمخاطبة بلغتهم من جنس واحد وان كانا قد يجتمعان وقد ينفرد احدهما عن
الأخر مثل كتب اللفظ العربي بالخط العبري وغيره من خطوط الأعاجم ويكتب اللفظ
العجمي بالخط العربي وقيل يتفق ذلك كذا ولهذا قال سبحانه (كل الطعام كان حلا لبني
اسرائيل إلا ما حرم[٤] اسرائيل على نفسه قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين)
فامرنا ان نطلب منهم احضار التوراة وتلاوتها ان [كانوا] صادقين فى نقل ما يخالف ذلك
فانهم كانوا (يلوون السنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب)
و(يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هو من عند الله) ويكذبون فى كلامهم وكتابهم
فلهذا لا تقبل الترجمة الا من ثقة . فاذا احتج احدهم على خلاف القرآن برواية عن
الرسل المتقدمين مثل الذى يروى عن موسى انه قال «تمسكوا بالسبت ما دامت
السموات والارض» أمكننا أن نقول لهم فى أي كتاب هذا أحضروه وقد علمنا
ان هذا ليس فى كتبهم وانما هو مفترى مكذوب وعندهم النبوات التي هي ثنتان
وعشرون وكتاب المثنوى الذى معناه المثناة[٥] وهي [التي] جعلها عبد الله بن عمرو
فينا من اشراط الساعة فقال لا تقوم الساعة حتى تقرأ فيكم المثناة[٦] أو تدرون ما المثناة قال ما
ليس احد يغيرها قيل
وما المثناة قال ما استكتب
من غير كتاب الله

[١] اى ابن عباس — محمد مفعول
[٢] يعني مع لغتهم
[٣] كالترمذى وقال حسن صحيح وابو داود فى كتاب العلم من سننه واخرجه البخارى تعليقا فى كتاب العلم من صحيحه اهـ من المتدرس
[٤] كان من الاصل هنا الآية فاتممناها
[٥] يسمونه الآن المشنى أو التلمود وهو كتاب مطول فيه اخبار الاحبار ومواعظهم وآراؤهم
[٦] [illegible]

ما كتب من كتب غير كتاب الله . وكذلك اذا سئلوا عما فى الكتاب من ذكر اسماء الله وصفاته
لتقام الحجة عليهم وعلى غيرهم بموافقة الأنبياء المتقدمين لمحمد صلى الله عليه وسلم فحرفوا
الكلم عن مواضعه امكن معرفة ذلك كما تقدم وان ذكروا حجة عقلية فهمت ايضا مما فى القرآن
بردها مثل انكارهم للنسخ بالعقل حتى قالوا لا ينسخ ما حرمه ولا ينهى عما أمر به فقال تعالى
(سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها) قال البراء بن عازب
[كما] فى الصحيحين هم اليهود فقال سبحانه (لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء الى صراط
مستقيم) فذكر ما فى النسخ من تعليق الامر بالمشيئة الالهية ومن كون الامر الثانى قد يكون
اصلح وانفع فقوله (يهدى من يشاء الى صراط مستقيم) بيان للأصلح الأنفع وقوله (من يشاء)
ردًا للامر الى المشيئة وعلى بعض ما فى الآية اعتماد جميع المتكلمين حيث قالوا التكليف
اما تابع لمحض المشيئة كما يقوله قوم أو تابع للمصلحة كما يقوله قوم وعلى التقديرين فهو جائز .
ثم انه سبحانه بين وقوع النسخ بتحريم الحلال فى التوراة بانه أحل لاسرائيل أشياء ثم حرمها
فى التوراة وان هذا كان تحليلا شرعيا بخطاب لم يكونوا استباحوه بمجرد البقاء على الأصل
حتى لا يكون رفعه نسخا كما يدعيه قوم منهم ، وأمر بطلب التوراة فى ذلك وهكذا وجدناه
فيها كما حدثنا بذلك مسلمة اهل الكتاب فى غير موضع . وهكذا مناظرة الصابئة الفلاسفة
والمشركين ونحوهم فان الصابئ الفيلسوف اذا ذكر ما عند قدماء الصابئة الفلاسفة من
الكلام الذى عرب وترجم بالعربية وذكره اما صرفا واما على الوجه الذى تصرف فيه متأخروهم
بزيادة ونقصان ، وبسط واختصار ورد بعضه واتيان بمعان أخر ليست فيه ونحو
ذلك فان ذكر ما لا يتعلق بالدين مثل [مسائل] الطب والحساب المحض التى يذكرون فيها ذلك
وكتب من أخذ عنهم مثل محمد بن زكريا الرازي وابن سينا ونحوهم من الزنادقة الاطباء
ما غايته انتفاع بآثار الكفار والمنافقين فى امور الدنيا فهذا جائز كما يجوز السكنى فى ديارهم
ولبس ثيابهم وسلاحهم وكما تجوز معاملتهم على الارض كما عامل النبي صلى الله عليه وسلم
يهود خيبر وكما استأجر النبي صلى الله عليه وسلم هو وابو بكر لما خرجا من مكة مهاجرين رجلا من

بنى الديل هاديا خريتا — والخريت الماهر بالهداية — وائتمناه على انفسهما ودوابهما
وواعداه غار ثور صبح ثالثة ، وكانت خزاعة عيبة نصح رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلمهم
وكافرهم وكان يقبل نصحهم وكل هذا فى الصحيحين ، وكان أبو طالب ينصر النبى صلى الله عليه
وسلم ويذب عنه مع شركه وهذا كثير . فان المشركين واهل الكتاب فيهم المؤتمن كما
قال تعالى (ومن اهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك ومنهم من ان تأمنه بدينار
لا يؤده اليك الا مادمت عليه قائما) ولهذا جاز ائتمان أحدهم على المال وجاز أن يستطب المسلم
الكافر اذا كان ثقة نص على ذلك الأئمة كاحمد وغيره اذ ذاك قبول خبر فيما يعلمونه
من امر الدنيا وائتمان لهم على ذلك وهو جائز اذا لم يكن فيه مفسدة راجحة مثل ولايته
على المسلمين وعلوه عليهم ونحو ذلك . فاخذ علم الطب من كتبهم مثل الاستدلال
بالكافر على الطريق واستطبابه بل هذا أحسن لأن كتبهم لم يكتبوها لمعين من المسلمين
حتى تدخل فيها الخيانة وليس فيها حاجة الى احد منهم بالخيانة بل هى مجرد انتفاع بآثارهم
كالملابس والمساكن والمزارع والسلاح ونحو ذلك ، وان ذكروا شيئا مما يتعلق بالدين فان
نقلوه عن الانبياء كانوا فيه كاهل الكتاب وأسوأ حالا وان احالوا معرفته على القياس
العقلى فان وافق مافى القرآن فهو حق وان خالفه ففى القرآن بيان بطلانه بالامثال
المضروبة كما قال تعالى (ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا) ففى القرآن
الحق والقياس البين الذى يبين بطلان ماجاؤا به من القياس وان كانوا ما يذكرونه
بخلافه الحق وهو الغالب على الصابئة المبدلين مثل ارسطو واتباعه وعلى من
اتبعهم من الآخرين قبل الحق ورد الباطل والحق من ذلك لا يكون بيان صفة
الحق فيه كبيان صفة الحق فى القرآن فالأمر فى هذا موقوف على معرفة القرآن
ومعانيه وتفسيره وترجمته . والترجمة والتفسير ثلاث طبقات (أحدها) ترجمة
مجرد اللفظ مثل نقل اللفظ بلفظ مرادف ففى هذه الترجمة تريد أن ان الذى
يعنى بهذا اللفظ عند هؤلاء هو بعينه الذى يعنى باللفظ عند هؤلاء فهذا علم

مثل ولاية المغفر لا للمغفر اذ فيهما مفسدة لا تخفى

اى الطب

تعرف

نافع اذ كثير من الناس يفيد المعنى باللفظ فلا يجرده عن اللفظين جميعا (والثانى) ترجمة المعنى
وبيانه بان يصور المعنى للمخاطب فتصوير المعنى له وتفهيمه اياه قدر زائد على ترجمة اللفظ كما
يشرح للعربى كتابا عربيا قد سمع الفاظه العربية لكنه لم يتصور معانيه ولا فهمها وتصوير
المعنى يكون بذكر عينه او نظيره اذ هو تركيب صفات من مفردات يفهمها المخاطب يكون ذلك
المركب صورة ذلك المعنى اما تحديدا واما تقريبا (الدرجة الثالثة) بيان صحة ذلك المعنى
وتحقيقه بذكر الدليل والقياس الذى يحقق ذلك المعنى اما بدليل مجرد واما بدليل يبين
علة وجوده . وهنا قد يحتاج الى ضرب امثلة ومقاييس تفيده التصديق بذلك
المعنى كما يحتاج فى الدرجة الثانية الى أمثلة لتصور ذلك المعنى وقد يكون نفس تصوره
مفيد العلم بصدقه واذا كفى تصور معناه فى التصديق به لم يحتج الى قياس ومثل ودليل
آخر . فاذا عرف القرآن هذه المعرفة فالكلام الذى يوافقه او يخالفه من كلام أهل
الكتاب والصابئين والمشركين لابد فيه من الترجمة للفظ والمعنى أيضا وحينئذ فالقرآن
فيه تفصيل كل شئ كما قال تعالى (ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه
وتفصيل كل شئ) وقال (ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ) . ومعلوم أن الأمة مأمورة
بتبليغ القرآن لفظه ومعناه كما أمر بذلك الرسول ولا يكون تبليغ رسالة الله الا كذلك
وأن تبليغه الى العجم قد يحتاج الى ترجمة لهم فيترجم لهم بحسب الامكان والترجمة قد تحتاج
الى ضرب أمثال لتصوير المعانى فيكون ذلك من تمام الترجمة . واذا كان من المعلوم أن أكثر
المسلمين بل أكثر المنتسبين منهم الى العلم لا يقومون بترجمة القرآن وتفسيره وبيانه فغيرهم
أن يعجز عن ترجمة ما عنده وبيانه أولى بذلك لان عقل المسلمين اكمل وكتابهم أقوم نقلا
واحسن حديثا ، ولغتهم أوسع لاسيما اذا كانت تلك المعانى غير محققة بل فيها باطل
كثير فان ترجمة المعانى الباطلة وتصويرها صعب لانه ليس لها نظير من الحق
من كل وجه فاذا اسئلنا عن كلام يقولونه هل هو حق أو باطل ، ومن أين يتبين الحق
فيه والباطل [قلنا] من القرآن بالحجة والدليل كما كان المشركون واهل الكتاب

هو

يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مسائل أو يناظرونه وكما كانت الأمم تجادل رسلها اذ كثير من الناس يدعى موافقة الشريعة للفلسفة (مثال ذلك) إذا ذكروا[1] العقول العشرة والنفوس التسعة وقالوا ان العقل الأول هو الصادر الأول عن الواجب بذاته وانه من لوازم ذاته ومعلول له وكذلك الثاني عن الاول وان لكل فلك عقلا ونفسا (قيل) قولكم عقل ونفس لغة لكم فلا بد من ترجمتها وان كان اللفظ عربيا فلا بد من ترجمة المعنى فيقولون العقل هو الروح المجردة عن المادة وهي[2] الجسد وعلائقها سموه عقلا ويسمونه مفارقا ويسمون تلك المفارقات للمواد لانها مفارقة للأجساد كما ان روح الانسان اذا فارقت جسده كانت مفارقة المادة التي هي الجسد والنفس هي الروح المدبرة للجسم مثل نفس الانسان اذا كانت في جسمه فمتى كانت في الجسم كانت محركة له فاذا فارقته صارت عقلا محضا أي يعقل العلوم من غير تحريك لشيء من الاجسام فهذه العقول والنفوس . وهذا الذي ذكرناه من أحسن الترجمة عن معنى العقل والنفس واكثرهم لا يحصلون ذلك . قالوا واثبتنا لكل فلك نفسا لأن الحركة اختيارية فلا تكون الا لنفس ، ولكل نفس عقلا لان العقل كامل لا يحتاج الى الحركة والمتحرك يطلب الكمال فلابد ان يكون فوقه ما يتشبه به وما يكون علة له ولهذا كانت حركة أنفسنا للتشبه بما فوقنا من العقول وكل ذلك تتشبه بواجب الوجود بحسب الامكان ٥

والاول لا يصدر عنه الا عقل لان النفس تقتضي جسما والجسم فيه كثرة والصادر عنه لا يكون الا واحدا ولهم في الصدور اختلاف كثير ليس هذا موضعه . (قيل لهم) اما اثباتكم ان في السماء أرواحا فهذا يشبه ما في القرآن وغيره من كتب الله ولكن ليست هي الملائكة كما يقول الذين يزعمون منكم أنهم آمنوا بما انزل على الرسول وما أنزل من قبله ويقولون ما اردنا الا الاحسان والتوفيق بين الشريعة والفلسفة فانهم قالوا العقول والنفوس عند الفلاسفة هي الملائكة عند الانبياء وليس كذلك لكن تشبهها من بعض الوجوه فان اسم الملائكة والملك يتضمن أنهم رسل الله كما قال تعالى (جاعل الملائكة رسلا)

[1] اي المتفلسفون اليونان

[2] اي الالات

وكما قال (والمرسلات عرفا) فالملائكة رسل الله في تنفيذ أمره الكوني الذي يدبر به السموات والارض كما قال تعالى (حتى اذا جاء احدهم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون) وكما قال (بلى ورسلنا لديهم يكتبون) وأمره الديني الذي تنزل به الملائكة فانه (ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده) وقال تعالى (وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء انه علي حكيم) وقال تعالى (الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس) وملائكة الله لا يحصي عددهم الا الله كما قال تعالى (وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا ايمانا ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا اراد الله بهذا مثلا كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وما يعلم جنود ربك الا هو) ٥

(وقيل لهم) الذي في الكتاب والسنة من ذكر الملائكة وكثرتهم أمر لا يحصر حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم « أطت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع أربع أصابع الا ملك قائم أو قاعد أو راكع أو ساجد[1] » وقال الله تعالى (تكاد السموات يتفطرن من فوقهن والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض الا ان الله هو الغفور الرحيم) .

فمن جعلهم عشرة أو تسعة عشر أو زعم ان التسعة عشر الذين على سقر هم العقول والنفوس فهذا من أجهله بما جاء عن الله ورسوله وضلاله في ذلك بين اذا لم تتفق الأسماء في صفة المسمى ولا في قدره كما تكون الالفاظ المترادفة وانما اتفق المسميان في كون كل منهما روحا متعلقا بالسموات وهذا من بعض صفات ملائكة السموات فالذي اثبتوه [هو] بعض الصفات لبعض الملائكة وهو بالنسبة الى الملائكة وصفاتهم وأقدارهم واعدادهم في غاية القلة أقل مما يؤمن به السامرة[2] من الأنبياء بالنسبة الى الأنبياء اذ لا يؤمنون بعد موسى ويوشع بنبي . كيف وهم[3] لم يثبتوا للملائكة من الصفة الا مجرد ما علموه من نفوسهم ، مجرد العلم للعقول ، والحركة الارادية للنفوس

[1] رواه احمد والترمذي وابن ماجه من حديث ابي ذر بنحوه وقال الترمذي حسن غريب ويروى عن ابي ذر موقوفا اهـ من تفسير العماد ابن كثير عند قوله تعالى (وما يعلم جنود ربك الا هو) من سورة المدثر



[2] فرقة من اليهود لهم توراة ومناسك خلاف ما عند جمهور اليهود

[3] اي مقلدة الفلاسفة

ومن المعلوم ان الملائكة لهم من العلوم والاحوال والارادات والأعمال ما لا يحصيه الا ذو الجلال
ووصفهم فى القرآن بالتسبيح والعبادة لله اكثر من أن يذكر هنا كما ذكر تعالى فى خطابه
للملائكة وأمره لهم بالسجود لآدم وقوله تعالى (فان استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له
بالليل والنهار وهم لا يسأمون) وقوله تعالى (ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن
عبادته ويسبحونه وله يسجدون) وقوله تعالى (وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه
بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم
ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ومن يقل منهم انى اله من دونه
فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزى الظالمين) وقوله تعالى (الله يصطفى من الملائكة
رسلا ومن الناس وقوله تعالى (الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون
به ويستغفرون لمن فى الارض) وقوله تعالى (كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله)
للذين آمنوا صح
وقوله تعالى (اذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة
منزلين بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف
من الملائكة مسومين) وقوله تعالى (اذ يوحي ربك الى الملائكة أنى معكم فثبتوا
الذين آمنوا) وقوله تعالى (فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وانزل جنوداً
لم تروها) وقال تعالى (يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فارسلنا
عليهم ريحا وجنودا لم تروها) وقوله تعالى (ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون
وجوههم وادبارهم وذوقوا عذاب الحريق) وقوله تعالى (الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون
سلام عليكم) وقوله تعالى (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة
الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التى كنتم توعدون) وقوله تعالى (حتى اذا جاء أحدكم
الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون) وقوله تعالى (قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم)
وقوله تعالى (فى صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بايدى سفرة كرام بررة) وقوله تعالى (وان
عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون) وقوله تعالى (ام يحسبون انا لا نسمع

سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون) وقوله تعالى (ما يلفظ من قول الا لديه رقيب
عتيد) وقوله تعالى (والصافات صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا) وقوله تعالى (فاستفتهم
الربك البنات ولهم البنون ام خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون الا انهم من افكهم
ليقولون ولد الله وانهم لكاذبون) الى قوله (وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون)
وفى الصحيحين عن جابر بن سمرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «الا تصفون كما تصف
الملائكة عند ربها» قالوا وكيف تصف الملائكة عند ربها قال «يسدون الاول [فالاول]
يتمون
فيتراصون فى الصف» وفى الصحيحين عن قتادة عن أنس عن مالك بن صعصعة فى حديث
المعراج عن النبي صلى الله عليه وسلم لما ذكر صعوده الى السماء السابعة قال «فرفع لى البيت
المعمور فسألت جبريل فقال هذا البيت المعمور يصلى فيه كل يوم سبعون الف ملك اذا
خرجوا لم يعودوا آخر ما عليهم» وقال البخاري: وقال همام عن قتادة عن الحسن عن
ابى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال «اذا أمن القارئ فأمنوا فانه من وافق
تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه» وفى الرواية الاخرى فى الصحيحين
اذا قال «آمين فان الملائكة فى السماء تقول آمين» وفى الصحيح أيضا عن ابى صالح
عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «اذا قال الامام سمع الله لمن حمده
فقولوا اللهم ربنا ولك الحمد فانه من وافق قوله قول الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه»
وفى الصحيح عن عروة عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنها سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول «ان الملائكة تنزل فى العنان وهو السحاب فتذكر الأمر قضى فى السماء
فتسترق الشياطين السمع فتسمعه فتوحيه الى الكهان فيكذبون معها مائة كذبة
من عند أنفسهم» وفى الصحيحين عن ابى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «ان لله
ملائكة سيارة فضلاء يتبعون مجالس الذكر فاذا وجدوا مجلسا فيه ذكر قعدوا معهم
وحف بعضهم بعضا باجنحتهم حتى يملؤوا ما بينهم وبين السماء الدنيا فاذا تفرقوا
عرجوا وصعدوا الى السماء فيسألهم الله وهو اعلم من اين جئتم فيقولون جئنا من
عند عباد لك فى الأرض يسبحونك ويكبرونك ويهللونك ويحمدونك ويسألونك

قال وما يسألوني قالوا يسألونك جنتك قال وهل رأوجنتي قالوا لا أي رب قال فكيف
ولو رأوا جنتي قالوا ويستجيرونك قال ومم يستجيروني قال من نارك قال وهل رأوا
ناري قالوا لا يا رب قال فكيف لو رأوا ناري قالوا ويستغفرونك قال فيقول قد غفرت
لهم واعطيتهم ما سألوا واجرتهم مما استجاروا قال يقولون رب فيهم فلان عبد خطاء
انما مر فجلس معهم ~~قال~~ قال فيقول وله قد غفرت هم القوم لا يشقى بهم جليسهم »
وفي الصحيحين عن عروة عن عائشة حدثته انها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم هل أتى
عليك يوم كان اشد من يوم احد قال « لقد لقيت من قومك ما لقيت وكان أشد ما لقيت
منهم يوم العقبة اذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني الى ما اردت
فانطلقت وانا مهموم على وجهي فلم استفق الا وأنا بقرن الثعالب فرفعت رأسي فاذا أنا
بسحابة قد أظلتني فنظرت فاذا فيها جبريل فناداني فقال ان الله قد سمع قول قومك لك
وما ردوا عليك وقد بعث الله اليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم فناداني ملك الجبال
فسلم علي ثم قال يا محمد فقال ذلك فيما شئت ان شئت ان أطبق عليهم الأخشبين
فقال النبي صلى الله عليه وسلم بل ارجو أن يخرج الله من اصلابهم من يعبد الله وحده لا
يشرك به شيئا[١]» وأمثال هذه الاحاديث الصحاح مما فيها من ذكر الملائكة الذين في السموات
وملائكة الهواء والجبال وغير ذلك كثيرة . وكذلك الملائكة المتصرفون في أمور بني آدم
مثل قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق عليه حديث الصادق المصدوق يقول
« ثم يبعث اليه الملك فيؤمر باربع كلمات فيقال اكتب رزقه وأجله وشقي او سعيد
ثم ينفخ فيه الروح » وفي الصحيح حديث البراء بن عازب قال قال النبي صلى الله عليه وسلم
لحسان أهجهم أو هاجهم وجبريل معك » وفي الصحيح أيضا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له
اجب عني اللهم أيده بروح القدس » وفي الصحيح عن أنس قال كأني أنظر الى غبار ساطع
في سكة بني غنم موكب جبريل وفي الصحيحين عن عائشة أن الحارث بن هشام قال
يا رسول الله كيف يأتيك الوحي قال « احيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده

[١] هذا لفظ البخاري وكتب بهامش الصحيح

علي فيفصم عني وقد وعيت ما قال ، وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فاعي ما يقول »
واتيان جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم تارة في صورة أعرابي وتارة في صورة دحية الكلبي
ومخاطبته واقراؤه اياه كثيرا أعظم من ان يذكر هنا وفي الصحيحين عن أبي هريرة قال قال
النبي صلى الله عليه وسلم « يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الفجر
والعصر ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم كيف تركتم عبادي فيقولون
تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون » وفي الصحيحين عن عائشة قالت حشوت[١]
للنبي صلى الله عليه وسلم وسادة فيها تماثيل كأنها نمرقة فجاء فقام بين الناس[٢] وجعل يتغير
وجهه فقلت ما لنا يا رسول الله قال « ما بال هذه الوسادة قلت وسادة جعلتها لك لتضطجع
عليها قال اما علمت ان الملائكة لا تدخل بيتا فيه صورة ان من صنع الصور يعذب يوم
القيامة يقال أحيوا ما خلقتم » وفي الصحيحين عن ابن عباس قال سمعت أبا طلحة يقول سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا صورة تماثيل » وكذلك
في الصحيحين عن عبد الله بن عمر قال وعد النبي صلى الله عليه وسلم جبريل فقال « انا لا ندخل
بيتا فيه كلب ولا صورة » وفي الصحيحين عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم « قال ان
الملائكة تصلي على احدكم ما دام في مصلاه الذي صلى فيه اللهم اغفر له اللهم ارحمه ما لم يحدث »
وامثال هذه النصوص التي يذكر فيها من أصناف الملائكة وأوصافهم وافعالهم ما لم يمتنع
ان يكون ما يذكرونه من العقول والنفوس او ان يكون جبريل هو العقل الفعال ويكون
ملائكة الآدميين هي القوى الصالحة والشياطين هي القوى الفاسدة كما يزعم هؤلاء .
وايضا فزعمهم أن العقول والنفوس التي جعلوها الملائكة معلولة عن الله صادرة عن
ذاته صدور المعلول عن علته هو قول بتولدها عن الله وان الله ولد الملائكة وهذا امر رده
الله ونزه نفسه عنه وكذب قائله وبين كذبه بقوله (لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد)
وقال تعالى (الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله وانهم لكاذبون[٣] أصطفى البنات على
البنين ما لكم كيف تحكمون افلا تذكرون ام لكم سلطان مبين فاتوا بكتابكم ان كنتم صادقين)

[١] كذا ولعله الباب
[٢] كان في الاصل قالت
[٣] كان في الاصل الى قوله ان كنتم صادقين فاتممنا الآية

وبقوله (وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا[1] له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون) وقوله تعالى (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون[2] يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون) وقال تعالى (لن يستنكف المسيح ان يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون) وقال تعالى (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا إدا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا أن دعوا للرحمن ولدا وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولداً ان كل من في السموات والأرض إلا آت الرحمن عبداً لقد احصاهم وعدهم عدا وكلهم آتيه يوم القيمة فردا) فاخبر أنهم معبدون اى مذللون مصرفون مدينون مقهورون ليسوا كالمعلول المتولد تولدا لا[3] يتصور ان يتغير عن ذلك واخبر أنهم عباد الله لا يتشبهون به كما يتشبه المعلول بالعلة والولد بالوالد كما يزعمه هؤلاء الصابئون وقال تعالى (وقالوا اتخذ الله ولداً سبحانه بل له ما في السموات والأرض كل له قانتون بديع السموات والأرض واذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون) فاخبر انه يقضي كل شئ بقوله «كن» لا بالتولد المعلول عنه ولذلك قال سبحانه (وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون بديع السموات والارض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شئ وهو بكل شئ عليم) فاخبر ان التولد لا يكون الا عن أصلين كما تكون النتيجة عن مقدمتين وكذلك سائر المعلولات المعلومة لا يحدث المعلول الا باقتران ما تتم به العلة فاما الشئ الواحد وحده فلا يكون علة ولا والدا قط لا يكون شئ في هذا العالم الا عن أصلين ولو أنهما[4] الفاعل والقابل كالنار والحطب والشمس والارض فاما الواحد وحده فلا يصدر عنه شئ ولا يتولد . فبين القرآن أنهم أخطأوا طريق القياس في العلة والتولد حيث جعلوا العالم يصدر عنه بالتعليل والتوليد وكذلك قال (ومن كل شئ خلقنا زوجين لعلكم تذكرون) خلاف قولهم ان الصادر عنه واحد

[1] اى نسبوا اليه كذبا وبهتانا

[2] كان في الاصل هنا الى قوله مشفقون مكتبنا الآية جميعا

[4] ص والتولد

وهذا وفاء بما ذكره الله تعالى من قوله (ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق واحسن تفسيرا) اذ قد تكفل بذلك في حق كل من خرج عن اتباع الرسول فقال تعالى (تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا) [فذكر] الواحدانية والرسالة الى قوله (ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا يا ويلتى ليتني لم اتخذ فلانا خليلا لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للانسان خذولا) فكل من خرج عن اتباع الرسول فهو ظالم بحسب ذلك والمبتدع ظالم بقدر ما خالفه من سنته (وقال الرسول يارب ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين وكفى بربك هاديا ونصيرا وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق واحسن تفسيرا) .

وهؤلاء الصابئة[1] قد أتوا بمثل وهو قولهم الواحد لا يصدر عنه ويتولد عنه الا واحد والرب واحد فلا يصدر عنه الا واحد يتولد فأتى الله بالحق وأحسن تفسيرا وبين أن ان الواحد لا يصدر عنه شئ ولا يتولد عنه شئ أصلا وأنه لم يتولد عنه شئ ولم يصدر عنه شئ ولكن خلق كل شئ خلقا وأنه خلق من كل [شئ] زوجين اثنين ولهذا قال مجاهد - وذكره البخاري في صحيحه - في الشفع والوتر : ان الشفع هو الخلق فكل مخلوق له نظير ، والوتر هو الله الذي لا شبيه له فقال (أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة) وذلك أن الآثار الصادرة عن العلل والمتولدات في الموجودات لابد فيها من شيئين أحدهما يكون كالأب والأخر يكون كالأم القابلة وقد يسمون ذلك الفاعل والقابل كالشمس مع الارض والنار مع الحطب ، فاما صدور شئ واحد عن شئ واحد فهذا لا وجود له في الوجود اصلا واما تشبيههم لذلك بالشعاع مع الشمس وبالصوت كالطنين مع الحركة والنقر فهو ايضا حجة الله ورسوله والمؤمنين عليهم وذلك ان الشعاع ان اريد به نفس ما يقوم بالشمس فذلك صفة من صفاتها وصفات الخالق

[1] لعله الصابئة

[Marginal notes at left margin of p. 78, partly illegible: [illegible]]

ليست مخلوقه ولاهي من العالم الذي فيه الكلام وان اريد بالشعاع ماينعكس على
الأرض فذلك لابد فيه من شيئين وهوالشمس التى تجري مجرى الاب الفاعل والارض
التى تجري مجرى الام القابله وهى الصاحبة للشمس وكذلك الصوت لايتولد الاعن
جسمين يقرع أحدهما الاخر أويقلع عنه فيتولد الصوت الموجود فى اجسام العالم عن
اصلين يقرع أحدهما الآخر أويقلع عنه فهما احتجوا به من القياس فالذي جاء الله به هو
الحق واحسن تفسيراً أحسن بيانا وايضاحاً للحق وكشفاله وايضا فجعلها علة تامة
لما يحبها ومؤكدة له وموجبة له حتى يجعلونها مبادئنا ويجعلونها لنا كالاباء والأمهات
وربما جعلوا العقل هوالأب والنفس هي الأم وربما قال بعضهم الوالدان العقل والطبيعة
كما قال صاحب الفصوص فى قول نوح (اغفرلى ولوالدي) أى من كنت نتيجة عنهما وهما
العقل والطبيعة وحتى يسموها[١] الأرباب والآلهة الصغرى ويعبد وهما كفر مخالف
لما جاءت به الرسل وبهذا وصف بعض السلف الصابئة بأنهم يعبدون الملائكة
وكذلك فى الكتب المعربة عن قدمائهم أنهم كانو يسمونها الآلهة والأرباب الصغرى
كما كانوا يعبدون الكواكب ايضا والقرآن ينفي أن تكون أربابا أوتكون آلهة وتكون
لها غيرما للرسول الذي لايفعل الا بعد أمر مرسله ولا يشفع الا بعد ان يؤذن له
فى الشفاعة وقد رد الله ذلك على من زعمه من العرب والروم وغيرهم من الامم فقال
تعالى (ولايأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا[٥] أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم
مسلمون) وقال تعالى (بل عباد مكرمون لايسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون)
وقال تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة[٣] فى السموات
ولافى الأرض ومالهم فيهما من شرك ومالهم منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة
عنده إلا لمن اذن له حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق
وهوالعلي الكبير) وقد تقدم بعض الاحاديث فى صعق الملائكة اذا قضى الله
الأمر الكوني أو بالوحي الديني وقال تعالى (وكم من ملك فى السموات[٤] لاتغني شفاعتهم

[١] كان في الاصل يسمونها
[٥] كان في الاصل هنا الآية فكتبناها كاملة
[٣] كان في الاصل هنا الى قوله وهو العلي الكبير فكملناها
[٤] كان في الاصل هنا الآية فكتبناها كاملة

شيئا الامن بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى) وقال تعالى (بل عباد مكرمون)
الآية وقال تعالى (وما نتنزل الا بامر ربك له ما بين ايدينا وما خلفنا[١] وما بين
ذلك وما كان ربك نسيا) وقال تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله
فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا[٢] أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم
الوسيلة أيهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان
محذورا) الآية نزلت فى الذين يدعون الملائكة والنبيين واستقصاء القول
فى ذلك ليس هذا موضعه. فان الله سبحانه بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بجوامع الكلم
فالكلم التى فى القرآن جامعة محيطة كلية عامة لما كان متفرقا منتشرا فى كلام غيره ثم انه
يسمي كل شيئ بما يدل على صفته المناسبة للحكم المذكور المبين وما يبين وجه دلالته فان
تنزيهه نفسه عن الولد والولادة واتخاذ الولد اعم واقوم من نفيه بلفظ العلة فان
العلة اصلها هوالتغير كالمرض الذي يحيل البدن عن صحته والعليل ضد الصحيح وقد
قيل انه لايقال معلول الا فى الشرب يقال شرب الماء عللا بعد نهل وعللته اذا سقيته
مرة ثانية واما استعمال اسم العلة فى الموجب للشيئ او المقتضى له فهو من عرف أهل الكلام
وهى وان كان بينها وبين العلة اللغوية مناسبة من جهة التغير فالمناسبة فى لفظ التولد
اظهر ولهذا كان فى الخطاب أشهر يقول الناس هذا الامر يتولد عنه كذا وهذا يولد
كذا وقد تولد عن ذلك الأمر كيت وكيت لكل سبب اقتضى مسببا من الاقوال
والاعمال حتى اهل الطبائع يقولون الاركان والمولدات يريدون ما يتولد عن الأصول
الاربعة التراب والماء والهواء والنار من معدن ونبات وحيوان. فنفيه سبحانه
عن نفسه أن يلد شيئا اقتضى الا يتولد عنه شيئ ونفيه أن يتخذ ولدا يقتضى انه
لم يفعل ذلك بشيئ من خلقه على سبيل التكريم وان العباد لايصلح ان يتخذ الله شيئا
منهم بمنزلة الولد وهذا يبطل من يدعي مثل ذلك فى المسيح وغيره ومن يقول نحن ابناء
ومن يقول الفلسفة هي التشبه بالاله فان الولد يكون من جنس والده ويكون نظيرا

[١] كان في الاصل هنا الآية فكتبناها كاملة
[٢] كان في الاصل هنا الآية فكتبناها كاملة
ا م / علا
دعوى ا م

له وان كان فرعا له ولهذا كان هؤلاء القائلون بهذه المعاني من اعظم الخلق قولا بالتشبيه
والتمثيل وجعل الانداد له والعدل والتسوية ولهذا كانت الفلاسفة الذين يقولون
بصدور العقول والنفوس عنه على وجه التولد والتعليل يجعلونها له اندادا ويتخذونها
آلهة وأربابا بل قد لا يعبدون الا اياها ولا يدعون سواها ويجعلونها هي المبدعة لما
سواها ممّا تحتها فالحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك و(تبارك الذي
نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا الذي له ملك السموات والارض ولم يتخذ
ولدا ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شئ فقدره تقديرا) [1]

[1] قال في المسودة بتلوه الوريقة ولم نجدها اهـ وقد رها صاحب الاصل بخمسة اسطره انتهى من هامش الاصل

فان هؤلاء جعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم والجن قد قيل
انه يعم الملائكة كما قيل في قوله (وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا) وان كان قد قيل من [2]
سبب ذلك زعم بعض مشركي العرب ان الله صاهر الى الجن فولدت الملائكة فقد
كانوا يعبدون الملائكة ايضا كما عبدتها الصابئة الفلاسفة كما قال تعالى (وجعلوا
الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا أشهدوا[2] خلقهم ستكتب شهادتهم ويسألون)
وقال تعالى (ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة[3] أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون قالوا
سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون)
يعني أن الملائكة لم تأمرهم بذلك وانما امرتهم بذلك الجن ليكونوا عابدين للشياطين
التي تتمثل لهم كما يكون للاصنام شياطين وكما تنزل الشياطين على بعض من يعبد
الكواكب ويرصدها حتى تنزل عليه صورة فتخاطبه وهو شيطان من الشياطين
ولهذا قال تعالى (ألم أعهد اليكم يا بني آدم[5] أن لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين وأن ...
ولقد أضل منكم جبلا كثيرا أفلم تكونوا تعقلون) وقال (أفتتخذونه وذريته[6] أولياء من
دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا) فهم وان لم يقصدوا عبادة الشيطان
وموالاته فهم في الحقيقة يعبدونه ويوالونه . فقد تبين أن هؤلاء الفلاسفة

[2] في الاصل هنا الآية فكتبناها كاملة
[3] في الاصل هنا الآية فكتبناها كاملة
[5] في الاصل هنا الآية فكتبناها كاملة
[6] في الاصل هنا الآية فكتبناها كاملة

الصابئة المبتدعة مؤمنون بقليل مما جاءت به الرسل في أمر الملائكة في صفتهم واقدارهم
وذلك ان هؤلاء القوم انما سلكوا سبيل الاستدلال بالحركات الفلكية والقياس على نفوسهم مع
ما جحدوه وجهلوه من خلق الله وابداعه وسبب ذلك ما ذكره طائفة ممن جمع أخبارهم ان
اساطينهم الاوائل كفيثاغورس وسقراط وافلاطون كانوا يهاجرون الى ارض الانبياء بالشام
ويتلقون عن لقمان الحكيم ومن بعده من اصحاب داود وسليمان وان ارسطو لم يسافر الى
ارض الانبياء ولم يكن عنده من العلم بأثارة الانبياء ما عند سلفه وكان عنده قدر يسير
من الصابئة الصحيحة فابتدع لهم هذه التعاليم القياسية وصارت قانونا مشى عليه
اتباعه واتفق انه قد يتكلم في طبائع الأجسام أو في صورة المنطق احيانا بكلام صحيح
واما الاولون فلم يوجد لهم مذهب تام مبتدع بمنزلة مبتدعة المتكلمين في المسلمين
مثل أبي الهذيل وهشام بن الحكم ونحوهما ممن وضع مذهبا في أبواب اصول الدين
فاتبعه على ذلك طائفة اذ كان أئمة المسلمين مثل مالك وحماد بن زيد والثوري ونحوهم
انما تكلموا بما جاءت به الرسالة وفيه الهدى والشفا فمن لم يكن له علم بطريق المسلمين
يعتاض بما عند هؤلاء وهذا سبب ظهور البدع في كل امة وهو خفاء سنن المرسلين
فيهم وبذلك يقع الهلاك ولهذا كانوا يقولون الاعتصام بالسنة نجاة قال مالك رحمه الله
السنة مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك وهذا حق فان سفينة نوح
انما ركبها من صدق المرسلين واتبعهم وان من لم يركبها فقد كذب المرسلين واتباع السنة
هو اتباع الرسالة التي جاءت من عند الله فتابعها بمنزلة من ركب مع نوح السفينة باطنا
وظاهرا والمتخلف من اتباع الرسالة بمنزلة المتخلف عن اتباع نوح عليه السلام وركوب
السفينة معه . وهكذا اذا تدبر المؤمن العليم سائر مقالات الفلاسفة وغيرهم من
الامم التي فيها ضلال وكفر وجد القرآن والسنة كاشفين لأحوالهم مبينا لحقهم مميزا بين
حق ذلك وباطله والصحابة كانوا أعلم الخلق بذلك كما كانوا أقوم الخلق بجهاد الكفار
والمنافقين كما قال فيهم عبد الله بن مسعود : من كان منكم مستنا فليستن بمن قدمات

فان الحي لا تؤمن عليه الفتنة اولئك أصحاب محمد كانوا أبر هذه الأمة قلوبا واعمقها علما
واقلها تكلفا قوم أختارهم الله لصحبة نبيه واقامة دينه فاعرفوا لهم حقهم وتمسكوا
بهديهم فانهم كانوا على الهدي المستقيم ، فأخبر عنهم بكمال بر القلوب مع كمال عمق العلم
وهذا قليل فى المتأخرين كما يقال : من العجائب فقيه صوفي وعالم زاهد ونحو ذلك فان
أهل بر القلوب وحسن الارادة وصلاح المقاصد يحمدون على سلامة قلوبهم من الارادات
المذمومة ويُقرن بهم كثيرًا عدم المعرفة ، وادراكُ حقائق احوال الخلق التى توجب
الذم للشر والنهي عنه والجهاد فى سبيل الله ، واهل التعمق فى العلوم قد يدركون من معرفة
الشرور والشبهات ما يوقعهم فى انواع الغي والضلالات ، واصحاب محمد كانوا ابر الخلق
قلوبا وأعمقهم علما ، ثم ان اكثر المتعمقين فى العلم من المتأخرين يقترن بتعمقهم التكلف
المذموم من المتكلمين والمتعبدين وهو القول والعمل بلا علم وطلب ما لا يدرك واصحاب
محمد كانوا مع أنهم أكمل الناس علما نافعا وعملا صالحا أقل الناس تكلفا يصدر عن أحدهم
الكلمة والكلمتان من الحكمة او من المعارف ما يهدي الله بها أمة وهذا من منن الله
على هذه الامة وتجد غيرهم يحشون الاوراق من التكلفات والشطحات ~~[illegible]~~
ما هو من أعظم الفضول المبتدعة والاراء المخترعة لم يكن لهم فى ذلك سلف الا رعونات
النفوس المتلقاة ممن ساء قصده فى الدين ويروى أن الله سبحانه قال للمسيح : انى
ساخلق أمة افضلها على كل أمة وليس لها علم ولا حلم فقال المسيح أي رب كيف تفضلهم
على جميع الأمم وليس لهم علم ولا حلم قال اهبهم من علمي وحلمي ، وهذا من خواص
متابعة الرسول فانهم كان له أتبع كان فى ذلك أكمل كما قال تعالى (يا ايها الذين آمنوا
أتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ويغفر لكم
والله غفور رحيم لئلا يعلم أهل الكتاب الا يقدرون على شيء من فضل الله وان الفضل
بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) وكذلك فى الصحيحين من حديث
أبي موسى وعبد الله بن عمر (مثلنا ومثل الامم قبلنا كالذي استأجر أجراء فقال من

يعمل لي الى نصف النهار على قيراط قيراط فعملته اليهود ثم قال من يعمل لي الى صلاة
العصر على قيراط قيراط فعملت النصارى ثم قال من يعمل لى الى غروب الشمس على
قيراطين قيراطين فعملت المسلمون فغضبت اليهود والنصارى وقالوا نحن أكثر
عملا واقل اجرًا قال فهل ظلمتكم من حقكم شيئا قالوا لا قال فهو فضلي أوتيه من
أشاء) فدل الكتاب والسنة على ان الله يؤتي أتباع هذا الرسول من فضله ما لم
يؤته لأهل الكتابين قبلهم فكيف بمن هو دونهم من الصابئية دع مبتدعة
الصابئية من المتفلسفة ونحوهم . ومن المعلوم ان اهل الحديث والسنة أخص
بالرسول واتباعه فلهم من فضل الله وتخصيصه اياهم بالعلم والحلم وتضعيف الأجر
ما ليس لغيرهم كما قال بعض السلف : أهل السنة فى الاسلام كأهل الاسلام فى الملل
فهذا الكلام تنبيه على ما يظنه اهل الجهالة والضلالة من نقص الصحابة فى العلم والبيان
واليد والسنان وبسط هذا لا يحتمله هذا المقام والمقصود التنبيه على ان كل من زعم بلسان
حاله او مقاله ان طائفة غير أهل الحديث ادركوا من حقائق الامور الباطنة الغيبية فى أمر
الخلق والبعث والمبدأ والمعاد وأمر الايمان بالله واليوم الآخر وتعرف واجب الوجود
والنفس الناطقة والعلوم والاخلاق التى تزكو بها النفوس وتصلح وتكمل دون اهل الحديث
فهو ان كان من المؤمنين بالرسل فهو جاهل فيه شعبة قوية من شعب النفاق والا فهو منافق
خالص من الذين اذا قيل لهم (آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء الا انهم
هم السفهاء ولكن لا يعلمون) وقد يكون من (الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان أتاهم)
ومن (الذين يحاجون فى الله من بعد ما استجيب له حجتهم داحضة وعليهم غضب ولهم
عذاب شديد) . وقد يبين ذلك بالقياس العقلي الصحيح الذي لا ريب فيه وان كان ذلك ظاهرا
بالفطرة لكل سليم الفطرة فانه متى كان الرسول اكمل الخلق واعلمهم بالحقائق وأقومهم قولا
وحالا لزم ان يكون اعلم الناس به واعلم الخلق بذلك وان يكون اعظمهم موافقة له واقتداء
به افضل الخلق ولا يقال هذه الفطرة يغيرها ما يوجد فى المنتسبين الى السنة والحديث

فعملت

[illegible] الاصل [illegible] لغيرهم

ع في الاصل هنا الآية مكتوبة كاملة

من تفريط وعدوان فيقال ان ذلك فى غيرهم اكثر والواجب مقابلة الجملة بالجملة فى المحمود
والمذموم هذه هى المقابلة العادلة وانما غير الفطرة قلة المعرفة بالحديث والسنة واتباع
ذلك مع مايوجد فى المخالفين لها من نوع تحقيق لبعض العلم واحسان لبعض العمل فيكون
ذلك شبهة فى قبول غيره وترجيح صاحبه ولاغرض لنا فى ذكر الأشخاص وقد ذكر أبو
محمد بن قتيبة فى أول كتاب مختلف الحديث وغيره من العلماء فى هذا الباب ما لا يحصى
من الامور المبينة لما ذكرناه وانما المقصود ذكر نفس الطريقة العلمية والعملية التي
تُعرّف بحقائق الأمور الخبرية النظرية وتوصل الى حقائق الأمور الارادية العملية
فمتى كان غير الرسول قادرا على علم بذلك أو بيان له او محبة لافادة ذلك فالرسول أعلم
بذلك وأحرص على الهدى وأقدر على بيانه منه وكذلك أصحابه من بعده وأتباعهم
وهذه صفات الكمال والعلم والارادة والاحسان والقدرة عليه كما قال النبي صلى الله
عليه وسلم فى دعاء الاستخارة «اللهم انى استخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك واسألك
من فضلك العظيم فانك تقدر ولا اقدر، وتعلم ولا اعلم، وأنت علام الغيوب» —
فعلمنا صلى الله عليه وسلم أن نستخير الله بعلمه فيعلمنا من علمه ما نعلم به الخير ونستقدره
بقدرته فيجعلنا قادرين اذ الاستفعال طلب الفعل كما قال فى الحديث الصحيح يقول الله
تعالى «ياعبادي كلكم جائع الا من اطعمته فاستطعمونى اطعمكم، ياعبادى كلكم ضال
الا من هديته فاستهدونى أهدكم فاستهداء الله طلب ان يهدينا واستطعامه طلب
ان يطعمنا هذا قوت القلوب وهذا قوت الأجسام وكذلك استخارته بعلمه واستقداره
بقدرته ثم قال «واسألك من فضلك العظيم» فهذا السؤال من جوده ومنّه وعطائه
واحسانه الذي يكون بمشيئته ورحمته وحنانه ولهذا قال «فانك تقدر ولا اقدر
وتعلم ولا أعلم» ولم يقل انى لا ارحم نفسى لانه فى مقام الاستخارة يريد الخير لنفسه
ويطلب ذلك لكنه لايعلمه ولايقدر عليه ان لم يعلمه الله اياه ويقدره عليه.
فاذا كان الرسول اعلم الخلق بالحقائق الخبرية والطلبية، واحب للخلق التعليم

والهداية والافادة، وأقدر الخلق على البيان والعبارة[١] امتنع أن يكون من هو دونه
افاد خواصه معرفة الحقائق أعظم مما افادها الرسول لخواصه فامتنع أن يكون
عند أحد من الطوائف من معرفة [الحقائق][٢] ما ليس عند علماء الحديث واذا لم يكن
فى الطوائف من هو أعلم بالحقائق وابين لها منه وجب ان يكون كل ما يذمون
به من جهل بعضهم هو فى طائفة المخالف لهم الذام اكثر فيكون الذام لهم جاهلا
ظالما، فيه شعبة نفاق اذا كان مؤمنا وهذا هو المقصود ثم ان هذا الذي
بيناه مشهود بالقلب اعلم ذلك فى كل أحد ممن اعرف مفصلا وهذه جملة يمكن
تفصيلها من وجوه كثيرة لكن ليس هذا موضعه ⊙

فصل واما قول من قال ان الحشوية على ضربين أحدهما لا يتحاشى من الحشو والتشبيه
والتجسيم والآخر تستر بمذهب السلف ومذهب السلف انما هو التوحيد والتنزيه دون
التشبيه والتجسيم وكذا جميع المبتدعة يزعمون فيهم كما قال القائل :

وكل يدعون وصال ليلى . وليلى لا تقر لهم بذاكا

فهذا الكلام فيه حق وباطل فمن الحق الذي فيه ذم من يمثل الله بمخلوقاته ويجعل صفاته
من جنس صفاتهم وقد قال الله تعالى (ليس كمثله شيء) وقال تعالى (ولم يكن له كفوا
احد) وقال (هل تعلم له سميا) وقد بسطنا القول فى ذلك وذكرنا الدلالات العقلية
التى دل عليها كتاب الله فى نفي ذلك وبينا منه ما لم تذكره النفاة الذين يتسمّون
بالتنزيه ولايوجد فى كتبهم ولا يسمع من أئمتهم بل عامة حججهم التى يذكرونها
حجج ضعيفة لانهم يقصدون اثبات حق وباطل فلا يقوم على ذلك حجة مطردة
سليمة عن الفساد بخلاف من اقتصد فى قوله وتحرى القول السديد فان الله يصلح
عمله كما قال تعالى (يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم اعمالكم
ويغفر لكم ذنوبكم) وفيه من الحق الاشارة الى الرد على من انتحل مذهب السلف مع
الجهل بمقالهم او المخالفة لهم بزيادة او نقصان فتمثيل الله بخلقه والكذب على السلف

[١] لعله فى الوصل والعبادة

[٢] الحقائق

القائل هو العز عبد العزيز بن عبد السلام وكلامه هذا قاله فى عقيدته وقد ذكرها السبكى فى طبقاته فى ترجمته وذكر انه كتبها جوابا لما [illegible] بعض الحنابلة فى مسئلة الكلام [illegible] من الطبقات [illegible] وقد اخذه [illegible] الشيخ [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] على الفتوى الحموية [illegible] من طبقات السبكى [illegible] [illegible] [illegible] شيخ الاسلام [illegible] [illegible] ابن تيمية والحافظ ابى عبد الله الذهبى [illegible] الصبيان [illegible] من [illegible] الشيخ [illegible] والرد على [illegible] وهو مطبوع ولله الحمد [illegible]

من الأمور المنكرة سواء سمى ذلك حشوا او لم يسم وهذا يتناول كثيرا من غالية المثبتة الذين يروون أحاديث موضوعة فى الصفات مثل حديث عرق الخيل[١] ونزوله عشية عرفة على الجمل الاورق حتى يصافح المشاة ويعانق الركبان وتجليه لنبيه فى الارض أو رؤيته له على كرسي بين السماء والارض أو رؤيته اياه فى الطواف أو فى بعض سكك المدينة الى غير ذلك من الأحاديث الموضوعة فقد رأيت من ذلك امورا من أعظم المنكرات والكفران واحضر لي غير واحد من الناس من الاجزاء والكتب ما فيه من ذلك ما هو من الافتراء على الله وعلى رسوله وقد وضع لتلك الأحاديث أسانيد حتى ان منهم من عمد الى كتاب صنفه الشيخ أبو الفرج المقدسي[٢] فيما يمتحن به السني من البدعي فجعل ذلك الكتاب مما أوحاه الله الى نبيه ليلة المعراج وامره ان يمتحن به الناس فمن أقر به فهو سني ومن لم يقر به فهو بدعي وزاد وافيه على الشيخ ابى الفرج أشياء لم يقلها هو ولا عاقل والناس المشهورون قد يقول أحدهم من المسائل والدلائل ما هو حق أو فيه شبهة حق فاذا أخذ الجهال ذلك فغيروه صار فيه من الضلال ما هو من أعظم الافك والمحال . والمقصود أن كلامه فيه حق وفيه من الباطل امور أحدها قوله لا يتحاشى من الحشو والتجسيم ذم للناس باسماء ما انزل الله بها من سلطان والذى مدحه زين وذمه شين هو الله والاسماء التى يتعلق بها المدح والذم من الدين لا تكون الا من الاسماء التى انزل الله بها سلطانه ودل عليها الكتاب والسنة او الاجماع كالمؤمن والكافر والعالم والجاهل والمقتصد والملحد فاما هذه الالفاظ الثلاثة فليست فى كتاب الله ولا فى حديث عن رسول الله ولا نطق بها أحد من سلف الامة وأئمتها لا نفيا ولا اثباتا واول من ابتدع الذم بها المعتزلة الذين فارقوا جماعة المسلمين ، فاتباع سبيل المعتزلة دون سبيل سلف الامة ترك للقول السديد الواجب فى الدين واتباع لسبيل المبتدعة الضالين وليس فيها ما يوجد عن بعض السلف ذمه الا لفظ التشبيه فلو اقتصر عليه لكان له قدوة من السلف الصالح ولو ذكر[٣] الاسماء التى نفاها الله فى القرآن مثل لفظ

[١] والذى وضعه هو محمد بن شجاع الثلجي الحنفي الجهمي مترجم فى ميزان الاعتدال للذهبي وغيره مات ٢٦٦

[٢] هو ابو الفرج عبد الواحد بن محمد بن علي بن احمد الشيرازي ثم المقدسي ثم الدمشقي الانصاري السعدي العبادي الخزرجي شيخ الشام فى وقته له ترجمة حافلة فى طبقات ابن ابي يعلى وابن رجب مات ٤٨٦

[٣] كان فى الاصل (ولولا ذكر)

الكفو والند والسمي وقال منهم من لا يتحاشى من التمثيل ونحوه لكان قد ذم بقول نفاه الله فى كتابه ودل القرآن على ذم قائله ثم ينظر هل قائله موصوف بما وصف به من الذم ام لا فاما الاسماء التى لم يدل الشرع على ذم أهلها ولا مدحهم فيحتاج فيها الى مقامين (احدهما) بيان المراد بها (والثانى) بيان ان أولئك مذمومون فى الشريعة والمعترض عليه له ان يمنع المقامين فنقول لا نسلم ان الذين عنيتهم داخلون فى هذه الاسماء التى ذممتها ولم يقم دليل شرعي على ذمها وان دخلوا فيها فلا نسلم ان كل من دخل فى هذه الاسماء فهو مذموم فى الشرع (الثانى) ان هذا الضرب الذى قلت انه لا يتحاشى من الحشو والتشبيه والتجسيم اما ان تدخل فيه مثبتة الصفات الخبريه التى دل عليها الكتاب والسنة او لا تدخلهم فان ادخلتهم كنت ذاما لكل من اثبت الصفات الخبرية ومعلوم ان هذا مذهب عامة السلف ومذهب أئمة الدين بل أئمة المتكلمين يثبتون الصفات الخبريه فى الجملة وان كان لهم فيها طرق كابى سعيد ابن كلاب وابى الحسن الاشعري وائمة اصحابه كابى عبد الله بن مجاهد وابى الحسن الباهلي والقاضى ابى بكر بن الباقلانى وابى اسحاق الاسفرايينى وابى بكر بن فورك وابى محمد بن اللبان وابى علي بن شاذان وابى القاسم القشيري وابى بكر البيهقى وغير هؤلاء فما من هؤلاء الا من يثبت من الصفات الخبرية ما شاء الله تعالى وعماد المذهب عندهم اثبات كل صفة فى القرآن واما الصفات التى فى الحديث فمنهم من يثبتها ومنهم من لا يثبتها فاذا كنت تذم جميع اهل الاثبات من سلفك وغيرهم لم يبق معك الا الجهمية من المعتزلة ومن وافقهم على نفي الصفات الخبرية من متأخري الأشعرية ونحوهم ولم تذكر حجة تعتمد فأي ذم لقوم فى انهم لا يتحاشون مما عليه سلف الامة وأئمتها وأئمة الذام لهم وان لم تدخل فى اسم الحشوية من يثبت الصفات الخبريه لم ينفعك هذا الكلام بل قد ذكرت أنت فى غير هذا الموضع هذا القول واذا كان الكلام لا يخرج به الانسان عن ان يذم نفسه أو يذم سلفه الذين يقر هو بامامتهم وأنهم افضل ممن اتبعهم كان هو المذموم بهذا الذم على التقديرين وكان له نصيب

من الخوارج الذين قال النبي صلى الله عليه وسلم لأولهم «لقد خبت وخسرت ان لم أعدل»
يقول اذا كنت مقرًا بأني رسول الله وانت تزعم اني أظلم فانت خائب خاسر وهكذا من
ذم من يقر بأنهم خيار الامة وافضلها وان طائفته انما تلقت العلم والايمان منهم هو
خائب خاسر في هذا الذم وهذه حال الرافضة في ذم الصحابة . (الوجه الثالث) قوله
والاخر يتستر بمذهب السلف ان اردت بالتستر الاستخفاء بمذهب السلف فيقال
ليس مذهب السلف مما يتستر به الا في بلاد اهل البدع مثل بلاد الرافضة والخوارج
فان المؤمن المستضعف هناك قد يكتم ايمانه واستنانه كما كتم مؤمن آل فرعون ايمانه
وكما كان كثير من المؤمنين يكتم ايمانه حين كانوا في دار الحرب فان كان هؤلاء في بلد أنت
لك فيه سلطان وقد تستروا بمذهب السلف فقد ذممت نفسك حيث كنت من
طائفة يستتر مذهب السلف عندهم وان كنت من المستضعفين المستترين بمذهب
السلف فلا معنى لذم نفسك وان لم تكن منهم ولا من الملأ فلا وجه لذم قوم بلفظ
التستر وان اردت بالتستر انهم يَجْتَنُّونَ به ويتقون به غيرهم ويتظاهرون به حتى
اذا خوطب أحدهم قال انا على مذهب السلف وهذا الذي اراده والله اعلم . فيقال
له لا عيب على من أظهر مذهب السلف وانتسب اليه واعتزى اليه بل يجب قبول ذلك
منه بالاتفاق فان مذهب السلف لا يكون الا حقا فان كان موافقا له باطنا وظاهرا
فهو بمنزلة المؤمن الذي هو على الحق باطنا وظاهرا وان كان موافقا له في الظاهر فقط
دون الباطن فهو بمنزلة المنافق فتقبل منه علانيته وتوكل سريرته الى الله فانا لم نؤمر
ان ننقب عن قلوب الناس ولا نشق بطونهم . واما قوله[1] مذهب السلف انما هو
التوحيد والتنزيه دون التجسيم والتشبيه فيقال له لفظ التوحيد والتنزيه
والتشبيه والتجسيم الفاظ قد دخلها الاشتراك بسبب اختلاف اصطلاحات
المتكلمين وغيرهم وكل طائفة تعني بهذه الأسماء ما لا يعنيه غيرهم فالجهمية من المعتزلة
وغيرهم يريدون بالتوحيد والتنزيه نفي جميع الصفات ، وبالتجسيم والتشبيه

[1] القائل هو العز بن عبد السلام وقد تقدم ذكر ذلك مرارًا

اثبات شيء منها حتى أن من قال ان الله يرى او ان له علما فهو عندهم مشبه مجسم وكثير من
المتكلمة الصفاتية يريدون بالتوحيد والتنزيه نفي الصفات الخبرية أو بعضها ، والتجسيم
والتشبيه اثباتها او بعضها والفلاسفة تعني بالتوحيد ما تعنيه المعتزلة وزيادة حتى
يقولوا ليس له الا صفة سلبية[1] أو اضافية او مركبة منهما ، والاتحادية تعني بالتوحيد
أنه هو الوجود المطلق ولغير هؤلاء فيه اصطلاحات أخرى . واما التوحيد الذي بعث
الله به الرسل وانزل به الكتب فليس هو متضمنا شيئا من هذه الاصطلاحات بل أمر الله
عباده ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئا فلا يكون لغيره نصيب فيما يختص به من العبادة
وتوابعها هذا في العمل ، وفي القول هو ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله .
فان كنت[2] تعني أن مذهب السلف هو التوحيد بالمعنى الذي جاء به الكتاب والسنة فهذا
حق وأهل الصفات الخبرية لا يخالفون هذا وان عنيت أن مذهب السلف هو التوحيد
والتنزيه الذي تعنيه بعض الطوائف فهذا يعلم بطلانه كل من تأمل اقوال السلف
الثابتة عنهم الموجودة في كتب آثارهم فليس في كلام أحد من السلف كلمة توافق
ما تختص به هذه الطوائف ولا كلمة تنفي الصفات الخبرية ، ومن المعلوم ان مذهب السلف
ان كان يعرف بالنقل عنهم فليرجع في ذلك الى الآثار المنقولة عنهم وان كان انما يعرف بالاستدلال
المحض بان يكون كل من رأى قولا عنده هو الصواب قال هذا قول السلف لأن السلف لا
يقولون الا الصواب وهذا هو الصواب فهذا هو الذي يطرق[3] المبتدعة الى ان يزعم كل
منهم انه على مذهب السلف فقائل هذا القول قد عاب نفسه بنفسه حيث انتحل مذهب السلف
بلا نقل عنهم بل بدعواه ان قوله هو الحق . واما اهل الحديث فانما تذكر مذهب السلف
بالنقول المتواترة تارة يذكرون من نقل مذهبهم من علماء الاسلام وتارة يروون نفس
قولهم في هذا الباب كما سلكناه في جواب الاستفتاء[4] فانا لما اردنا ان نبين مذهب
السلف ذكرنا طريقين أحدهما انا ذكرنا ما تيسر من ذكر الفاظهم ومن روى ذلك من
اهل العلم بالاسانيد المعتبرة والثاني ذكرنا من نقل مذهب السلف من جميع طوائف

[1] تنفي عندهم كالقدم سلب الاولية والاضافية كرب العالمين مثلا والمركبة منهما كمخالفته للحوادث .

[2] خطاب للمعترض وهو العز بن عبد السلام

[3] كذا ولعله يجري

[4] لعل ذلك اشارة من المؤلف الى فتواه الحموية التي اقامت الجهمية واقعدتهم واجلبوا على الشيخ بخيلهم ورجلهم فانتصر مواهبا فرددت ونصر الله الشيخ عليهم والحمد لله رب العالمين وكتبه سليمان الصنيع

المسلمين من طوائف الفقهاء الاربعة ومن اهل الحديث والتصوف واهل الكلام كالأشعري
وغيره فصار مذهب السلف منقولا باجماع الطوائف وبالتواتر لم نثبته بمجرد دعوى
الاصابة لنا والخطأ لمخالفنا كما يفعل أهل البدع . ثم لفظ التجسيم لايوجد في كلام
أحد من السلف لانفيا ولا اثباتا فكيف يحل ان يقال مذهب السلف نفي التجسيم
أو اثباته بلا ذكر بذلك اللفظ ولا لمعناه عنه وكذلك لفظ التوحيد بمعنى نفي شيء من
الصفات لايوجد في كلام أحد من السلف وكذلك لفظ التنزيه بمعنى نفي شيء من الصفات
الخبرية لايوجد في كلام احد من السلف نعم لفظ التشبيه موجود في كلام بعضهم وتفسيره
معه كما قد كتبناه عنهم وأنهم أرادوا بالتشبيه تمثيل الله بخلقه دون نفي الصفات
التي في القرآن والحديث وايضا فهذا الكلام لو كان حقا في نفسه لم يكن مذكورا بحجة
تتبع وانما هو مجرد دعوى على وجه الخصومة التي لايعجز عنها من يستجيز ويستحسن
أن يتكلم بلا علم ولا عدل ثم انه يدل على قلة الخبرة بمقالات الناس من اهل السنة
والبدعة فانه قال وكذا جميع المبتدعة يزعمون أنهم على مذهب السلف فليس الأمر
كذلك بل الطوائف المشهورة بالبدعة كالخوارج والروافض لايدعون انهم على مذهب
السلف بل هؤلاء يكفرون جمهور السلف فالرافضة تطعن في أبي بكر وعمر وعامة السابقين
الاولين من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان وسائر أئمة الاسلام
فكيف يزعمون أنهم على مذهب السلف ولكن ينتحلون مذهب اهل البيت كذبا وافتراء
وكذلك الخوارج قد كفروا عثمان وعليا وجمهور المسلمين من الصحابة والتابعين فكيف
يزعمون أنهم على مذهب السلف (الوجه الثاني) أن هذا الاسم ليس له ذكر في
كتاب الله ولا سنة رسوله ولا كلام أحد من الصحابة والتابعين ولا من أئمة المسلمين
ولا شيخ أو عالم مقبول عند عموم الأمة فاذا لم يكن ذلك لم يكن في الذم به لا نص ولا
اجماع ولا ما يصلح تقليده العامة فاذا كان الذم بلا مستند للمجتهد ولا للمقلد بن
عموما كان في غاية الفساد والظلم اذ لو ذم به بعض من يصلح لبعض العامة تقليده

كذا وقد مضى ثلاثة أوجه وهذا الرابع ولعله الأصل الثالث

لم يكن له ان يحتج به اذ المقلد الآخر لمن يصلح له تقليده لايذم به ثم مثل ابي محمد وامثاله
لم يكن يستحل ان يتكلم في كثير من فروع الفقه بالتقليد فكيف يجوز له التكلم في أصول
الدين بالتقليد والنكتة ان الذام به اما مجتهد واما مقلد اما المجتهد فلا بد له من نص
أو اجماع او دليل يستنبط من ذلك فان الذم والحمد من الاحكام الشرعية وقد قدمنا
بيان ذلك وذكرنا الحمد والذم والحب والبغض والوعد والوعيد والموالاة والمعاداة
ونحو ذلك من أحكام الدين لايصلح الا بالأسماء التي انزل الله بها سلطانه فاما تعليق ذلك
باسماء مبتدعة فلا يجوز بل ذلك من باب شرع دين لم يأذن به الله وأنه لابد من معرفة
حدود ما انزل الله على رسوله والمعتزلة ايضا تفسق من الصحابة والتابعين طوائف
وتطعن في كثير منهم وفيما رووه من الاحاديث التي تخالف آراءهم واهواءهم بل تكفر
ايضا من يخالف اصولهم التي انتحلوها من السلف والخلف فلهم من الطعن في علماء
السلف وفي علمهم ما ليس لاهل السنة والجماعة وليس انتحال السلف من شعائرهم
وان كانوا يقرون بخلافة الخلفاء الاربعة ويعظمون من أئمة الإسلام وجمهورهم
ما لا يعظمه اولئك فلهم من القدح في كثير منهم ما ليس هذا موضعه وللنظام من
القدح في الصحابة ما ليس هذا موضعه وان كان من اسباب انتقاص هؤلاء المبتدعة
للسلف هو ما حصل في المنتسبين اليهم من نوع تقصير وعدوان وما كان من بعضهم
من امور اجتهادية الصواب في خلافها فان ما حصل من ذلك صار فتنة للمخالف
لهم ضل به ضلالا كثيرا فالمقصود هنا ان المشهورين من الطوائف بين اهل السنة
والجماعة العامة بالبدعة ليسوا منتحلين للسلف بل اشهر الطوائف بالبدعة الرافضة
حتى ان العامة لاتعرف من شعائر البدع الا الرفض والسني في اصطلاحهم من لا
يكون رافضيا وذلك أنهم اكثر مخالفة للاحاديث النبوية ولمعاني القرآن واكثر
قدحا في سلف الأمة وأئمتها وطعنا في جمهور الأمة من جميع الطوائف فلما كانوا
أبعد عن متابعة السلف كانوا أشهر بالبدعة فعلم أن شعار أهل البدع ترك انتحال

لم كانت في الأصل هكذا لمن والعبارة مضطربة

اتباع السلف ولهذا قال الامام احمد فى رسالة عبدوس بن مالك اصول السنة عندنا
التمسك بما كان عليه اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم واما متكلمة أهل الاثبات من الكلابية
والكرامية والاشعرية مع الفقهاء والصوفية واهل الحديث فهؤلاء فى الجملة لايطعنون
فى السلف بل قد يوافقونهم فى اكثر جمل مقالاتهم لكن كل من كان بالحديث من هؤلاء أعلم
كان بمذهب السلف أعلم وله اتبع وانما يوجد تعظيم السلف عند كل طائفة بقدر استنانها
وقلة ابتداعها اما أن يكون انتحال السلف من شعائر أهل البدع فهذا باطل قطعا فان ذلك
غير ممكن الاحيث يكثر الجهل ويقل العلم . يوضح ذلك ان كثيرا من اصحاب ابى محمد من أتباع
ابى الحسن الاشعري يصرحون بمخالفة السلف فى مثل مسألة الايمان ومسألة تأويل
الآيات والاحاديث يقولون مذهب السلف ان الايمان قول وعمل يزيد وينقص واما
المتكلمون من اصحابنا فمذهبهم كيت وكيت وكذلك يقولون مذهب السلف ان هذه الآيات
والأحاديث الواردة فى الصفات لاتتاول والمتكلمون يريدون تأويلها اما وجوبا واما جوازا
ويذكرون الخلاف بين السلف وبين اصحابهم المتكلمين هذا منطوق السنتهم ومسطور
كتبهم افلا عاقل يعتبر ومغرور يزدجر ان السلف ثبت عنهم ذلك حتى بتصريح المخالف ثم
يحدث مقالة تخرج عنهم اليس هذا صريحا ان السلف كانوا ضالين عن التوحيد والتنزيه
وعلمه المتأخرون وهذا فاسد بضرورة العقل الصحيح والدين المتين وايضا قد ينصر المتكلمون
اقوال السلف تارة واقوال المتكلمين تارة كما يفعله غير واحد مثل ابى المعالى وابى حامد
والرازي وغيرهم ولازم المذهب ~~المنتخب~~ الذي ينصرونه تارة أنه هو المعتمد فلا يثبتون
على دين واحد وتغلب عليهم الشكوك وهذا عادة الله فيمن اعرض عن الكتاب والسنة
وتارة يجعلون اخوانهم المتأخرين احذق واعلم من السلف ويقولون طريقة السلف
أسلم وطريقة هؤلاء أعلم وأحكم فيصفون أخوانهم بالفضيلة فى العلم والبيان والتحقيق
والعرفان والسلف بالنقص فى ذلك والتقصير فيه أو الخطأ والجهل وغايتهم عندهم
أن يقيموا أعذارهم فى التقصير والتفريط ولاريب ان هذا شعبة من الرفض فانه

وان لم يكن تكفيرا للسلف كما يقوله من يقوله من الرافضة والخوارج ولا تفسيقا لهم كما
يقوله من يقوله من المعتزلة والزيدية وغيرهم كان تجهيلا لهم وتخطئة وتضليلا أو نسبة
لهم الى الذنوب والمعاصي وان لم يكن فسقا فزعما ان اهل القرون المفضولة فى الشريعة
أعلم وافضل من اهل القرون الفاضلة ومن المعلوم بالضرورة لمن تدبر الكتاب والسنة
وما اتفق عليه أهل السنة والجماعة من جميع الطوائف ان خير قرون هذه الامة فى الأعمال
والأقوال والاعتقاد وغيرها من كل فضيلة أن خيرها القرن الأول ثم الذين يلونهم ثم
الذين يلونهم كما ثبت ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم من غير وجه وأنهم أفضل من
الخلف فى كل فضيلة من علم وعمل وايمان وعقل ودين وبيان وعبادة وانهم اولى
بالبيان لكل مشكل هذا لايدفعه الامن كابر المعلوم بالضرورة من دين الاسلام وأضله الله
على علم كما قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه من كان منكم مستنا فليستن بمن قد مات
فان الحي لاتؤمن عليه الفتنة اولئك أصحاب محمد أبر هذه الأمة قلوبا واعمقها علما واقلها
تكلفا قوم اختارهم الله لصحبة نبيه واقامة دينه فاعرفوا لهم حقهم وتمسكوا بهديهم فانهم
كانوا على الهدى المستقيم وقال غيره عليكم بآثار من سلف فانهم جاؤا بما يكفي ومايشفي
ولم يحدث بعدهم خير كامن لم يعلموه هذا وقد قال صلى الله عليه وسلم لايأتي زمان الا والذي
بعده شر منه حتى تلقوا ربكم فكيف يحدث لنا زمان فيه الخير فى اعظم المعلومات وهو
معرفة الله تعالى هذا لايكون ابدا وما احسن ما قال الشافعي رحمه الله فى رسالته هم
فوقنا فى كل علم وعقل ودين وفضل وكل سبب ينال به علم او يدرك به هدى ورأيهم
لنا خير من رأينا لأنفسنا . وايضا فيقال لهؤلاء جهمية[١] الكلابية كصاحب هذا
الكلام أبي محمد[٢] وامثاله كيف تدعون طريقة السلف وغاية من عند السلف أن يكونوا
موافقين لرسول الله صلى الله عليه وسلم فان عامة ماعند السلف من العلم والايمان ما
استفادوه من نبيهم [صلى الله عليه وسلم] الذى اخرجهم الله به من الظلمات الى النور
وهداهم به الى صراط العزيز الحميد الذى قال الله فيه (هو الذي ينزل على عبده ايات بينات

١ كذا فى الاصل ولعله الجهمية

٢ هو ابو محمد العز بن عبد السلام وكلامه هو الذى تقدم فى اول الفصل ص ٨٧

ليخرجكم من الظلمات الى النور) وقال تعالى (يا أيها الذين امنوا اتقوا الله وآمنو برسوله
يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نوراً تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم لئلا يعلم
أهل الكتاب الا يقدرون على شيء من فضل الله) وقال تعالى (لقد من الله على المؤمنين
اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان
كانوا من قبل لفي ضلال مبين) وقال تعالى (وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت
تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وانك
لتهدى الى صراط مستقيم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الارض) وابو محمد
وامثاله قد سلكوا مسلك الملاحدة الذين يقولون ان الرسول لم يبين الحق في باب
التوحيد ولا بين للناس ما هو الأمر عليه في نفسه بل أظهر للناس خلاف الحق والحق ما كتمه
واكثير عالم به فان هؤلاء الملاحدة من المتفلسفة ومن سلك سبيلهم من المخالفين لما جاء
به الرسول في الامور العلمية كالتوحيد والمعاد وغير ذلك يقولون ان الرسول احكم الأمور
العملية المتعلقة بالأخلاق والسياسة المنزلية والمدنية وأتى بشريعة عملية هي أفضل
شرائع العالم ويعترفون بانه لم يقرع العالم ناموس افضل من ناموسه ولا اكمل منه فانهم
رأوا احسن سياسته للعالم وما اقامه من سنن العدل ومحاه من الظلم واما الامور
العلمية التي أخبر بها من صفات الرب وأسمائه وملائكته وكتبه ورسله واليوم
الآخر والجنة والنار فلما رأوها تخالف ما هم عليه صاروا في الرسول فريقين ففلاتهم
يقولون انه لم يكن يعرف هذه المعارف وانما كان كماله في الامور العملية العبادات والاخلاق
واما الأمور العلمية فالفلاسفة اعلم بها منه بل ومن غيره من الأنبياء وهؤلاء يقولون
ان عليا كان فيلسوفيا وانه كان أعلم بالعلميات من الرسول وان هارون كان فيلسوفيا
وكان اعلم بالعلميات من موسى وكثير منهم يعظم فرعون ويسمونه افلاطون القبطي
ويدعون ان صاحب مدين الذي تزوج موسى ابنته الذي يقول بعض الناس
انه شعيب يقول هؤلاء انه افلاطون استاذ أرسطو ويقولون ان ارسطو هو الخضر

انه كان

الى امثال هذا الكلام الذي فيه من الجهل والضلال ما لا يعلمه الا ذو الجلال أقل ما فيه
جهلهم بتواريخ الأنبياء فان ارسطو باتفاقهم كان وزيرا للاسكندر بن فيلبس المقدوني
الذي تؤرخ له اليهود والنصارى التاريخ الرومي وكان قبل المسيح بنحو ثلاثمائة سنة
وقد يظنون ان هذا هو ذو القرنين المذكور في القرآن وأن ارسطو كان وزيرا للذي
القرنين المذكور في القرآن وهذا جهل فان هذا الاسكندر بن فيلبس لم يصل الى بلاد
الترك ولم يبن السد وانما وصل الى بلاد الفرس وذو القرنين المذكور في القرآن[1] وصل
الى شرق الارض وغربها وكان متقدما على هذا يقال اسمه الاسكندر بن دارا
وكان موحدا مؤمنا وذاك[2] مشركا كان يعبد هو وقومه الكواكب والاصنام ويعانون
السحر كما كان ارسطو وقومه من اليونان مشركين يعبدون الاصنام ويعانون
السحر ولهم في ذلك مصنفات وأخبارهم مشهورة وآثارهم ظاهرة بذلك فاين هذا
من هذا . والمقصود هنا بيان ما يقوله هؤلاء الفلاسفة الباطنية فيما جاء به
الرسول (والفريق الثاني) منهم يقولون ان الرسول كان يعلم الحق الثابت في
نفس الامر في التوحيد والمعاد ويعرف ان الرب ليس له صفة ثبوتية[1] وانه لا يرى
ولا يتكلم وان الافلاك قديمة ازلية لم تزل ولا تزال وأن الابدان لا تقوم وانه ليس
لله ملائكة هم أحياء ناطقون ينزلون بالوحي من عنده ويصعدون اليه ولكن يقول[2]
بما عليه هؤلاء الباطنية في الباطن لكن ما كان يمكنه اظهار ذلك للعامة لان هذا اذا ظهر
لم تقبله عقولهم وقلوبهم بل ينكرون وينفرون فاظهر لهم من التخييل والتمثيل ما ينتفعون
به في دينهم وان كان في ذلك تلبيس عليهم وتجهيل لهم واعتقادهم الأمر على خلاف ما هو عليه
لما في ذلك من المصلحة لهم ويجعلون أئمة الباطنية كبني عبيد بن ميمون القداح الذين
ادعوا أنهم من ولد محمد بن اسماعيل بن جعفر ولم يكونوا من اولاده بل كان جدهم يهوديا
ربيبا لمجوسي واظهروا التشيع ولم يكونوا في الحقيقة على دين واحد من الشيعة لا الامامية
ولا الزيدية بل ولا الغالية الذين يعتقدون الهية علي أو نبوته بل كانوا اشرا من هؤلاء

[1] في اخر سورة الكهف
[2] يعني المقدوني
[1] كالعلم والقدرة والاستواء واليد
[2] اى الرسول بزعمهم

كلهم ولهذا اكثر تصانيف المسلمين فى كشف اسرارهم وهتك استارهم وكثر غزو المسلمين
لهم وقصصهم معروفة وابن سينا واهل بيته كانوا من اتباع هؤلاء على عهد حاكمهم[1] المصري
ولهذا دخل ابن سينا فى الفلسفة وهؤلاء يجعلون محمد بن اسماعيل هو الامام المكتوم وانه
نسخ شرع محمد بن عبد الله ابن عبد المطلب ويقولون ان هؤلاء الاسماعيلية كانوا أئمة معصومين
بل قد يقولون انهم افضل من الانبياء وقد يقولون انهم آلهة يُعبدون ولهذا أرسل الحاكم غلامه
هشتكين الدرزي[2] الى وادى تيم الله بن ثعلبة بالشام فاضل اهل تلك الناحية وبقاياه
فيهم الى اليوم يقولون بالهية الحاكم وقد اخرجهم عن دين الاسلام فلا يرون الصلوات
الخمس ولا صيام شهر رمضان ولا حج البيت الحرام ولا تحريم ما حرمه الله ورسوله من الميتة والدم
ولحم الخنزير والخمر وغير ذلك وهؤلاء يأمرون المستجيب لهم اولاً الى التشيع والتزام ما توجبه
الرافضة وتحريم ما يحرمونه ثم بعد هذا ينقلونه درجة بعد درجة حتى ينقلونه فى الاخر الى
الانسلاخ من الاسلام وان المقصود هو معرفة اسرارهم وهو العلم الذي به تكمل النفس
كما تقوله الفلاسفة الملاحدة فمن حصل له هذا العلم وصل الى الغاية وسقطت عنه
العبادات التى تجب على العامة كالصلوات الخمس وصيام رمضان وحج البيت وحلت له
المحرمات التى لا تحل لغيره فهؤلاء يجعلون الرسول صلى الله عليه وسلم اذا عظموه وقالوا كان
كاملا فى العلم من جنس رؤسهم الملاحدة وانه كان يظهر للعامة خلاف ما يبطنه للخاصة
وقد بينا من فساد اقوالهم فى غير هذا الموضع ما لا يناسبه هذا المقام . فان المقصود
هنا ان هؤلاء النفاة للعلو وللصفات الخبرية كصاحب اللمعة وامثاله يقولون فى الرسول
من جنس قول هؤلاء أن الذى أظهره ليس هو الحق الثابت فى نفس الأمر لان ذلك ما
كان يمكنه اظهاره للعامة فاذا كانوا يقولون هذا فى الرسول نفسه فكيف القول فى اتباعه
من سلف الامة من الصحابة والتابعين ومن كان هذا أصل قوله فى الرسول والسابقين
الاولين من المهاجرين والانصار كان مخالفا لهم لا موافقا لا سيما اذا أظهر النفي الذى كان
الرسول وخواص اصحابه عنده يبطنونه ولا يظهرونه فانه يكون مخالفا لهم ايضا وهذا

[1] الحاكم بامره الذى قتلته أخته ٤١١ﻫ وقد كتب ابن كثير فى تاريخه ص ٩ ج ١٢ فصلا فى كيفية قتله وشيء من مخازيه ورزاياه وكذلك ذكره صاحب النجوم الزاهره ج ٤

[2] يعني غلام الحاكم

المسلك يراه عامة النفاة كابن رشد الحفيد وغيره وفى كلام ابي حامد من هذا قطعة
كبيرة وابن عقيل وامثاله قد يقولون احيانا هذا لكن ابن عقيل الغالب عليه اذا خرج
عن السنة ان يميل الى التجهم والاعتزال في اول أمره بخلاف آخر ما كان عليه فقد
خرج الى السنة المحضة وابو حامد يميل الى الفلسفة لكنه أظهره فى قالب التصوف
والعبارات الاسلامية ولهذا رد عليه علماء المسلمين حتى أخص اصحابه به ابو بكر
ابن العربي قال: شيخنا ابو حامد دخل فى بطن الفلاسفة ثم اراد أن يخرج منهم
فما قدر وقد حكي عنه من القول بمذاهب الباطنية ما يوجد تصديق ذلك فى كتبه
ورد عليه العلماء المذكورون قبل ◉ **فصل** ثم قال المعترض قال ابو الفرج بن الجوزي
فى الرد على الحنابلة انهم أثبتوا الله سبحانه عينا وصورة ويمينا وشمالا ووجها زائدا على
الذات وجبهة وصدرا ويدين ورجلين واصابع وخنصرا وفخذا وساقا وقدما وجنبا
وحقوا وخلفا واماما وصعودا ونزولا وهرولة واعجبا القدكم واهيبة البدن وقالوا يحمل
على ظاهره وليست بجوارح ومثل هؤلاء لا يحدثون فانهم يكابرون العقول وكأنهم
يحدثون الاطفال . **قلت** الكلام على هذا فيه أنواع (الاول) بيان ما فيه من
التعصب بالجهل والظلم قبل الكلام فى المسألة العلمية (الثانى) بيان انه رد بلا
حجة ولا دليل أصلا (الثالث) بيان ما فيه من ضعف النقل والعقل . (اما اولا)
فان هذا المصنَّف الذي نقل منه كلام ابي الفرج لم يصنفه فى الرد على الحنابلة كما
ذكر هذا وانما رد به فيما ادعاه على بعضهم وقصد قصد ابى عبد الله بن حامد والقاضي
ابى يعلى وشيخه ابي الحسن بن الزاغونى ومن تبعهم والا فجنس الحنابلة لم يتعرض
ابو الفرج للرد عليهم ولا حكى عنهم ما انكره بل هو يحتج فى مخالفته لهؤلاء بكلام كثير
من الحنبلية كما يذكره من كلام التميميين مثل رزق الله التميمي وأبي الوفا بن عقيل
ورزق الله كان يميل الى طريقة سلفه كجده أبي الحسن التميمي وعمه ابى الفضل التميمي
والشريف ابي على بن أبي موسى هو صاحب ابي الحسن التميمي وقد ذكر عنه أنه قال

لقد خزي القاضي أبو يعلى على الحنابلة خزية لا يغسلها الماء وسنتكلم على هذا بما يسره الله
متحرين للكلام بعلم وعدل ولا حول ولا قوة الا بالله فما زال فى الحنبلية من يكون ميله الى نوع
من الاثبات الذى ينفيه طائفة اخرى منهم ومنهم من يمسك عن النفي والاثبات
جميعا ففيهم جنس التنازع الموجود فى سائر الطوائف لكن نزاعهم فى مسائل الدق
واما الاصول الكبار فهم متفقون عليها ولهذا كانوا اقل الطوائف تنازعا وافتراقا
لكثرة اعتصامهم بالسنة والآثار لان للامام احمد فى باب اصول الدين من الاقوال
المبيّنة لما تنازع فيه الناس ما ليس لغيره واقواله مؤيدة بالكتاب والسنة واتباع
سبيل السلف الطيب ولهذا كان جميع من ينتحل السنة من طوائف الامة فقهاؤها
ومتكلموها وصوفيتها ينتحلونه ثم قد يتنازع هؤلاء فى بعض المسائل فان هذا امر لابد
منه فى العالم والنبي صلى الله عليه وسلم قد أخبر بان هذا لابد من وقوعه وانه لما
سال ربه الا يلقى بأسهم بينهم مُنع ذلك فلا بد فى الطوائف المنتسبة الى السنة
والجماعة من نوع تنازع لكن لابد فيهم من طائفة تعتصم بالسنة كما انه لابد أن
يكون بين المسلمين تنازع واختلاف لكنه لا يزال فى هذه الأمة طائفة قائمة بالحق
لا يضرها من خالفها ولا من خذلها حتى تقوم الساعه . ولهذا لما كان ابو الحسن
الاشعري واصحابه منتسبين الى السنة والجماعة كان منتحلا للامام احمد ذاكرا أنه مقتد به
متبع سبيله وكان بين اعيان أصحابه من الموافقة والمؤالفة لكثير من اصحاب الامام
أحمد ما هو معروف حتى ان ابا بكر عبد العزيز يذكر من حجج ابي الحسن فى كلامه مثل ما يذكر
من حجج اصحابه لانه كان عنده من متكلمة اصحابه وكان من اعظم المائلين اليهم التميميون
ابو الحسن التميمي وابنه وابن ابنه ونحوهم وكان بين ابى الحسن التميمي وبين القاضي
ابي بكر الباقلانى من المودة والصحبة ما هو معروف مشهور ولهذا اعتمد الحافظ
ابو بكر البيهقى فى كتابه الذى صنفه فى مناقب الامام أحمد لما ذكر اعتقاده اعتمد على ما
نقله من كلام أبي الفضل عبد الواحد بن ابي الحسن التميمي وله فى هذا الباب مصنف

ذكر فيه من اعتقاد أحمد ما فهمه ولم يذكر فيه الفاظه وانما ذكر جمل الاعتقاد بلفظ نفسه
وجعل يقول وكان ابو عبد الله وهو بمنزلة من يصنف كتابا فى الفقه على رأي بعض
الائمة ويذكر مذهبه بحسب ما فهمه ورآه وان كان غيره بمذهب ذلك الامام أعلم
منه بالفاظه وأفهم لمقاصده فان الناس فى نقل مذاهب الأئمة قد يكونون بمنزلتهم
فى نقل الشريعة ومن المعلوم ان احدهم يقول حكم الله كذا أو حكم الشريعة كذا بحسب
ما اعتقده عن صاحب الشريعة بحسب ما بلغه وفهمه وان كان غيره أعلم باقوال صاحب
الشريعة واعماله وأفهم لمراده فهذا ايضا من الأمور التى يكثر وجودها فى بنى آدم
ولهذا قد تختلف الرواية فى النقل عن الأئمة كما يختلف بعض [أهل] الحديث في
النقل عن النبي صلى الله عليه وسلم لكن النبي صلى الله عليه وسلم معصوم فلا يجوز أن يصدر
عنه خبران متناقضان فى الحقيقة ولا امران متناقضان فى الحقيقة الا واحدهما ناسخ
والآخر منسوخ واما غير النبي صلى الله عليه وسلم فليس بمعصوم فيجوز ان يكون قد قال
خبرين متناقضين وأمرين متناقضين ولم يشعر بالتناقض لكن اذا كان فى المنقول
عن النبي صلى الله عليه وسلم ما يحتاج الى تمييز ومعرفة وقد تختلف الروايات حتى يكون
بعضها أرجح من بعض والناقلون لشريعته بالاستدلال فيهما اختلاف كثير لم يستنكر
وقوع نحو من هذا فى غيره بل هو اولى بذلك لأن الله قد ضمن حفظ الذكر الذى انزله
على رسوله ولم يضمن حفظ ما يؤثر عن غيره لأن ما بعث الله به رسوله من الكتاب والحكمة
هدى الله الذي جاء من عند الله وبه يعرف سبيله وهو حجته على عباده ، فلو وقع فيه ضلال
لم يبين لسقطت حجة الله فى ذلك وذهب هُداه وعميت سبيله اذ ليس بعد هذا النبي
نبي آخر ينتظر ليبين للناس ما اختلفوا فيه بل هذا الرسول آخر الرسل وامته خير الأمم
ولهذا لا يزال فيها طائفة قائمة على الحق باذن الله لا يضرها من خالفها ولا من خذلها
حتى تقوم الساعه (الوجه الثاني) ان ابا الفرج نفسه متناقض فى هذا الباب
لم يثبت على قدم النفي ولا على قدم الاثبات بل له من الكلام فى الإثبات نظما ونثرا

ما أثبت به كثيراً من الصفات التى انكرها فى هذا المصنف فهو فى هذا الباب مثل كثير
من الخائضين فى هذا الباب من انواع الناس يثبتون تارة وينفون أخرى فى مواضع
كثيرة من الصفات كما هو حال ابى الوفا ابن عقيل وابى حامد الغزالي . (الوجه الثالث)
أن باب الاثبات ليس مختصا بالحنبلية ولا فيهم من الغلو ما ليس فى غيرهم بل من استقرأ
مذاهب الناس وجد فى كل طائفة من الغلاة فى النفي والاثبات ما لا يوجد مثله فى
الحنبلية ووجد من مال منهم الى نفي باطل أو اثبات باطل فانه لا يسرف اسراف غيرهم
من المائلين الى النفي والاثبات بل تجد فى الطوائف من زيادة النفي الباطل والاثبات
الباطل ما لا يوجد مثله فى الحنبلية وانما الاعتداء فى النفي والاثبات فيهم ما دب اليهم
من غيرهم الذين اعتدوا واحد ود الله بزيادة فى النفي والاثبات اذ أصل السنة مبناها
على الاقتصاد والاعتدال دون البغي والاعتداء وكان علم الامام أحمد واتباعه له
من الكمال والتمام على الوجه المشهور بين الخاص والعام ممن له بالسنة واهلها
نوع المام ، واما أهل الجهل والضلال الذين لا يعرفون ما بعث الله به الرسول
ولا يميزون بين صحيح المنقول وصريح المعقول وبين الروايات المكذوبة والآراء
المضطربة فاولئك جاهلون قدر الرسول والسابقين الاولين من المهاجرين والأنصار
الذين نطق بفضلهم القرآن فهم بمقادير الأئمة المخالفين لهؤلاء أولى ان يكونوا
جاهلين إذ كانوا أشبه بمن شاق الرسول واتبع غير سبيل المؤمنين من اهل العلم
والايمان وهم فى هذه الاحوال الى الكفر أقرب منهم للايمان تجد أحدهم يتكلم فى أصول
الدين وفروعه بكلام من كأنه لم ينشأ فى دار الاسلام ولا سمع ما عليه أهل العلم والايمان
ولا عرف حال سلف هذه الأمة وما أوتوه من كمال العلوم النافعة والاعمال الصالحة
ولا عرف مما بعث الله به نبيه ما يدله على الفرق بين الهدى والضلال والغي والرشاد
وتجد وقيعة هؤلاء فى أئمة السنة وهداة الأمة من جنس وقيعة الرافضة ومن
معهم من المنافقين فى ابي بكر وعمر وأعيان المهاجرين والانصار ، ووقيعة اليهود

تابع الكراس ٥

والنصارى ومن اتبعهم من منافقي هذه الأمة فى رسول الله صلى الله عليه وسلم ووقيعة
الصابئة والمشركين من الفلاسفة وغيرهم فى الأنبياء والمرسلين وقد ذكر الله فى كتابه من
كلام الكفار والمنافقين فى الأنبياء والمرسلين وأهل العلم والايمان ما فيه عبرة للمعتبر وبينة
للمستبصر وموعظة للمتهوك المتحير . وتجد عامة اهل الكلام ومن اعرض عن جادة السلف
الا من عصم الله يعظمون أئمة الاتحاد بعد تصريحهم فى كتبهم بعبارات الاتحاد ويتكلفون
لها محامل غير ما قصدوه ولهم فى قلوبهم من الاجلال والتعظيم والشهادة بالامامة
والولاية لهم وأنهم اهل الحقائق ما الله به عليم هذا ابن عربي يصرح فى فصوصه أن الولاية
اعظم من النبوة بل اكمل من الرسالة ومن كلامه

مقام النبوة فى برزخ — فويق الرسول ودون الولي

وبعض اصحابه يتأول ذلك بأن ولاية النبي أفضل من نبوته وكذلك ولاية الرسول أفضل
من رسالته أو يجعلون ولايته حاله مع الله ورسالته حاله مع الخلق وهذا من بليغ الجهل فان
الرسول اذا خاطب الخلق وبلغهم الرسالة لم يفارق الولاية بل هو ولي الله فى تلك الحال كما هو
ولي الله فى سائر أحواله فانه ولي الله ليس عدوا له فى شيء من احواله وليس حال تبليغ الرسالة
دون حاله اذا صلى ودعا الله وناجاه وايضا فما يقول هذا المتكلف فى قول هذا المعظم ان
النبي صلى الله عليه وسلم لبنة من فضة وهو لبنتان من ذهب وفضة وزعم ان لبنة محمد
صلى الله عليه وسلم هي العلم الظاهر ولبنتاه الذهب علم الباطن والفضة علم الظاهر وانه يتلقى
ذلك بلا واسطة ويصرح فى فصوصه ان رتبة الولاية اعظم من رتبة النبوة لأن الولي
يأخذ بلا واسطة والنبي بواسطة فالفضيلة التى امتاز بها على النبي صلى الله عليه وسلم أعظم
عنده مما شاركه فيه وبالجملة فهو لم يتبع النبي صلى الله عليه وسلم فى شيء فانه اخذ بزعمه عن الله
ما هو متابعه فيه فى الظاهر كما يوافق المجتهد المجتهد والرسول الرسول فليس عنده من
اتباع الرسول والتلقي عنه شيء اصلا لا فى الحقائق الخبرية ولا فى الحقائق الشرعية وايضا انه لم
يرض ان يكون معه كرسي مع عيسى وكالعالم مع العالم فى الشرع الذى وافقه فيه بل ادعى

أنه يأخذ ما أقره عليه من الشرع من الله فى الباطن فيكون أخذه الشرع عن الله اعظم من
اخذ الرسول واما ما ادعى امتيازه به وافتقار الرسول اليه وهو موضع اللبنة الذهبية
فزعم أنه يأخذ عن المعدن الذى يأخذ منه الملك الذى يوحى به الى الرسول فهذا كما ترى
فى حال هذا الرجل وتعظيم بعض المتأخرين له وصرح الغزالي بان قتل من ادعى ان رتبة الولاية
أعلا من رتبة النبوة أحب اليه من قتل مائة كافر لان ضرر هذا فى الدين اعظم ولا نطيل
الكلام فى هذا المقام لانه ليس المقصود هنا . وايضا فاسماء الله واسماء صفاته عندهم
شرعية سمعية لا تطلق بمجرد الراي نعم فى الاتباع من هذه الاسماء أحق بالعذر ممن
امتنع من تسمية صفاته أعراضا وذلك ان الصفات التى لنا منها ما هو عرض كالعلم والقدرة
ومنها ما هو جسم وجوهر قائم بنفسه كالوجه واليد وتسمية هذه جوارح وأعضاء أخص
من تسميتها أجساما لما فى ذلك من معنى الاكتساب والانتفاع والتصرف وجواز التفريق
والبعضية (الوجه الرابع) ان هذا السؤال لا يختص بهؤلاء بل اثبات جنس هذه
الصفات قد اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها من اهل الفقه والحديث والتصوف والمعرفة
وأئمة اهل الكلام من الكلابية والكرامية والاشعرية كل هؤلاء يثبتون لله صفة
الوجه واليد ونحو ذلك وقد ذكر الاشعرى فى كتاب المقالات ان هذا مذهب
اهل الحديث وقال انه به يقول فقال فى جملة مقالة اهل السنة واصحاب الحديث
جملة مقالة أهل السنة واصحاب الحديث الاقرار بكذا وكذا وان الله على عرشه
استوى وان له يدين بلا كيف كما قال (خلقت بيدي) وكما قال (بل يداه مبسوطتان)
وان له عينين بلا كيف كما قال (تجري باعيننا) وان له وجها كما قال (ويبقى وجه ربك
ذو الجلال والاكرام) وقد قدمنا فيما تقدم ان جميع ائمة الطوائف هم من اهل الاثبات
وما من شيء ذكره ابو الفرج وغيره مما هو موجود فى الحنبلية سواء كان الصواب فيه
مع المثبت أو مع النافى او كان فيه تفصيل الا وذلك موجود فيما شاء الله من أهل
الحديث والصوفية والمالكية والشافعية والحنفية ونحوهم بل هو موجود فى الطوائف

التى تنتحل

التى تنتحل السنة والجماعة والحديث ولا مذهب السلف مثل الشيعة وغيرهم ففيهم فى طرفي
الاثبات والنفي ما لا يوجد فى هذه الطوائف وكذلك فى أهل الكتابين أهل التوراة والانجيل
توجد هذه المذاهب المتقابلة فى النفي والاثبات وكذلك الصابئة من الفلاسفة وغيرهم
له مقابل فى النفي والاثبات حتى ان منهم من يثبت ما لا يثبته كثير من متكلمة الصفاتية
ولكن جنس الاثبات على المتبعين للرسل أغلب من الذين آمنوا واليهود والنصارى والصابئة
المهتدين وجنس النفي على غير المتبعين للرسل أغلب من المشركين والصابئة المبتدعة وقد ذكرنا
فى غير هذا الجواب مذهب سلف الأمة وأئمتها بالفاظها والفاظ من نقل ذلك من جميع
الطوائف بحيث لا يبقى لاحد من الطوائف اختصاص بالاثبات ومن ذلك
ما ذكره شيخ الحرمين ابو الحسن محمد بن عبد الملك الكرجي[1] فى كتابه الذي سماه الفصول
فى الأصول عن الأئمة الفحول الزاما لذوي البدع والفضول - وكان من أئمة الشافعية
ذكر فيه من كلام الشافعي ومالك والثوري واحمد بن حنبل والبخاري صاحب الصحيح
وسفيان بن عيينة وعبد الله بن المبارك والاوزاعي والليث بن سعد واسحق بن راهويه
[وابو زرعة وابو حاتم] فى اصول السنة ما يعرف به اعتقادهم وذكر فى تراجمهم ما فيه
تنبيه على مراتبهم ومكانتهم فى الاسلام وذكر انه اقتصر فى النقل عنهم دون غيرهم
لأنهم هم المقتدى بهم والمرجع شرقا وغربا الى مذاهبهم ولأنهم أجمع لشرائط القدوة
والامامة من غيرهم واكثر لتحصيل اسبابها وادواتها من جودة الحفظ والبصيرة والفطنة
والمعرفة بالكتاب والسنة والاجماع والسند والرجال والاحوال ولغات العرب ومواضعها
والتاريخ والناسخ والمنسوخ والمنقول والمعقول والصحيح والمدخول فى الصدق والصلابة
وظهور الامانة والديانة ممن سواهم قال وان قصر واحد منهم فى سبب منها جبر تقصيره
قرب عصره من الصحابة والتابعين لهم باحسان باينوا هؤلاء بهذا المعنى من سواهم فانه
فان غيرهم من الأئمة وان كانوا فى منصب الامامة لكن أخلوا ببعض ما اشرت اليه مجملا
من شرائطها اذ ليس هذا موضعا لبيانها قال ووجه ثالث لا بد من ان نبين فيه فنقول



[1] مترجم فى طبقات ابن السبكي وفى تاريخ ابن كثير [illegible]

ان فى النقل عن هؤلاء الزاما للحجة على كل من ينتحل مذهب امام يخالفه ~~في العقيدة~~ فى العقيدة
فان أحدهما لا محالة يضلل صاحبه او يبدعه او يكفره فانتحال مذهبه مع مخالفته فى العقيدة
مستنكر والله شرعًا وطبعًا فمن قال أنا شافعي الشرع أشعري الاعتقاد قلنا له هذا من
الاضداد لا بل من الارتداد إذ لم يكن الشافعي أشعري الاعتقاد ومن قال أنا حنبلي
فى الفروع معتزلي فى الأصول قلنا قد ضللت اذًا عن سواء السبيل فيما تزعمه اذ لم يكن
احمد معتزلي الدين والاجتهاد قال وقد افتتن أيضا خلق من المالكية بمذاهب الأشعرية
وهذه والله شنة[1] وعار وفلتة تعود بالوبال والنكال وسوء الدار على منتحل مذاهب
هؤلاء الأئمة الكبار فان مذهبهم ما رويناه من تكفيرهم الجهمية والمعتزلة والقدرية
والواقفية وتكفيرهم اللفظية وبسط الكلام فى مسألة اللفظ الى ان قال فاما غير ما
ذكرناه من الأئمة فلم ينتحل أحد مذهبهم فلذلك لم نتعرض للنقل عنهم قال فان قيل
فهلا اقتصرتم اذًا على النقل ممن شاع مذهبه وانتحل اختياره من اصحاب الحديث وهم
الائمة الشافعي ومالك والثوري واحمد اذ لا نرى احدًا ينتحل مذهب الاوزاعي
والليث وسائرهم (قلنا) لان من ذكرناه من الائمة سوى هؤلاء ارباب المذاهب
فى الجملة إذ كانوا قدوة فى عصرهم ثم اندرجت مذاهبهم بالآخرة تحت مذاهب
الأئمة المعتبرة وذلك ان ابن عيينة كان قدوة ولكن لم يصنف فى الذي كان يختاره
من الأحكام وانما صنف أصحابه وهم الشافعي واحمد واسحق فاندرج مذهبه تحت
مذاهبهم واما الليث بن سعد فلم يقم أصحابه بمذهبه قال الشافعي لم يرزق الأصحاب
الا ان قوله يوافق قول مالك أو قول الثوري لا يخطئهما فاندرج مذهبه تحت مذهبهما
واما الاوزاعي فلا نرى له فى أعم المسائل قولا إلا و يوافق قول مالك أو قول الثوري
أو قول الشافعي فاندرج اختياره ايضا تحت اختيار هؤلاء وكذلك اختيار اسحق
يندرج تحت مذهب احمد لتوافقهما قال فان قيل فمن أين وقعت على هذا التفصيل
والبيان فى اندراج مذاهب هؤلاء تحت مذاهب الأئمة قلت من التعليقة للشيخ

[1] كذا ولعله شنعة أو شنيعة بل لعل الصواب سبة بالسين والباء

ابي حامد الاسفرايني التي هي ديوان الشرايع وام البدائع فى بيان الاحكام ومذاهب العلماء
الأعلام واصول الحجج العظام فى المختلف والمؤتلف قال واما اختيار ابي زرعة وابي حاتم في
الصلاة والاحكام مما قرأته وسمعته من مجموعيهما فهو موافق لقول احمد ومندرج تحته وذلك
مشهور واما البخاري فلم ار له اختيارا ولكن سمعت محمد بن طاهر الحافظ يقول [البخاري] في الاختيارات[3]
مسائل موافقة لمذهب أحمد واسحق فلهذه المعاني نقلنا عن الجماعة الذين سميناهم دون غيرهم
اذهم ارباب المذاهب فى الجملة ولهم اهلية الاقتداء بهم لحيازتهم شرائط الامامة وليس
من سواهم فى درجتهم وان كانوا أئمة كبراء فقد ساروا بسيرهم ثم ذكر بعد ذلك الفصل الثاني عشر
فى ذكر خلاصة تحوي مناصيص الأئمة بعد ان افرد لكل منهم فصلا قال لما تتبعت أصول
ما صح لي روايته فعثرت فيها بما قد ذكرت من عقائد الأئمة فرتبتها عند ذلك على ترتيب الفصول
التي اثبتها وافتتحت كل فصل بنيف من المحامد يكون لامامتهم احدى الشواهد داعية
الى اتباعهم ووجوب وفاقهم وتحريم خلافهم وشقاقهم فان اتباع من ذكرناه من الأئمة
فى الأصول فى زماننا بمنزلة اتباع الاجماع الذي يبلغنا عن الصحابة والتابعين اذ لا
يسع مسلما خلافه ولا يعذر فيه فان الحق لا يخرج عنهم لانهم الادلاء وارباب مذاهب
هذه الامة والصدور السادة والعلماء القادة اولو الدين والديانة والصدق والأمانة
والعلم الوافر والاجتهاد الظاهر ولهذا المعنى اقتدوا بهم فى الفروع فجعلوهم فيها وسائل
بينهم وبين الله حتى صاروا ارباب المذاهب فى المشارق والمغارب فليرضوا كذلك
بهم فى الاصول فيما بينهم وبين ربهم وبما نصوا عليه ودعوا اليه قال فانا نعلم
قطعا أنهم أعرف قطعا بما يصح من معتقد رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه من
بعده لجودة معارفهم وحيازتهم شرائط الامامة ولقرب عصرهم من الرسول
صلى الله عليه وسلم واصحابه كما بيناه فى اول الكتاب قال ثم اردت ووافق مرادي
سؤال بعض الأخوان أن اذكر خلاصة مناصيصهم مضمنة بعض الفاظهم فانها
أقرب الى الحفظ وهي اللباب لما ينطوي عليه الكتاب فاستعنت بمن عليه التكلان

[3] استنبط

وقلت ان الذي آثرناه من مناصيصهم يجمعه فصلان (أحدهما) فى بيان السنة وفضلها
(والثاني) فى هجران البدعه واهلها (اما الفصل الاول) فاعلم ان السنة طريقة رسول الله
صلى الله عليه وسلم والتسنن بسلوكها واصابتها وهى اقسام ثلاثة اقوال واعمال وعقائد
فالاقوال نحو الاذكار والتسبيحات المأثورة والافعال مثل سنن الصلاة والصيام
والصدقات المذكورة ونحو السير المرضية والآداب المحكية فهذان القسمان فى عداد
التأكيد والاستحباب واكتساب الأجر والثواب والقسم الثالث سنة العقائد وهي
من الايمان احدى القواعد قال وها أنا أذكر بعون الله خلاصة ما نقلته عنهم مفرقا واضيف
اليه ما دون فى كتب الاصول مما لم يبلغني عنهم مطلقا وارتبها مرشحة وببعض مناصيصهم
موشحة باوجز لفظ على قدر وسعي ليسهل حفظه على من يريد أن يعي فاقول ليعلم
المستنين ان سنة العقائد على ثلاثة أضرب ضرب يتعلق باسماء الله وذاته وصفاته وضرب
يتعلق برسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبه ومعجزاته وضرب يتعلق باهل الأسلام في
اولاهم واخراهم اما الضرب الاول فلنعتقد ان لله اسماء وصفات قديمة غير مخلوقة
جاء بها كتابه وأخبر بها الرسول اصحابه فيما رواه الثقات وصححه النقاد الاثبات
ودل القرآن المبين والحديث الصحيح المتين على ثبوتها قال رحمه الله تعالى وهو ان الله
تعالى أوّلٌ لم يزل وآخر لا يزال احد قديم وصمد كريم عليم حليم عَلِيّ عظيم رفيع مجيد
وله بطش شديد، وهو يبدئ ويعيد، فعال لما يريد، قوي قدير منيع نصير ليس كمثله
شيئ وهو السميع البصير، الى سائر اسمائه وصفاته من النفس والوجه والعين
والقدم واليدين والعلم والنظر والسمع والبصر والارادة والمشيئة والرضى
والغضب والمحبة والضحك والعجب والاستحياء والغيرة والكراهة والسخط =
والقبض والبسط والقرب والدنو والفوقية والعلو والكلام والسلام والقول
والنداء والتجلي واللقاء والنزل والصعود والاستواء وأنه تعالى فى السماء وأنه
على عرشه بائن من خلقه قال مالك ان الله فى السماء وعلمه فى كل مكان قال عبد الله

ابن المبارك

ابن المبارك نعرف ربنا فوق سبع سمواته على العرش بائنا من خلقه ولا نقول كما قالت
الجهمية أنه هاهنا واشار الى الأرض وقال سفيان الثوري وهو معكم اينما كنتم قال علمه قال
الشافعي انه على عرشه فى سمائه يقرب من خلقه كيف شاء قال احمد انه مستو على العرش
عالم بكل مكان وانه ينزل كل ليلة الى السماء الدنيا كيف شاء وانه يأتي يوم القيامة كيف شاء
وانه يعلو على كرسيه والايمان بالعرش والكرسي وما ورد فيهما من الآيات والاخبار وان الكلم
الطيب يصعد اليه وتعرج الملائكة والروح اليه وانه خلق ادم بيديه وخلق القلم وجنة
عدن وشجرة طوبى بيديه وكتب التوراة بيديه وان كلتا يديه يمين وقال ابن عمر خلق الله بيديه
اربعة اشياء آدم والعرش والقلم وجنة عدن وقال لسائر الخلق كن فكان وأنه يتكلم بالوحي
كيف يشاء قالت عائشة رضي الله عنها لشأني فى نفسي كان احقر من ان يتكلم الله في بوحي يتلى
وان القرآن كلام الله بجميع جهاته منزل غير مخلوق ولا حرف منه مخلوق منه بدا واليه يعود قال
عبد الله بن المبارك من كفر بحرف من القرآن فقد كفر ومن قال لا أومن بهذه اللام فقد كفر
وان الكتب المنزلة على الرسل مائة واربعة كتب كلام الله غير مخلوق قال احمد وما فى اللوح
المحفوظ وما فى المصاحف وتلاوة الناس وكيف ما يقرأ وكيف ما يوصف فهو كلام الله غير
مخلوق قال البخاري واقول فى المصحف قرآن وفى صدور الرجال قرآن فمن قال غير هذا
يستتاب فان تاب والا فسبيله سبيل الكفر قال وذكر الشافعي المعتقد بالدلائل فقال
لله تعالى اسماء وصفات جاء بها كتابه وأخبر بها نبيه أمته لا يسع احدا من خلق الله قامت
عليه الحجة ردها الى ان قال نحو اخبار الله سبحانه ايانا انه سميع بصير وان له يدين بقوله
(بل يداه مبسوطتان) وان له يمينا بقوله (والسموات مطويات بيمينه) وان له وجها
بقوله (كل شيئ هالك الا وجهه) وقوله (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام)
وان له قدمًا لقوله «حتى يضع الرب فيها قدمه» يعني جهنم وأنه يضحك من عبده
المؤمن لقوله «للذي قتل فى سبيل الله انه لقي الله وهو يضحك اليه» وانه يهبط
كل ليلة الى سماء الدنيا لخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك وأنه ليس بأعور

لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ ذكر الدجال فقال « انه اعور وان ربكم ليس
باعور وان المؤمنين يرون ربهم يوم القيامه بابصارهم كما يرون القمر ليلة البدر وان له
اصبعا لقوله صلى الله عليه وسلم « ما من قلب الا وهو بين اصبعين من اصابع الرحمن »
قال[1] وسوى ما نقله الشافعي احاديث جاءت في الصحاح والمسانيد وتلقتها الأمة
بالقبول والتصديق نحو ما في الصحيح من حديث الذات وقوله « لا شخص أغير من الله
وقوله « أتعجبون من غيرة سعد والله لأنا أغير من سعد والله أغير مني » وقوله « ليس
أحد أحب اليه المدح من الله ولذلك مدح نفسه وليس أحد أغير من الله من أجل ذلك حرم
الفواحش ما ظهر منها وما بطن وقوله « يد الله ملأى » وقوله « بيده الاخرى الميزان
يخفض ويرفع » وقوله « ان الله يقبض يوم القيامة الارضين وتكون السموات بيمينه
ثم يقول انا الملك » ونحو قوله « ثلاث حثيات من حثيات الرب » وقوله « لما خلق
آدم مسح ظهره بيمينه » وقوله في حديث ابي رزين قلت يا رسول الله فما يفعل ربنا بنا
اذا القيناه قال « تعرضون عليه بادية له صفحاتكم لا يخفى عليه منكم خافية فيأخذ ربك
بيده غرفة من الماء فينضح قبلكم فلعمر الهك ما يخطئ وجه أحدكم منها قطرة » أخرجه
أحمد في المسند وحديث « القبضة التي يخرج بها من النار قوما لم يعملوا خيرا قط
قد عادوا حمما فيلقيهم في نهر من أنهار الجنة يقال له [نهر] الحياة » ونحو الحديث « رأيت
ربي في أحسن صورة » ونحو قوله « خلق آدم على صورته » وقوله « يدنو أحدكم من
ربه حتى يضع كنفه عليه » وقوله « كلم اباك كفاحا » وقوله ما منكم من أحد الا سيكلمه
ربه ليس بينه وبينه ترجمان يترجم له » وقوله « يتجلى لنا ربنا يوم القيامه ضاحكا »
وفي حديث المعراج في الصحيح ثم دنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين
أو أدنى » وقوله « كتب كتابا فهو عنده فوق العرش ان رحمتي سبقت غضبي »
وقوله « لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه » وفي
رواية رجله فينزوي بعضها الى بعض وتقول قد قد وفي رواية قط قط بعزتك

[1] أي الكرجي

ونحو قوله « فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون فيقول أنا ربكم فيقولون أنت ربنا »
وقوله « يحشر الله العباد فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب أنا الملك انا الديان
الى غيرها من الاحاديث هالتنا اولم تهلنا بلغتنا اولم تبلغنا اعتقادنا فيها وفي الآي الواردة
في الصفات انا نقبلها ولا نحرفها ولا نكيفها ولا نعطلها ولا نتأولها وعلى العقول لا نحملها وبصفات
الخلق لا نشبهها ولا نعمل رأينا وفكرنا فيها ولا نزيد عليها ولا ننقص منها بل نؤمن بها
ونكل علمها الى عالمها كما فعل ذلك السلف الصالح وهم القدوة لنا في كل علم روينا عن
اسحاق انه قال لا نزيل صفة مما وصف الله بها نفسه أو وصف الرسول عن جهته لا بكلام
ولا بارادة انما يلزم المسلم الاداء ويوقن بقلبه ان ما وصف الله به نفسه في القرآن انما هي
صفاته ولا يعقل نبي مرسل ولا ملك مقرب تلك الصفات الا بالأسماء التي عرفهم الرب
عز وجل فاما ان يدرك أحد من بني آدم تلك الصفات فلا يدركه أحد الحديث الى آخره
وكما روينا عن مالك والأوزاعي وسفيان والليث وأحمد بن حنبل انهم قالوا في الأحاديث
في الرؤية والنزول أمروها كما جاءت وكما روي عن محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة أنه
قال في الاحاديث التي جاءت أن الله يهبط الى السماء الدنيا ونحو هذا من الأحاديث
أن هذه الاحاديث قد رواها الثقات فنحن نرويها ونؤمن بها ولا نفسرها انتهى كلام
الكرجي رحمه الله تعالى والعجب أن هؤلاء المتكلمين اذا احتج عليهم بما في الآيات
والاحاديث من الصفات قال قالت الحنابلة ان الله كذا وكذا بما فيه تشنيع وترويج
لباطلهم والحنابلة اقتفوا أثر السلف وساروا بسيرهم ووقفوا بوقوفهم بخلاف
غيرهم والله الموفق ٥ النوع الثاني ان هذا الكلام ليس فيه من الحجة والدليل
ما يستحق أن يخاطب به أهل العلم فان الرد بمجرد الشتم والتهويل لا يعجز عنه أحد والانسان
لو انه يناظر المشركين واهل الكتاب لكان عليه ان يذكر من الحجة ما يبين به الحق الذي
معه والباطل الذي معهم فقد قال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم (أدع الى سبيل ربك
بالحكمه والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن) وقال تعالى (ولا تجادلوا اهل الكتاب

الا بالتي هي احسن) فلو كان خصم من يتكلم بهذا الكلام سواء كان المتكلم به أبا الفرج
أو غيره من أشهر الطوائف بالبدع كالرافضة لكان ينبغي ان يذكر الحجة ويعدل عما لا فائدة
فيه اذا كان في مقام الرد عليهم دع[1] والمنازعون له كما ادعاه هم عند جميع الناس أعلم منه
بالاصول والفروع وهو في كلامه ورده لم يأت بحجة أصلا لا حجة سمعية ولا عقليه وانما
اعتمد تقليد طائفة من أهل الكلام قد خالفها اكثر منها من اهل الكلام فقلدهم فيما زعموا
أنه حجة عقليه كما فعل هذا المعترض ومن يرد على الناس بالعقول ان لم يبين حجة عقلية
والا كان قد أحال الناس على المجهولات كمعصوم الرافضة وغوث بعض الصوفيه .
فاما قوله ان مثل هؤلاء لا يُحَدَّثون فيقال له قد بعث الله الرسل الى جميع الخلق ليدعوهم
الى الله فمن الذى اسقط الله مخاطبته من الناس دع من تعرف أنت وغيرك من فضلهم
ما ليس هذا موضعه ولو اراد سفيه أن يرد على الراد بمثل رده لم يعجز عن ذلك .
وكذلك قوله انهم يكابرون العقول فنقول المكابرة للعقول اما ان يكون في اثبات ما أثبتوه
واما ان يكون في تناقضهم بجمع من اثبات هذه الامور ونفي الجوارح أما الاول
فباطل فان المجسمة المحضة التى تصرح بالتجسيم المحض وتغلو فيه لم يقل أحد قط
ان قولها مكابرة للعقول ولا قال أحد انهم لا يخاطبون بل الذين ردوا على غالية
المجسمة مثل هشام بن الحكم وشيعته لم يردوا عليهم من الحجج العقلية الا بحجج تحتاج
الى نظر واستدلال والمنازع لهم وان كان مبطلا في كثير مما يقوله فقد قابلهم بنظير حجاجهم
ولم يكونوا عليه باظهر منه عليهم اذ مع كل طائفة حق وباطل واذا كان مثل أبي الفرج انما
يعتمد في نفي هذه الامور على ما يذكره نفاة النظار فاولئك لا يكادون يزعمون في شيء من
النفي والاثبات أنه مكابرة للمعقول حتى جاحد الصانع الذين هم أجهل الخلق واضلهم
وأضلهم وأكفرهم واعظمهم خلافا للعقول لا يزعم اكثر هؤلاء الذين أنتصر بهم
ابو الفرج ان قولهم مكابرة للعقول بل يزعمون ان العلم بفساد قولهم انما يعلم بالنظر
والاستدلال وهذا القول وان كان يقوله جُلُّ هؤلاء النفاة من اهل الكلام فليس

[1] اى كيف

هو طريقة مرضية لكن المقصود ان هؤلاء النفاة لا يزعمون ان العلم بفساد قول المثبتة
معلوم بالضرورة ولا ان قولهم مكابرة للعقل وان شنعوا عليهم باشياء ينفر عنها كثير
من الناس فذلك ليستعينوا بنفرة النافرين على دفعهم واخماد قولهم لا لأن نفور النافرين
عندهم يدل على حق او باطل ولا لأن قولهم مكابرة للعقل او معلوم بضرورة العقل او بديهته
فساده هذا لم اعلم احدا من أئمة النفاة اهل النظر يدعيه في شيء من اقوال المثبتة وان
كان فيها من اللغو ما فيها ومن المعلوم ان مجرد نفور النافرين او محبة الموافقين لا يدل على
صحة قول ولا فساده الا اذا كان ذلك بهدى من الله بل الاستدلال بذلك هو استدلال
باتباع الهوى بغير هدى من الله فان اتباع الانسان لما يهواه هو اخذ القول والفعل الذي
يحب ورد القول والفعل الذى يبغضه بلا هدى من الله قال تعالى (وان كثيرا ليضلون
باهوائهم بغير علم) وقال (فان لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون اهواءهم ومن أضل
ممن اتبع هواه بغير هدى من الله) وقال تعالى لداود (ولا تتبع الهوى فيضلك عن
سبيل الله) وقال تعالى (فان شهدوا فلا تشهد معهم ولا تتبع أهواء الذين كذبوا
بآياتنا والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون) وقال تعالى (قل يا اهل الكتاب لا تغلوا
في دينكم[2] ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل)
وقال تعالى (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل ان هدى الله هو
الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذى جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا
نصير) فمن اتبع أهواء الناس بعد العلم الذي بعث الله به رسوله وبعد هدى الله
الذى بينه لعباده فهو بهذه المثابة ولهذا كان السلف يسمون اهل البدع والتفرق
المخالفين للكتاب والسنة اهل الاهواء حيث قبلوا ما احبوه وردوا ما ابغضوه
باهوائهم بغير هدى من الله . واما قول المعترض عن ابى الفرج وكأنهم يخاطبون
الاطفال فلم تخاطب الحنابلة الا بما ورد عن الله ورسوله واصحابه والتابعين
لهم باحسان الذين هم أعرف بالله واحكامه وسلمنا لهم أمر الشريعة وهم قدوتنا

[2] غير الحق

فيما أخبروا عن الله وشرعه وقد انصف من أحال عليهم وقد شاقق من خرج عن طريقتهم
وادعى ان غيرهم أعلم بالله منهم أو أنهم علموا وكتموا أو أنهم لم يفهموا ما اخبروا به وأن
عقل غيرهم فى باب معرفة الله أتم وأكمل وأعلم مما نقلوه وعقلوه وقد قدمنا ما فيه كفاية
فى هذا الباب والله الموفق ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور ٥

فصل واما المنطق فمن قال انه فرض كفايه وأنه من ليس له به خبرة فليس له ثقة
بشئ من علومه فهذا القول فى غاية الفساد من وجوه كثيرة التعداد مشتمل على امور
فاسدة ودعاوٍ باطله كثيرة لا يتسع هذا الموضع لاستقصائها بل الواقع قديما
وحديثا أنك لا تجد من يلزم نفسه ان ينظر فى علومه به ويناظر به الا وهو فاسد
النظر والمناظرة كثير العجز عن تحقيق علم وبيانه فاحسن ما يحمل عليه كلام المتكلم
على هذا ان يكون قد كان هو وامثاله فى غاية الجهالة والضلاله وقد فقدوا أسباب
الهدى كلها فلم يجد واما يردهم عن تلك الجهالات الا بعض ما فى المنطق من الامور التى
هي صحيحة فانه بسبب بعض ذلك رجع كثير من هؤلاء عن بعض باطلهم وان لم يحصل
لهم حق ينفعهم وان وقعوا فى باطل آخر ومع هذا فلا يصح نسبة وجوبه الى شريعة
فإنما ٣
الاسلام بوجه من الوجوه اذ من هذه حالة أُتِيَ من نفسه بتركه ما امر الله به من الحق
حتى احتاج الى الباطل ومن المعلوم ان القول بوجوبه قولة غلاته وجهال اصحابه ونفس
الحذاق منهم لا يلتزمون قوانينه فى كل علومهم بل يعرضون عنها اما لطولها واما لعدم
فائدتها واما لفسادها واما لعدم تميزها وما فيها من الاجمال والاشتباه فانه فيه
مواضع كثيرة هي لحم جمل غث على رأس جبل وعر لا سهل فيرتقى ولا سمين فينتقل ولهذا
ما زال علماء المسلمين وأئمة الدين يذمونه ويذمون أهله وينهون عنه وعن اهله
حتى رأيت للمتأخرين فتيا فيها خطوط جماعة من أعيان زمانهم من أئمة الشافعيه والحنفية
وغيرهم فيها كلام عظيم فى تحريمه وعقوبة أهله حتى أن من الحكايات المشهورة التى
بلغتنا ان الشيخ أبا عمرو بن الصلاح أمر بانتزاع مدرسة معروفة من ابى الحسن الآمدي
وقال أخذها منه أفضل من أخذ عكا[1] مع أن الآمدي لم يكن أحد فى وقته أكثر تبحرا
١ أي من الافرنج أيام احتلالهم لبعض بلاد الشام ومصر في المائة السادسة هـ وهذا بالغ منتهى الانكار رحمه الله
فى العلوم الكلامية والفلسفية منه وكان من أحسنهم اسلاما وامثلهم اعتقادا ومن
المعلوم ان الأمور الدقيقة سواء كانت حقا او باطلا أيمانا او كفرا لا تعلم الا بذكاء
وفطنة فكذلك أهله قد يستجهلون من لم يشركهم فى علمهم وان كان أيمانه أحسن

من ايمانهم اذا كان فيه قصور في الذكاء والبيان وهم كما قال الله تعالى (ان الذين اجرموا كانوا
من الذين آمنوا يضحكون واذا مروا بهم يتغامزون واذا انقلبوا الى اهلهم انقلبوا فكهين
واذا رأوهم قالوا ان هؤلاء لضالون وما ارسلوا عليهم حافظين فاليوم الذين آمنوا من الكفار
يضحكون على الأرائك ينظرون هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون) فاذا تقلد واعن طواغيتهم
ان كل ما لم يحصل بهذه الطريق القياسيه فليس بعلم وقد لا يحصل لكثير منهم من
هذه الطريق القياسية ما يستفيد بها الايمان الواجب فيكون كافرا زنديقا منافقا
جاهلا ضالا مضلا ظلوما كفورا ويكون من أكابر اعداء الرسل من الذين قال الله فيهم
(وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين وكفى بربك هاديا ونصيرا) وقال الذين كفروا
لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا ولا يأتونك بمثل
الا جئناك بالحق واحسن تفسيرا) وربما حصل لبعضهم ايمان اما من هذه الطريق
او من غيرها ويحصل له ايضا منها نفاق فيكون فيه ايمان ونفاق ويكون في حال مؤمنا
وفي حال منافقا ويكون مرتدا اما عن أصل الدين أو بعض شرائعه اما ردة نفاق واما
ردة كفر وهذا كثير غالب لاسيما في الاعصار والأمصار التي تغلب فيها الجاهلية والكفر

فلهؤلاء من غالب الجهل والظلم والكذب والكفر والنفاق الا [illegible]

والنفاق والضلال ما لا يتسع لذكره المقال ولهذا انقطع كثير منهم لما في هذا النفي
من الجهل والضلال صاروا يقولون النفوس القدسية كنفوس الأنبياء والأولياء
تفيض عليها المعارف بدون الطريق القياسية وهم متفقون جميعهم على أن من النفوس
من يستغني عن وزن علومها بالميزان الصناعية في المنطق لكن قد يقولون هو حكيم بالطبع
والقياس ينعقد في نفسه بدون تعلم هذه الصناعة كما ينطق العربي بالعربية بدون
النحو وكما يقرض الشاعر بالشعر بدون معرفة العروض لكن استغناء بعض الناس
عن هذه الموازين لا يوجب استغناء الآخرين فاستغناء كثير من النفوس عن هذه

النفوس

الصناعه لا ينازع فيه احد منهم والكلام هنا هل تستغني في علومها بالكلية عن
نفس القياس المذكور ومواده المعينة فالاستغناء عن جنس هذا القياس شيء

وعن الصناعة القانونية التي يوزن بها القياس شيء آخر فانهم يزعمون أنه آلة قانونية
تمنع مراعتها الذهن ان يزل في فكره وفساد هذا مبسوط مذكور في موضع غير هذا ونحن
بعد ان تبينا عدم فائدته وان كان قد يتضمن من العلم ما يحصل بدونه ثم تبينا انه لو
قدرنا أنه قد يفيد بعض الناس من العلم ما يفيده هو فلا يجوز ان يقال ليس الى ذلك
العلم لذلك الشخص ولسائر بني آدم طريق الا بمثل القياس المنطقي فان هذا قول بلا
علم وهو كذب محقق ولهذا ما زال متكلموا المسلمين وان كان فيهم نوع من البدعة لهم
من الرد عليه وعلى اهله وبيان الاستغناء عنه وحصول الضرر والجهل به والكفر ما ليس
هذا موضعه دع غيرهم من طوائف المسلمين وعلمائهم وأئمتهم كما ذكره القاضي ابو بكر
ابن الباقلاني في كتاب الدقائق فأما الشعري وهو ما يفيد مجرد التخييل وتحريك
النفس وذلك يظهر بانهم جعلوا الأقيسة خمسة البرهاني والخطابي والجدلي والشعري
والمُغَالِطي والمغالطي السوفسطائي وهو ما يشبه الحق وهو باطل وهو الحكمة المموهة فلا

غرضنا

غرض لنا فيه هنا ولكن تلك الثلاثة قالوا الجدلي ما سلم المخاطب مقدماته والخطابي
ما كانت مقدماته مشهورة بين الناس والبرهاني ما كانت مقدماته معلومة وكثير من
المقدمات تكون مع كونها خطابية اوجدلية يقينية برهانية بل وكذلك مع كونها شعريه
ولكن هي من جهة التيقن بها تسمى برهانية ومن جهة شهرتها عند عموم الناس وقبولهم
لها تسمى خطابية ، ومن جهة تسليم الشخص المعين لها تسمى جدلية هذا الكلام أولئك
المبتدعة من الصابئة الذين لم يذكروا النبوات ولا تعرضوا لها بنفي ولا اثبات وعدم
التصديق للرسل واتباعهم كفر وضلال وان لم تعتقد تكذيبهم فالكفر والضلال
أعم من التكذيب واما قول بعض المتأخرين في المشهورات هي المقبولات لكون
صاحبها مؤيدا بامر يوجب قبول قوله ونحو ذلك فهذه من الزيادات التي الزمتهم اياها
الحجة ورأوا وجوب قبولها على طريقة الاولين ولهذا كان غالب صابئة المتأخرين الذين
هم الفلاسفة ممتزجين بالحنيفية كما أن غالب من دخل في الفلسفة من الحنفاء مزج

الذي ليس فيه ايمان[1] للحنيفية بالصبو[1] ولبس الحق بالباطل أعني بالصبو المبتدع الذي ليس فيه ايمان
بالنبوات كصبو[3] صاحب المنطق وأتباعه وأما الصبو[2] القديم فذاك[4] اصحابه منهم المؤمنون
بالله واليوم الآخر الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلاخوف عليهم ولاهم يحزنون كما أن التهود
والتنصر منه ما أهله مبتدعون ضلال قبل ارسال محمد صلى الله عليه وسلم ومنه ما
كان أهله متبعين للحق وهم الذين آمنوا بالله واليوم الآخر وعملوا الصالحات فلاخوف
عليهم ولاهم يحزنون ○ ومن قال من العلماء المصنفين في المنطق أن القياس الخطابي
هو ما يفيد الظن كما ان البرهاني ما يفيد العلم فلم يعرف مقصود القوم ولاقال حقا فان كل واحد
من الخطابي والجدلي قد يفيد الظن كما ان البرهاني [قد] تكون مقدماته مشهورة ومسلمة فالتقسيم
لمواد القياس وقع باعتبار الجهات التى يقبل منها فتارة يقبل القول لانه معلوم اذ العلم يوجب
القبول واما كونه لايفيد العلم فلا يوجب قبوله الا لسبب فان كان لشهرته فهو خطابي ولولم
يفد علما ولاظنا وهو ايضا خطابي اذا كانت قصته مشهورة وان افاد علما أو ظنا والقول في
الجدلي كذلك ثم انهم قد يمثلون المشهورات المقبولات التى ليست علمية بقولنا العلم حسن
والجهل قبيح والعدل حسن والظلم قبيح ونحو ذلك من الاحكام العملية العقلية التي يثبتها
من يقول بالتحسين والتقبيح ويزعمون أنا اذا رجعنا الى محض العقل لم نجد فيه حكما بذلك وقد
يمثلونها بأن الموجود[1] لابد ان يكون مباينا للموجود الآخر ومحايثا له أو أن الموجود لابد أن
يكون بجهة من الجهات أو يكون جائز الرؤية ويزعمون أن هذا من أحكام الوهم لا الفطرة
العقلية قالوا لان العقل يسلم مقدمات يعلم بها فساد الحكم الاول وهذا كله تخليط ظاهر
لمن تدبره ○ فأما [أن] تلك القضايا التى سموها مشهورات غير معلومة فهي من العلوم
العقلية البديهية التى جزم العقول بها اعظم من جزمها بكثير من العلوم الحسابية والطبيعية
وهي كما قال اكثر المتكلمين من أهل الاسلام بل اكثر متكلمي أهل الارض من جميع الطوائف
أنها قضايا بديهية عقلية لكن قد لايحسنون تفسير ذلك فان حسن ذلك وقبحه هو
حسن الافعال وقبحها وحسن الفعل هو كونه مقتضيا لما يطلبه الحي لذاته ويريده

[1] دين الصابئة
[2] دين أرسطو واتباع المنطق
[3] قبل ارسطو
[4] كفيثاغورس وسقراط وافلاطون

[1] كان في الاصل الموجود

من المقاصد وقبحه بالعكس والأمر كذلك فان العلم والصدق والعدل هي كذلك محصلة[1]
لما يُطلب لذاته ويراد لنفسه من المقاصد ، فحسن الفعل وقبحه هو لكونه محصلا للمقصود
المراد بذاته أو منافيا لذلك ولهذا كان الحق يطلق تارة بمعنى النفي والاثبات فيقال
هذا حق أي ثابت وهذا باطل أي منتف وفي الافعال بمعنى التحصيل للمقصود فيقال
هذا الفعل حق أي نافع أو محصل للمقصود ويقال باطل أي لافائدة فيه ونحو ذلك
واما زعمهم ان البديهة والفطرة قد تحكم بما يتبين لها بالقياس فساده فهذا غلط لأن
القياس لابد له من مقدمات بديهية فطرية فان جوز أن تكون المقدمات الفطرية
البديهية غلطا من غير تبيين غلطها الا بالقياس لكان قد تعارضت المقدمات الفطرية
بنفسها ومقتضى القياس الذي مقدماته فطرية فليس رد هذه المقدمات الفطرية
لاجل تلك بأولى من العكس بل الغلط فيما تقل مقدماته أولى فما يعلم بالقياس وبمقدمات
فطرية أقرب الى الغلط مما يعلم بمجرد الفطرة وهذا يذكرونه في نفي علو الله على العرش
ونحو ذلك من اباطيلهم ○ والمقصود هنا أنهم لم يذكر متقدموهم المقدمات المتلقاة
من الأنبياء ولكن المتأخرون رتبوا على ذلك اما بطريق الصابئة الذين لبسوا[2] الحنيفية
بالصابئة كابن سينا ونحوه ، واما بطريق المتكلمين الذين احسنوا الظن بما ذكره
المنطقيون وقرروا اثبات العلم بموجب النبوات به[3] اما الاول فانه[4] جعل علوم
الانبياء من العلوم الحدسية لقوة صفاء تلك النفوس القدسية وطهارتها وان قوى
النفوس في الحدس لاتقف عند حد ولابد للعالم من نظام ينصبه حكيم فيعطي النفوس
المؤيدة من القوة ما تعلم به ما لايعلمه غيرها بطريق الحدس ويمثل لها ما تسمعه وتراه
في نفسها من الكلام والملائكة ما لايسمعه غيرها ويكون لها من القوة العملية التى تطيعها[5]
بها هيولى العالم ما ليس لغيرها فهذه الخوارق في قوى العلم مع السمع والبصر وقوة
العمل والقدرة هي النبوة عندهم ومعلوم ان الحدس راجع الى قياس التمثيل كما
تقدم واما ما يسمع ويرى في نفسه فهو من جنس الرؤيا وهذا القدر يحصل مثله

[1] كان في الاصل يحصله

[2] أي خلطوا بين الحنيفية دين الانبياء وبين الصابئة دين المشركين

[3] أي بالمنطق [4] اي ابن سينا واضرابه الذين خلطوا بين الحنيفية والصابئة

[5] بان يسمع ما لم يسمع غيره ويبصر ما لم يبصر الناس وقوة التصرف في هيولى العالم

لكثير من عوام الناس وكفارهم فضلا عن اولياء الله وانبيائه فكيف يجعل ذلك هو غاية
النبوة وان كان الذي يثبتونه للانبياء اكمل وأشرف فهو كملك أقوى من ملك ولهذا صاروا
يقولون النبوة مكتسبة ولم يثبتوا نزول ملائكة من عند الله الى من يختاره ويصطفيه
من عباده ولا قصده لتكليم شخص معين من رسله كما يذكر عن بعض قدمائهم أنه
قال لموسى بن عمران أنا أصدقك فى كل شئ الا فى أن علة العلل كلمك ما أقدر أن أصدقك
فى هذا ولهذا صار من ضل بمثل هذا الكلام يدعي مساواة الأنبياء والمرسلين
أو التقدم عليهم وهذا كثير فى كثير من الناس الذين يعتقدون فى أنفسهم أنهم
أكمل النوع وهم من أجهل الناس واظلمهم واكفرهم وأعظمهم نفاقا ۝
وأما المتكلمون المنطقيون فيقولون يعلم بهذا القياس ثبوت الصانع وقدرته وجواز
ارسال الرسل وتأييده لهم بما يوجب تصديقهم فيما يقولونه وهذه الطريقة أقرب الى
طريقة العلماء المؤمنين وان كان قد يكون فيها أنواع من الباطل تارة من جهة ما تقلدوه عن
المنطقيين وتارة من جهة ما ابتدعوه هم مما ليس هذا موضعه ومنطقية اليهود والنصارى
كذلك لكن الهدى والعلم والبيان فى فلاسفة المسلمين ومتكلميهم أعظم منه فى أهل
الكتابين لما فى تينك الملتين من الفساد ولكن الغرض تقرير جنس النبوات فان
أهل الملل متفقون عليها لكن اليهود والنصارى آمنوا ببعض الرسل وكفروا ببعض
والصابئة الفلاسفة ونحوهم آمنوا ببعض صفات الرسالة دون بعض فاذا اتفق
متفلسف من اهل الكتاب جمع الكفرين الكفر بخاتم المرسلين والكفر بحقائق صفات
الرسالة فى جميع المرسلين فهذا هذا فيقال لهم مع علمهم بتفاوت قوى بنى آدم فى
الادراك ما المانع من أن يخرق سمع أحدهم وبصره حتى يسمع ويرى من الأمور
الموجودة فى الخارج ما لا يراه غيره كما قال النبي صلى الله عليه وسلم « انى أرى ما لا ترون
وأسمع ما لا تسمعون أطت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع أربع أصابع الا وملك
قائم أو قاعد أو راكع أو ساجد » فهذا احساس بالظاهر أو بالباطن لما هو فى الخارج ۝

وكذلك العلوم الكلية البديهية قد علمتم أنها ليس لها حد فى بنى آدم فمن أين لكم أن
بعض النفوس ما يكون لها من العلوم البديهية التى يختص بها أو بها وبأمثالها ما لا يكون
من البديهيات عندكم واذا كان هذا ممكنا وعامة أهل الارض على أنه واقع لغير الانبياء دع
الأنبياء فمثل هذه العلوم ليس فى منطقكم طريق اليها اذ ليست من المشهورات ولا الجدلية
ولا موادها عندكم يقينية وانتم لا تعلمون نفيها وجمهور أهل الارض من الاولين والآخرين
على اثباتها فان كذبتم بها كنتم مع الكفر والتكذيب بالحق وخسارة الدنيا والآخرة تاركين
لمنطقكم ايضا وخارجين عما اوجبتموه على انفسكم انكم لا تقولون الا بموجب القياس اذ
ليس لهم بهذا النفي قياس ولا حجة تذكر ولهذا لم يذكروا عليه حجة وانما اندرج هذا النفي
فى كلامكم بغير حجة وان قلتم بل هي حق اعترفتم بان من الحق ما لا يوزن بميزان منطقكم وان قلتم
لا ندري احق هي ام باطل اعترفتم بان أعظم المطالب وأجلها لا يوزن بميزان المنطق
فان صدقتم لم يوافقكم المنطق وان كذبتم لم يوافقكم المنطق وان ارتبتم لم ينفعكم المنطق
ومن المعلوم أن موازين الاموال لا يقصد ان يوزن بها الحطب والرصاص دون
الذهب والفضة وأمر النبوات وما جاءت به الرسل اعظم فى العلوم من الذهب فى الاموال
فاذا لم يكن فى منطقكم ميزان له كان الميزان مع انه ميزان عائل جائر هو ايضا عاجز فهو
ميزان جاهل ظالم كهو اما ان يرد الحق ويدفعه فيكون ظالما أو لا يزنه ولا يبين أمره فيكون
جاهلا او يجتمع فيه الامران فيرد الحق ويدفعه وهو الحق الذى ليس للنفوس عنه عوض
ولا عنه مندوحة وليست سعادتها الا فيه ولا هلاكها الا بتركه فكيف يستقيم مع هذا
ان تقولوا انه وما وزنتموه به من المتاع الخسيس الذي أنتم فى وزنكم اياه به ظالمون
عائلون لم تزنوا بالقسطاس المستقيم ولم تستدلوا بالآيات البينات هو العلوم الحقيقية
والحكمة اليقينية التى فاز بالسعادة عالمها وخاب بالشقاوة جاهلها ورأس مال السادة
غاية العالم المنصف منكم ان يعترف بعجز ميزانكم عنه وأما عوام علمائكم فيكذبون به
ويردونه وان كان منطقكم يرد عليهم فلستم بتحريف أمر منطقكم باحسن حال من

اليهود والنصارى فى تحريف كتاب الله الذي هو فى الاصل حق هاد لاريب فيه فهذا
هذا ولاحول ولاقوة الا بالله . وايضاهم متفقون على انه لايفيد الا اموراً كلية مقدرة
فى الذهن لايفيد العلم بشئ موجود محقق فى الخارج الا بتوسط شئ آخر غيره والأمور
الكلية الذهنيه ليست هي الحقائق الخارجيه ولاهي ايضاعلما بالحقائق الخارجية اذ لكل
موجود حقيقة يتميز بها عن غيره هو بها هو وتلك ليست كلية فالعلم بالامر المشترك لايكون
علما بها فلا يكون فى القياس المنطقى علم تحقيقه بشئ من الأشياء وهو المطلوب . وأيضا
هم يطعنون فى قياس التمثيل وقد يقولون انه لايفيد الا الظن وربما تكلموا على بعض الأقيسة
الفرعية او الاصلية التى تكون مقدماتها ضعيفة او مظنونة مثل كلام السهروردي المقتول
على الزندقه صاحب التلويحات والألواح وحكمة الاشراق وكان فى فلسفته مستمداً من
الروم الصابئين والفرس المجوس وهاتان المادتان هما مادتا القرامطة الباطنية ومن
يدخل فيهم من الاسماعيلية والنصيرية وامثالهم وهم ممن دخل فى قوله صلى الله عليه وسلم
فى الحديث الصحيح « لتأخذنَّ مأخذ الأمم قبلكم شبراً بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا
جحر ضب لدخلتموه قالوا فارس والروم قال فمن » والمقصود ان ذكر كلام السهروردي
هذا على قياس ضربه وهو أن يقال السماء محدثة قياساً على البيت بجامع ما يشتركان فيه
من التأليف فيحتاج أن يثبت ان علة حدوث البناء هو التأليف وأنه موجود فى الفرع
والتحقيق ان قياس التمثيل أبلغ فى افادة العلم واليقين من قياس الشمول وان كان علم قياس
الشمول اكثر فذاك أكبر[١] فقياس التمثيل فى القياس العقلى فى العلم الحسى كالبصر وقياس
الشمول كالسمع فى العلم الحسى ولاريب أن البصر أعظم وأكمل والسمع أوسع وأشمل
فقياس التمثيل بمنزلة البصر كما قيل من قاس مالم يره بما رأى وقياس الشمول يشابه
السمع من جهة العموم . ثم ان كل واحد من القياسين فى كونه علميا أو ظنيا يتبع مقدماته
فقياس التمثيل فى الحسيات وكل شئ اذا علمنا ان هذا مثل هذا علمنا ان حكمه حكمه وان
لم نعلم علة الحكم وان علمنا علة الحكم استدللنا بثبوتها على ثبوت الحكم ، فبكل واحد من

[١] كان فى الاصل اكثر

العلم بقياس التمثيل وقياس التعليل يعلم الحكم وقياس التعليل هو فى الحقيقة من نوع قياس
الشمول لكنه امتاز عنه بان الحد الأوسط الذي هو الدليل فيه هو علة للحكم ويسمى قياس العلة
وبرهان العلة وذلك يسمى قياس الدلالة وبرهان الدلالة وان لم نعلم التماثل والعلة بل ظنناها
ظنا كان الحكم كذلك وهكذا الامر فى قياس الشمول ان كانت المقدمتان معلومتين كانت النتيجة
معلومة والا فالنتيجة تتبع أضعف المقدمات . فاما ادعاؤهم ان هذا[١] لايفيد العلم فهو
غلط محض محسوس بل عامة علوم بنى آدم العقلية المحضة هي من قياس التمثيل وايضا
علومهم التى جعلوا هذه الصناعة[٢] ميزانا لها بالقصد الأول لايكاد ينتفع بهذه الصناعة
المنطقية فى هذه العلوم الا قليلا فان العلوم الرياضية من حساب العدد وحساب
المقدار الذهنى والخارجى قد علم ان الخائضين فيه من الأولين والآخرين مستقلون
به من غير التفات الى هذه الصناعة المنطقية واصطلاح اهلها ، وكذلك ما يصح من العلوم
الطبيعية الكلية والطبية تجد الحاذقين فيها لم يستعينوا عليها بشئ من صناعة
المنطق بل إمام صناعة الطب بقراط له فيها من الكلام الذي تلقاه أهل الطب بالقبول
ووجدوا مصداقه بالتجارب وله فيها من القضايا الكلية التى هي عند عقلاء بنى آدم من
أعظم الامور ومع هذا فليس هو مستعينا بشئ من هذه الصناعة بل كان قد[٣] واضعها
وهم وان كان العلم الطبيعي عندهم أعلم واعلا من علم الطب فلا ريب أنه متصل به فبالعلم
بطبائع الأجسام المعينة المحسوسة يعلم طبائع سائر الأجسام ومبدأ الحركة والسكون
الذي فى الجسم ويستدل بالجزء على الكل ولهذا كثيراً ما يتناظرون فى مسائل ويتنازع
فيها هؤلاء وهؤلاء كتناظر الفقهاء والمتكلمين فى مسائل كثيرة تتفق فيها الصناعتان[٤]
وأولئك يدعون عموم النظر ولكن الخطأ والغلط عند المتكلمين والمتفلسفة أكثر مما هو
عند الفقهاء والأطباء وكلامهم وعلمهم أنفع وأولئك اكثر ضلالا وأقل نفعاً لأنهم طلبوا
بالقياس ما لا يعلم بالقياس وزاحموا الفطرة والنبوة مزاحمة أوجبت من مخالفتهم للفطرة
والنبوة ما صاروا به من شياطين الانس والجن الذين يوحي بعضهم الى بعض زخرف

[١] يعني قياس التمثيل
[٢] يعني المنطق
[٣] كذا فى الاصل ولعله بل قد كان واضعها وهم
[٤] ص الصناعتان

القول غرورا بخلاف الطب المحض فانه علم نافع وكذلك الفقه المحض واما علم ما بعد
الطبيعة وان كانوا يعظمونه ويقولون هو الفلسفة الأولى وهو العلم الكلى الناظر في
الوجود ولواحقه ويسميه متأخروهم العلم الالهي وزعم المعلم الاول لهم أنه غاية فلسفتهم
ونهاية حكمتهم فالحق فيه من المسائل قليل نزر وغالبه علم باحكام ذهنية لا حقائق خارجية
وليس على أكثره قياس منطقي فان الوجود المجرد والوجوب والامكان والعلة المجردة والمعلول
وانقسام ذلك الى جزء الماهية وهو المادة والصورة والى علتي وجودها وهو الفاعل
والغاية والكلام في انقسام الوجود الى الجوهر[7] والاعراض التسعة التي هي الكم.
والكيف والاضافة والاين ومتى والوضع والملك وان يفعل وان ينفعل
كما انشد بعضهم فيها

زيد[1] الطويل[2] الأسود[3] بن مالك[4]	في داره[5] بالأمس[6] كان يتكي[7]
بيده سيف[8] نضاه[9] فانتضى[10]	فهذه عشر مقولات سوا

ليس عليها ولا على اقسامها قياس منطقي بل غالبها مجرد استقراء قد نوزع صاحبه في كثير
منه فاذا كانت صناعتهم بين معلوم لا يحتاج فيها الى القياس المنطقي وبين ما لا يمكنهم
أن يستعملوا فيه القياس المنطقي كان عديم الفائدة في علومهم بل كان فيه من شغل
القلب عن العلوم والاعمال النافعة ما ضر كثيرا من الناس كما سد على كثير منهم طريق
العلم وأوقعهم في اودية الضلال والجهل فما الظن بغير علومهم من العلوم التي لا تحد للاولين
والآخرين[11]. وايضا لا تجد أحدا من أهل الارض حقق علما من العلوم وصار اماما
فيه مستعينا بصناعة المنطق لا من العلوم الدينية ولا غيرها فالاطباء والحساب
والكتاب ونحوهم يحققون ما يحققون من علومهم وصناعاتهم بغير صناعة المنطق
وقد صنف في الاسلام علوم النحو واللغة والعروض والفقه واصوله والكلام وغير
ذلك وليس في أئمة هذه الفنون من كان يلتفت الى المنطق بل عامتهم كانوا قبل أن
يعرب هذا المنطق الرومي وأما العلوم الموروثة عن الانبياء صرفا وان كان الفقه واصوله

متصلا بذلك فهي أجل وأعظم من ان يظن ان لاهلها التفاتا الى المنطق اذ ليس في القرون
الثلاثة من هذه الامة التي هي خير أمة أخرجت للناس وأفضلها القرون الثلاثة من كان
يلتفت الى المنطق أو يعرج عليه مع انهم في تحقيق العلوم وكمالها بالغاية التي لا يدرك أحد
شأوها كانوا أعمق الناس علما واقلها تكلفا وأبرها قلوبا ولا يوجد لغيرهم كلام فيما تكلموا
فيه الا وجدت بين الكلامين من الفرق أعظم مما بين القدم والفرق بل الذي وجدناه
بالاستقراء ان من المعلوم ان الخائضين في العلوم من اهل هذه الصناعة اكثر الناس
شكا واضطرابا واقلهم علما وتحقيقا وابعدهم عن تحقيق علم موزون وان كان فيهم من
قد يحقق شيئا من العلم فذلك لصحة المادة والادلة التي ينظر فيها وصحة ذهنه
وادراكه لا لاجل المنطق بل ادخاله صناعة المنطق في العلوم الصحيحة يطول العبارة
ويبعد الاشارة ويجعل القريب من العلم بعيدا واليسير منه عسيرا ولهذا تجد من
أدخله في الخلاف والكلام واصول الفقه وغير ذلك لم يفد الا كثرة الكلام والتشقيق
مع قلة العلم والتحقيق فعلم أنه من اعظم حشو الكلام وابعد الاشياء عن طريقة ذوي
الاحلام نعم لا ينكر ان في المنطق ما قد يستفيد ببعضه من كان في كفر وضلال
وتقليد لمن نشأ بينهم من الجهال كعوام النصارى واليهود والرافضة ونحوهم فأورثهم
المنطق ترك ما عليه اولئك من تلك العقائد ولكن يصير غالب هؤلاء مداهنين
لعوامهم مضلين لهم عن سبيل الله أو يصيرون منافقين زنادقة لا يقرون بحق ولا بباطل
بل يتركون الحق كما تركوا الباطل فاذكياء طوائف الضلال اما مضلون مداهنون واما زنادقة
منافقون لا يكاد يخلو أحد منهم عن هذين فاما ان يكون المنطق وقفهم على حق يهتدون
به فهذا لا يقع بالمنطق ففي الجملة ما يحصل به لبعض الناس من شحذ ذهن أو رجوع
عن باطل او تعبير عن حق فانما هو لكونه كان في أسوأ حال لا لما في صناعة المنطق من
الكمال ومن المعلوم ان المشرك اذا تمجس والمجوسي اذا تهود حسنت حاله بالنسبة
الى ما كان فيه قبل ذلك لكن لا يصلح ان يجعل ذلك عمدة لاهل الحق المبين وهذا ليس

[7] تسمى عندهم المقولات العشر
فالاولى الجوهر ما يقوم بنفسه والتسعة بعده اعراض وهي ما تقوم بالجوهر فالكم ما يقبل القسمة بذاته وهو منفصل وهو العدد ومتصل وهو المقدار الهندسي من خط وسطح وجسم تعليمي والكيف ما لا ينقسم كالحرارة والالوان والاضافة ما يعقل باضافته الى غيره كالابوة والنبوة والاين المكان ومتى الزمان والوضع والملك معلومات وان يفعل تأثير الفاعل وان ينفعل تأثر المفعول كضرب الضارب وانضراب المضروب.

١ مثال الجوهر ٢ مثال الكم ٣ مثال الكيف
٤ مثال الاضافة ٥ مثال الأين ٦ مثال متى
٧ مثال الوضع ٨ مثال الملك ٩ مثال ان يفعل
١٠ ان ينفعل

[11] في نسخة: وهذا يظهر بالوجه العاشر كذا بهامش الاصل

مختصا به بل هذا شأن كل من نظر فى الامور التى فيها دقة ولها نوع احاطة كما تجد ذلك فى علم
النحو فانه من المعلوم ان لاهله من التحقيق والتدقيق والتقسيم والتحديد ما ليس لاهل
المنطق وان اهله يتكلمون فى صورة المعانى المعقوله على اكمل القواعد فالمعانى فطرية
عقلية لا تحتاج الى وضع خاص بخلاف قوالبها التى هي الالفاظ فانها تتنوع فمتى تعلموا اكمل
الصور والقوالب للمعانى مع الفطرة الصحيحة كان ذلك اكمل وأنفع وأعون على تحقيق
العلوم من صناعة اصطلاحية فى أمور فطرية عقلية لا يحتاج فيها الى اصطلاح خاص
هذا العري فى[١] منفعته فى سائر العلوم واما منفعته فى علم الاسلام خصوصا فهذا أبين
من أن يحتاج الى بيان ولهذا تجد الذين اتصلت اليهم علوم الاوائل فصاغوها بالصيغة
العربية بعقول المسلمين جاء فيها من الكمال والتحقيق والاحاطة والاختصار ما لا يوجد
فى كلام الاوائل وان كان فى هؤلاء المتأخرين من فيه نفاق وضلال لكن عادت عليهم
فى الجملة بركة ما بعث به رسول الله صلى الله عليه وسلم من جوامع الكلم وما أوتيته أمته
من العلم والبيان الذي لم يشركها فيه أحد وايضا صناعة المنطق وضعها معلمهم
الأول أرسطو صاحب التعاليم التى لمبتدعة الصابئة يزن بها ما كان هو وامثاله
يتكلمون فيه من حكمتهم وفلسفتهم التى هي غاية كمالهم وهي قسمان نظرية وعملية
فأصح النظرية وهي المدخل الى الحق هي الامور الحسابية الرياضية وأما العملية فاصلاح
الخُلُق[٢] والمنزل والمدينة ولا ريب ان فى ذلك من نوع العلوم والاعمال التى يتميزون بها
عن جهال بنى آدم الذين ليس لهم كتاب منزل ولا نبي مرسل ما يستحقون به التقدم على ذلك وفيه
من منفعة صلاح الدنيا وعمارتها ما هو داخل فى ضمن ما جاءت به الرسل وفيها ايضا من قول
الحق واتباعه والامر بالعدل والنهي عن الفساد ما هو داخل فى ضمن ما جاءت به الرسل فهم
بالنسبة الى جهال الامم كبادية الترك ونحوهم أمثل اذا خلوا عن ضلالهم فاما مع ضلالهم
فقد يكون الباقون على[٣] الفطرة من جهال بنى آدم أمثل منهم فاما أضلّ أهل الملل مثل جهال
النصارى وسامرة اليهود فهم أعلم منهم وأهدى واحكم واتبع للحق وهذا قد بسطته

[١] كذا ولعله من

[٢] يسمون اصلاح الخلق بتهذيب الاخلاق واصلاح المنزل بسياسة المنزل او العائله واصلاح المدينة بالسياسة العامة أو سياسة الملك او الدولة .

[٣] كان فى الاصل عن

بسطا كثيرا فى غير هذا الموضع . وانما المقصود هنا بيان أن هذه الصناعة قليلة المنفعة
عظيمة الحشو وذلك أن الامور العملية الخُلُقية قل أن ينتفع فيها بصناعة المنطق فيها اذ =
القضايا الكلية الموجبة وان كانت توجد فى الامور العملية لكن أهل السياسة لنفوسهم
ولأهلهم ولملكهم[١] انما ينالون تلك الآراء الكلية من امور لا يحتاجون فيها الى المنطق
ومتى حصل ذلك الرأي كان الانتفاع به بالعمل ثم الأمور العملية لا تقف على رأي كلي
بل متى علم الانسان انتفاعه بعمل عمله وأي عمل[٢] تضرر به تركه وهذا قد تعلمه بالحس
الظاهر والباطن لا يقف ذلك على رأي كلي فعلم ان اكثر الامور العملية لا يصح استعمال
المنطق فيها ولهذا كان المؤدبون لنفوسهم ولاهلهم والسائسون لملكهم لا يزنون
آراءهم بالصناعة المنطقية الا ان يكون شيئا يسيرا والغالب على من يسلكه[٣] التوقف
والتعطيل ولو كان اصحاب هذه الآراء تقف معرفتهم بها واستعمالهم لها على وزنها بهذه
الصناعه لكان تضررهم بذلك أضعاف انتفاعهم مع ان جميع ما يأمرون به من العلوم
والاخلاق والاعمال لا تكفي فى النجاة من عذاب الله فضلا عن ان يكون محصلا لنعيم الآخرة
[٤](حتى اذا اداركوا فيها جميعا قالت اخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا
من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون) وكذلك قال (أفلم يسيروا فى الارض فينظروا
كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اكثر منهم وأشد قوة وآثارا فى الارض فما أغنى
عنهم ما كانو يكسبون[١] . فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق
بهم ما كانوا به يستهزءون . فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين
فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا سنت الله التى قد خلت فى عباده وخسر هنالك
الكافرون) فاخبر هنا بمثل ما اخبر به فى الأعراف أن هؤلاء المعرضين عما جاءت به الرسل
لما رأوا بأس الله وحدوا الله وتركوا الشرك فلم ينفعهم ذلك وكذلك أخبر عن فرعون
وهو كافر بالتوحيد وبالرسالة أنه لما ادركه الغرق (قال آمنت أنه لا اله الا الذي آمنت به
بنوا اسرائيل وأنا من المسلمين) قال الله (آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين)

[١] هذه الاقسام الثلاثة هي التى يسمونها الحكمة العملية فالاول تهذيب الاخلاق اشار اليه بقوله «السياسة لنفوسهم» والثاني تدبير المنزل اشار اليه بقوله «ولاهلهم» والثالث تدبير الملك اشار اليه بقوله «ولملكهم»

[٢] كان فى الاصل وأي علم

[٣] اى المنطق

[٤] قال فى الاصل المقابل عليه لما وقف على قوله فضلا عن ان يكون محصلا لنعيم الآخرة يتلوه الخط المعترض ولم نر خطا معترضا وكتبنا من قوله حتى اذا اداركوا وهو فى الورقة المكررسة فاعرف ذلك ه كذا بهامش الاصل وفيه ايضا الورقة المنكوسة لليوم . انتهى من هامش الاصل

[illegible] فى الاصل المقول عنه [illegible] قوله الكافرون [illegible]

وقال تعالى (واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على انفسهم[1]
ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين . أو تقولوا
إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم افتهلكنا بما فعل المبطلون) وقال تعالى
(الم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود[٤] والذين من بعدهم لا يعلمهم
الا الله جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم فى افواههم وقالوا انا كفرنا بما
ارسلتم به وانا لفى شك مما تدعوننا اليه مريب. قالت رسلهم أفى الله شك فاطر السموات
والارض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى أجل مسمى قالوا ان انتم الا بشر
مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين) وهذا فى
القران فى مواضع أخر يبين فيها ان الرسل كلهم امروا بالتوحيد بعبادة الله وحده لا شريك
له ونهوا عن عبادة شيء من المخلوقات سواه أو اتخاذه الها ويخبر ان أهل السعادة هم اهل التوحيد
وان المشركين هم اهل الشقاوة وذكر هذا عن عامة الرسل ويبين ان الذين لم يؤمنوا بالرسل
مشركون فعلم ان التوحيد والايمان بالرسل متلازمان وكذلك الايمان باليوم الآخر هو والايمان
بالرسل متلازمان فالثلاثة متلازمة ولهذا يجمع بينهما فى مثل قوله (ولا تتبع اهواء
الذين كذبوا بآياتنا والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون) ولهذا أخبر أن الذين لا يؤمنون
بالآخرة مشركون فقال تعالى (واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة)
وأخبر عن جميع الاشقياء ان الرسل أنذرتهم باليوم الآخر كما قال تعالى (كلما القي فيها
فوج سألهم خزنتها الم يأتكم نذير قالوا بلى[٤] قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء
ان انتم الا فى ضلال كبير) فاخبر ان الرسل انذرتهم وأنهم كذبوا بالرسالة وقال تعالى
(وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا حتى اذا جاؤها فتحت ابوابها[٤] وقال لهم خزنتها ألم
يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن
حقت كلمة العذاب على الكافرين) فأخبر عن اهل النار أنه جاءتهم الرسالة وانذروا
باليوم الآخر وقال تعالى (ويوم يحشرهم جميعا يا معشر الجن قد استكثرتم من الانس

[٤] كان فى الاصل الى قوله بسلطان مبين فاكملنا الآية

صح يؤمنون

[٤] كان فى الاصل الآية فاكملناها

[٤] د

وقال أولياؤهم من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذي اجلت لنا قال النار مثواكم
خالدين فيها الا ما شاء الله ان ربك حكيم عليم وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا
يكسبون يا معشر الجن والانس[1] الم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء
يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على أنفسهم
أنهم كانوا كافرين) الاية فاخبر عن جميع الجن والانس ان الرسل بلغتهم رسالة الله وهي
آياته وأنهم انذروهم اليوم الاخر وكذلك قال (قل هل ننبئكم بالأخسرين اعمالا الذين
ضل سعيهم فى الحياة الدنيا[٤] وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا . أولئك الذين كفروا
بآيات ربهم ولقائه فحبطت اعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا) فأخبر أنهم
كفروا بآياته وهي رسالته وبلقائه وهو اليوم الآخر وقد أخبر أيضا فى غير موضع
بان الرسالة عمت بني آدم وأن الرسل جاؤا مبشرين ومنذرين كما قال تعالى (انا
ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا وان من أمة الا خلا فيها نذير) وقال تعالى (انا أوحينا
اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده[٤] وأوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب
والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبورا . ورسلا قد
قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما . رسلا
مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما)
وقال تعالى (وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين فمن آمن وأصلح فلا خوف عليهم
ولا هم يحزنون والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب بما كانوا يفسقون) فأخبر ان من آمن
بالرسل واصلح من الاولين والاخرين فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقال تعالى (قلنا
اهبطوا منها جميعا فاما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون[٤]
والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) ومثل قوله (ان الذين
آمنوا والذين هادوا[٥] والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم
اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) فذكر ان المؤمنين بالله وباليوم الآخر

[1] فى الاصل الى قوله انهم كانوا كافرين

[٤] كان فى الاصل فى الحياة الدنيا الآية فاكملناها

[٤] كان فى الاصل من بعده الى قوله وكان الله عزيزا حكيما فاكملناها

[٤] كان فى الاصل يحزنون الآية فاكملناها

[٥] كان فى الاصل والذين هادوا الى قوله فلهم اجرهم عند ربهم الآية فاكملناها

من هؤلاء هم أهل النجاة والسعادة وذكر في تلك الاية الايمان بالرسل وفي هذه الايمان
باليوم الاخر لانهما متلازمان وكذلك الايمان بالرسل كلهم متلازم فمن آمن بواحد منهم
فقد آمن بهم كلهم ومن كفر بواحد منهم فقد كفر بهم كلهم كما قال تعالى (إن الذين
يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر
ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا . أولئك هم الكافرون حقا[1] واعتدنا
للكافرين عذابا مهينا . والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك
سوف يؤتيهم اجورهم وكان الله غفورا رحيما) فأخبر ان المؤمنين بجميع الرسل هم
أهل السعادة وان المفرقين بينهم بالايمان ببعضهم دون بعض هم الكافرون
حقا وقال تعالى (وكل انسان الزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا
يلقاه منشورا اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا من اهتدى فانما يهتدي
لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى وما كنا معذبين
حتى نبعث رسولا)[1] فهذه الاصول الثلاثة توحيد الله والايمان برسله وباليوم
الاخر هي امور متلازمة والحاصل ان توحيد الله والايمان برسله وباليوم الاخر هي أمور
متلازمة مع العمل الصالح فاهل هذا الايمان والعمل الصالح هم أهل السعادة من
الاولين والاخرين والخارجون عن هذا الايمان مشركون أشقياء فكل من كذب
الرسل فلا يكون الا مشركا وكل مشرك مكذب للرسل وكل مشرك وكافر بالرسل فهو
كافر باليوم الآخر وكل من كفر باليوم الآخر فهو كافر بالرسل وهو مشرك ولهذا قال
سبحانه وتعالى (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحي بعضهم
الى بعض زخرف القول غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون ولتصغى
اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون) فأخبر
ان جميع الانبياء لهم اعداء وهم شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض القول
المزخرف وهو المزين المحسن يغرون به والغرور التلبيس والتمويه وهذا شأن كل

[1] كان في الاصل حقا الاية والتي بعدها فكتبناها جميعا

[1] وجد بهامش الاصل ما نصه الى هنا انتهت الورقة المنكوسة وقال في آخرها صح صح

كلام وكل عمل يخالف ما جاءت به الرسل من أمر المتفلسفة والمتكلمة وغيرهم من
الاولين والآخرين ثم قال (ولتصغى اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه)
فاخبر ان كلام اعداء الرسل تصغى اليه افئدة الذين يؤمنون بالآخرة فعلم ان مخالفة
الرسل وترك الايمان بالآخرة متلازمان فمن لم يؤمن بالآخرة أصغى الى زخرف
اعدائهم فخالف الرسل كما هو موجود في اصناف الكفار والمنافقين في هذه الامة وقال
تعالى (ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون هل ينظرون
الا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق
فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا[1] أو نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل قد خسروا أنفسهم وضل
عنهم ما كانوا يفترون) فاخبر ان الذين تركوا اتباع الكتاب وهو الرسالة يقولون اذا جاء
تأويله وهو ما أخبر به جاءت رسل ربنا بالحق وهذا كقوله (ومن أعرض عن ذكري فان
له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة اعمى قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا
قال كذلك اتتك اياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى) أخبر ان الذين تركوا اتباع آياته
يصيبهم ما ذكرنا . فقد تبين ان اصل السعادة واصل النجاة من العذاب هو توحيد الله
بعبادته وحده لا شريك له والايمان برسله واليوم الآخر والعمل الصالح وهذه الامور
ليست في حكمتهم وفلسفتهم المبتدعة ليس فيها الامر بعبادة الله وحده والنهي عن
عبادة المخلوقات بل كل شرك في العالم انما حدث برأي جنسهم اذ بنوه على ما في الارواح
والاجسام من القوى والطبائع وأن صناعة الطلاسم والاصنام والتعبد لها يورث
منافع ويدفع مضار فهم الآمرون بالشرك والفاعلون له ومن لم يأمر بالشرك منهم فلم
ينه عنه بل يقر هؤلاء وهؤلاء وان رجح الموحدين ترجيحا ما فقد يرجح غيره المشركين
وقد يعرض عن الامرين جميعا فتدبر هذا فانه نافع جدا ولهذا كان رؤسهم المتقدمون
والمتأخرون يأمرون بالشرك فالأولون يسمون الكواكب الآلهة الصغرى ويعبدونها
باصناف العبادات كذلك كانوا في ملة الاسلام لا ينهون عن الشرك ويوجبون

[1] كان في الاصل الاية فاكملناها

١م اذ بنوه على

التوحيد بل يسوغون الشرك أو يأمرون به أو لا يوجبون التوحيد وقد رأيت من
مصنفاتهم في عبادة الكواكب والملائكة وعبادة الأنفس المفارقة أنفس الانبياء وغيرهم
ما هو أصل الشرك وهم اذا ادعوا التوحيد فانما توحيدهم بالقول لا بالعبادة والعمل والتوحيد
الذي جاءت به الرسل لا بد فيه من التوحيد باخلاص الدين لله وعبادته وحده لا شريك له
وهذا شيء لا يعرفونه والتوحيد الذي يدعونه انما هو تعطيل حقائق الاسماء والصفات
وفيه من الكفر والضلال ما هو من اعظم اسباب الاشراك فلو كانوا موحدين بالقول
والكلام وهو ان يصفوا الله بما وصفته به رسله لكان معهم التوحيد دون العمل وذلك
لا يكفي في السعادة والنجاة بل لا بد من ان يعبد الله وحده ويتخذ الها دون ما سواه وهو
معنى قول لا اله الا الله فكيف وهم في القول والكلام معطلون جاحدون لا موحدون
ولا مخلصون واما الايمان بالرسل فليس فيه للمعلم الاول وذويه كلام معروف والذين
دخلوا في الملل منهم آمنوا ببعض صفات الرسل وكفروا ببعض واما اليوم الآخر فأحسنهم
حالا من يقر بمعاد الارواح دون الاجساد ومنهم من ينكر المعادين جميعا ومنهم من يقر
بمعاد الأرواح العالمة دون الجاهلة وهذه الاقوال الثلاثة لمعلمهم الثاني ابي نصر
الفارابي ولهم فيه من الاضطراب ما يعلم به أنهم لم يهتدوا فيه لصواب وقد أضلوا
بشبهاتهم من المنتسبين الى الملل من لا يحصي عدده الا الله فاذا كان ما به تحصل السعادة
والنجاة من الشقاوة ليس عندهم أصلا كان ما يأمرون به من الاخلاق والاعمال والسياسات
كما قال الله تعالى (يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون) وأما ما يذكرونه
من العلوم النظرية فالصواب منها منفعته في الدنيا واما العلم الالهي فليس عندهم منه
ما تحصل به النجاة والسعادة بل وغالب ما عندهم منه ليس بمتيقن معلوم بل قد صرح
أساطين الفلسفة ان العلوم الالهية لا سبيل فيها الى اليقين وانما يتكلم فيها بالأحرى
والأخلق فليس معهم فيها الا الظن وان الظن لا يغني من الحق شيئا ولهذا يوجد
عندهم من المخالفة للرسل أمر عظيم باهر حتى قيل مرة لبعض الاشياخ الكبار ممن

يعرف الكلام والفلسفة والحديث وغير ذلك ما الفرق الذي بين الانبياء والفلاسفة فقال
السيف الاحمر وهو يريد الذي يسلك طريقتهم ان يوفق بين ما يقولونه وبين ما جاءت
به الرسل فيدخل من السفسطة والقرمطة في أنواع من المحال الذي لا يرضاه عاقل
كما فعل أصحاب رسائل أخوان الصفا وامثالهم ومن هنا ضلت القرامطة والباطنية
ومن شركهم في بعض ذلك وهذا باب يطول وصفه وليس الغرض هنا ذكره وانما
الغرض أن معلمهم (أرسطو) وضع منطقهم ليزن به ما يقولونه من هذه الأمور التي يخوضون
فيها التي هي قليلة المنفعة وأكثر منفعتها انما هي في الامور الدنيوية وقد يستغنى
عنها في الامور الدنيوية أيضا فاما ان يوزن بهذه الصناعة ما ليس من علومهم وما هو
فوق قدرهم او يوزن بها ما يوجب السعادة والنعيم والنجاة من العذاب الأليم فهذا أمر
ليس هو فيها (وقد جعل الله لكل شيء قدرا) والقوم وان كان لهم ذكاء وفطنة وفيهم
زهد وأخلاق فهذا القدر لا يوجب السعادة والنجاة من العذاب الا بالأصول
المتقدمة من الايمان بالله وتوحيده (واخلاص عبادته) والايمان برسله واليوم الآخر والعمل الصالح وانما
قوة الذكاء بمنزلة قوة البدن وقوة الارادة فالذي يؤتى فضائل علمية وارادية بدون
هذه الاصول[ع] (يكون) بمنزلة من يؤتى قوة في جسمه وبدنه بدون هذه الأصول وأهل الرأي
والعلم بمنزلة اهل الملك والإمارة وكل من هؤلاء وهؤلاء لا ينفعه ذلك شيئا الا ان يعبد الله
وحده لا شريك له ويؤمن برسله وباليوم الآخر وهذه الامور متلازمة فمن عبد الله
وحده لزم ان يؤمن برسله ويقر باليوم الآخر واستحق الثواب والا كان من أهل
الوعيد ويخلد عليه العذاب هذا اذا قامت عليه الحجة بالرسل . ولما كان كل واحد من
اهل الملك والعلم قد يعارضون الرسل وقد يتابعونهم ذكر الله ذلك في كتابه في غير
موضع فذكر فرعون والذي حاج ابراهيم في ربه لما آتاه الله الملك والملأ من قوم نوح
وعاد وغيرهم من المستكبرين المكذبين للرسل وذكر قول علمائهم كقوله (فلما جاءتهم
رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون فلما

[ع] أي الثلاثة المتقدمة وهي الايمان بالله وتوحيده والايمان برسله واليوم الآخر والعمل الصالح

اذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون) فاخبر بما مكنوا فيه من
أصناف الادراكات والحركات وأخبر ان ذلك لم يغن عنهم حيث جحدوا بآيات الله وهي
الرسالة التي بعث بها رسله ولهذا احدثني ابن الشيخ الحصيري[1] عن والده الشيخ الحصيري
شيخ الحنفية في زمنه قال كان فقهاء بخاري يقولون في ابن سينا كان كافرا ذكيا
قال الله تعالى (أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم
أشد منهم قوة وآثارا في الارض فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق)
والقوة تعم قوة الادراك النظرية وقوة الحركة العملية وقال في الآية الأخرى (كانوا
اكثر منهم وأشد قوة وآثارا في الارض) فاخبر بفضلهم في الكم والكيف وانهم أشد
في انفسهم وفي آثارهم في الارض وقال تعالى (فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون فلما
جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون)
وقال تعالى[2] (وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن اكثر الناس لا يعلمون[4]. يعلمون ظاهرا
من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون. أولم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله
السموات والارض وما بينهما الا بالحق وأجل مسمى وان كثيرا من الناس بلقاء
ربهم لكافرون. أولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم
كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم
بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون. ثم كان عاقبة الذين
أساؤا السوأى أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون. الله يبدأ الخلق ثم يعيده
ثم اليه ترجعون) وقال تعالى (فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا
به يستهزئون. ألم يروا[3] كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الارض ما لم نمكن
لكم وارسلنا السماء عليهم مدرارا وجعلنا الانهار تجري من تحتهم فاهلكناهم
بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين) وقد قال سبحانه عن أتباع هؤلاء[5] الأئمة
من اهل الملك والعلم المخالفين للرسل (يوم تقلب وجوههم في النار يقولون

[1] كان في الاصل الخضيري بالخاء والضاد المعجمتين وهو تصحيف من الناسخ والصواب ما اثبتناه وهو نسبة الى محلة ببخارى يعمل فيها الحصير اما الابن فاسمه أحمد ابن محمود بن احمد بن عبد السيد مات ٦٩٦هـ ووالده محمود توفي ٦٣٦هـ وكلاهما مترجمين في طبقات الحنفية للقرشي وفي النجوم الزاهرة وغيرهما من الكتب

[2] في الاصل الى قوله يبدأ الخلق الآية

[5] في الاصل الى قوله والعنهم لعنا كبيرا

رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم أيمانهم لما
رأوا بأسنا سنة الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون) وقال تعالى
(ما يجادل في آيات الله الا الذين كفروا فلا يغررك تقلبهم في البلاد[1]. كذبت قبلهم
قوم نوح والأحزاب من بعدهم وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه وجادلوا بالباطل
ليدحضوا به الحق فاخذتهم فكيف كان عقاب) الى قوله (الذين يجادلون في آيات الله
بغير سلطان أتاهم كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب
متكبر جبار) والسلطان هو الوحي المنزل من عند الله كما ذكر ذلك في غير موضع
كقوله (أم انزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون) وقوله (ما انزل الله
بها من سلطان) وقال ابن عباس: كل سلطان في القرآن فهو الحجة ذكره البخاري
في صحيحه وقد ذكر في هذه السورة «حم غافر» من حال مخالفي الرسل من الملوك
والعلماء مثل مقول الفلاسفة وعلمائهم ومجادلتهم واستكبارهم ما فيه عبرة
مثل قوله (الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم ان في صدورهم الاكبر
ما هم ببالغيه) ومثل قوله (ألم تر الى الذين يجادلون في آيات الله أنى يصرفون
الذين كذبوا بالكتاب وبما ارسلنا به رسلنا فسوف يعلمون إذ الاغلال في أعناقهم
والسلاسل يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون[2]. ثم قيل لهم أين ما كنتم تشركون
من دون الله قالوا ضلوا عنا بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا كذلك يضل الله الكافرين
ذلكم بما كنتم تفرحون في الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون) وختم السورة بقوله
تعالى (فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم) وكذلك ذكر في سورة
الأنعام والاعراف وعامة السور المكية وطائفة من السور المدنية فانها تشتمل
على خطاب هؤلاء وضرب الأمثال والمقاييس لهم وذكر قصصهم وقصص الأنبياء
وأتباعهم معهم وقال سبحانه (ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه وجعلنا لهم سمعا
وابصارا وافئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا أفئدتهم من شيء

[1] كان في الاصل الى قوله فكيف كان عقاب

[2] الى قوله وبما كنتم تمرحون كذا كان في الاصل

ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا وقالوا ربنا انا أطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا
السبيلا ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا) وقال تعالى
(واذ يتحاجون فى النار [1] فيقول الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا فهل أنتم
مغنون عنا نصيبا من النار قال الذين استكبروا انا كل فيها ان الله قد حكم بين العباد)
ومثل هذا فى القرآن كثير يذكر فيه من أقوال أعداء الرسل وافعالهم وما أوتوه
من قوى الادراكات والحركات التى لم تنفعهم لما خالفوا الرسل . وقد ذكر سبحانه
ما فى المنتسبين الى أتباع الرسل من العلماء والعباد والملوك من النفاق والضلال فى
مثل قوله (ياأيها الذين آمنوا ان كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون اموال الناس بالباطل
ويصدون عن سبيل الله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله
فبشرهم بعذاب أليم) ويصدون عن سبيل الله يستعمل لازما يقال صد صدودا
أى أعرض كما قال تعالى (واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول رأيت المنافقين
يصدون عنك صدودا) ويقال صد غيره يصده والوصفان يجتمعان فيهم ومثل قوله
(ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا
هؤلاء أهدى من الذين امنوا سبيلا) وفى الصحيحين عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال « مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الاترجة طعمها طيب وريحها طيب ومثل المؤمن
الذي لا يقرأ القرآن مثل التمرة طعمها طيب ولا ريح لها ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل
الريحانة ريحها طيب وطعمها مر ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن مثل الحنظلة طعمها مر
ولا ريح لها » فبين ان فى الذين يقرأون القرآن مؤمنين ومنافقين ٥ فصل وهذا
المقام لا أذكر فيه موارد النزاع فيقال هو استدلال على المختلف بالمختلف لكن انا أصف
جنس كلامهم فاقول لا ريب ان كلامهم كله منحصر فى الحدود التى تفيد التصورات
سواء كانت الحدود حقيقية أو رسمية أو لفظية [2] وفى الأقيسة التى تفيد التصديقات
سواء كانت أقيسة عموم وشمول أو شبه وتمثيل او استقراء وتتبع وكلامهم غالبه

[1] كان فى الاصل الى قوله قد حكم بين العباد

[2] التعاريف ثلاثة حد ورسم وتعريف بالمرادف فالحد ما كان بالجنس والفصل كتعريف الانسان بانه حيوان ناطق والرسم ما كان بالجنس والخاصة كتعريف بانه حيوان ضاحك او منتصب القامة والثالث كتعريف بانه بشر أو ادمى والكلام على الجنس والفصل والخاصة مشروح عندهم ونافى الاشارة اليه

لا يخلو من تكلف اما فى العلم واما فى القول اما ان يتكلفوا علم ما لم يعلموه فيتكلمون بغير علم
أو يكون الشيء معلوما لهم فيتكلفون من بيانه ما هو زيادة وحشو وعناء وتطويل طريق
وهذا من المنكر المذموم فى الشرع والعقل قال تعالى (قل ما اسألكم عليه من أجر وما أنا من
المتكلفين) وفى الصحيح عن عبد الله بن مسعود قال « أيها الناس من علم علما فليقل به
ومن لم يفعل فليقل لا أعلم فان من العلم ان يقول الرجل لما لا يعلم لا أعلم » وقد ذم الله
القول بغير علم فى كتابه كقوله تعالى (ولا تقف ما ليس لك به علم) لاسيما القول على الله
كقوله تعالى (قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن [1] والاثم والبغي بغير الحق وان
تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون) وكذلك ذم الكلام
الكثير الذى لا فائدة فيه وأمر بان نقول القول السديد والقول البليغ وهؤلاء كلامهم
فى الحدود غالبه من الكلام الكثير الذي لا فائدة فيه بل قد يكثر كلامهم فى الأقيسة والحجج
كثير منه كذلك وكثير منه باطل وهو قول بغير علم وقول لخلاف الحق أما الاول فانهم
يزعمون أن الحدود التى يذكرونها يفيدون بها تصور الحقائق وان ذلك انما يتم بذكر
الصفات الذاتيه المشتركة والمميزة حتى ركب الحد من الجنس المشترك والفصل المميز
وقد يقولون ان التصورات لا تحصل الا بالحدود ويقولون الحدود المركبة لا تكون
الا للانواع المركبة من الجنس والفصل دون الانواع البسيطة وقد ذكرت فى غير
هذا الموضع ملخص المنطق ومضمونه واشرت الى بعض ما دخل به على كثير من
الناس من الخطأ والضلال وليس هذا موضع بسط ذلك لكن نذكر [هنا] وجوها
الاول قولهم ان التصور الذي ليس ببديهى لا ينال الا بالحد باطل لأن الحد هو قول
الحاد فان الحد هنا هو القول الدال على ماهية المحدود فالمعرفة بالحد لا تكون الا
بعد الحد فان الحاد الذى ذكر الحد ان كان عرف المحدود بغير حد بطل قولهم لا يعرف
الا بالحد وان كان عرفه بحد آخر فالقول فيه كالقول فى الاول فان كان هذا الحاد
عرفه بعد الحد الاول لزم الدور وان بآخر لزم التسلسل . الثاني انهم الى

بعلم

[1] فى الاصل الى قوله وان تقولوا على الله ما لا تعلمون

الآن لم يحد لشيء من الاشياء الا ما يدعيه بعضهم وينازعه فيه آخرون فان كانت
الأصول لا تتصور الا بالحدود لزم الا يكون الى الآن أحد عرف شيئا من الأمور ولم يبق
أحد ينتظر صحته لان الذي يذكره يحتاج الى معرفة بغير حد وهي متعددة فلا يكون لبني آدم
شيء من المعرفة وهذه سفسطة غالطة[1] الثالث ان المتكلمين بالحدود طائفة قليلة في بني
آدم لاسيما الصناعة المنطقية فان واضعها أرسطو وسلك خلفه فيها طائفة من بني آدم
ومن المعلوم ان علوم بني آدم عامتهم وخاصتهم حاصلة بدون ذلك فبطل قولهم ان المعرفة
متوقفة عليها اما الانبياء فلا ريب في استغنائهم عنها وكذلك اتباع الانبياء من
العلماء والعامة فان القرون الثلاثة من هذه الامة الذين كانوا أعلم بني آدم علوما ومعارف
لم يكن تكلف هذه الحدود من عادتهم لم يبتدعوها ولم تكن عربت الكتب الاعجمية
الرومية وانما حدثت من مبتدعة المتكلمين والفلاسفة ومن حين حدثت بينهم صار
بينهم من الاختلاف والجهل ما لا يعلمه الا الله وكذلك علم الطب والحساب وغير ذلك لا تجد
أئمة هذه العلوم يتكلفون هذه الحدود المركبة من الجنس والفصل الا من خلط ذلك
بصناعتهم من أهل المنطق وكذلك النحاة مثل سيبويه الذي ليس في العالم مثل كتابه
وفيه حكمة لسان العرب لم يتكلف فيه حد الاسم والفاعل ونحو ذلك كما فعل غيره ولما تكلف
النحاة حد الاسم ذكروا حدودا كثيرة كلها مطعون فيها عندهم وكذلك ما تكلف متأخروهم
من حد الفاعل والمبتدا والخبر ونحو ذلك لم يدخل فيه عندهم من هو امام في الصناعة ولا
حاذق فيها وكذلك الحدود التي يتكلفها بعض الفقهاء للطهارة والنجاسة وغير ذلك من
معاني الاسماء المتداولة بينهم وكذلك الحدود التي يتكلفها الناظرون في أصول الفقه
لمثل الخبر والقياس والعلم وغير ذلك لم يدخل فيها الا من ليس بامام في الفن والى الساعة
لم يسلم لهم حد[2] وكذلك حدود أهل الكلام فاذا كان حذاق بني آدم في كل فن من العلم أحكموه
بدون هذه الحدود المتكلفة بطل دعوى توقف المعرفة عليها واما علوم بني آدم الذين
لا يصنفون الكتب فهي مما لا يحصيه الا الله ولهم في البصائر والمكاشفات والتحقيق

[Margin: يسلم صح]

[1] كان في الاصل غالعة ولعل الصواب ما اثبتناه

والمعارف ما ليس لاهل هذه الحدود المتكلفة فكيف يجوز ان تكون معرفة الاشياء
موقوفة عليها[3] الرابع ان الله جعل لابن آدم من الحس الظاهر والباطن ما يحس به الاشياء
ويعرفها فيعرف بسمعه وبصره وشمه وذوقه ولمسه الظاهر ما يعرف ويعرف أيضا بما
يشهده ويحسه بنفسه وقلبه ما هو اعظم من ذلك فهذه هي الطرق التي تعرف بها
الاشياء فاما الكلام فلا يتصور ان يعرف بمجرده مفردات الاشياء الا القياس تمثيل أو تركيب
ألفاظ وليس شيء من ذلك يفيد تصور الحقيقة فالمقصود ان الحقيقة ان تصورها باطنه
أو ظاهره استغنى عن الحد القولي وان لم يتصورها بذلك امتنع ان يتصور حقيقتها بالحد
القولي وهذا أمر محسوس يجده الانسان من نفسه فان من عرف المحسوسات المذوقة
مثلا كالعسل لم يفده الحد تصورها ومن لم يذق ذلك كمن أخبر عن السكر وهو لم يذقه لم
يمكن أن يتصور حقيقته بالكلام والحد بل يمثل له ويقرب اليه ويقال طعمه يشبه كذا
او يشبه كذا وكذا وهذا التشبيه والتمثيل ليس هو التحديد الذي يدعونه وكذلك
المحسوسات الباطنه مثل الغضب والفرح والحزن والغم والعلم ونحو ذلك من وجدها
فقد تصورها ومن لم يجدها لم يمكن ان يتصورها بالحد ولهذا لا يتصور الاكمه الألوان
بالحد ولا العنين الوقاع بالحد فان القائل بان الحدود هي التي تفيد تصور الحقائق قائل
للباطل المعلوم بالحس الباطن والظاهر الخامس ان الحدود انما هي أقوال كلية كقولنا
حيوان ناطق ولفظ يدل على معنى ونحو ذلك فتصور معناها لا يمنع من وقوع الشركة
فيها وان كانت الشركة ممتنعة لسبب آخر فهي اذا لا تدل على حقيقة معينة بخصوصها وانما
تدل على معنى كلي والمعاني الكلية وجودها في الذهن لا في الخارج فما في الخارج لا يتعين
ويعرف بمجرد الحد، وما في الذهن ليس هو حقائق الاشياء فالحد لا يفيد تصور حقيقة
أصلا السادس ان الحد من باب الالفاظ واللفظ لا يدل المستمع على معناه ان لم
يكن قد تصور مفردات اللفظ بغير اللفظ لان اللفظ المفرد لا يدل المستمع على معناه
ان لم يعلم ان اللفظ موضوع للمعنى ولا يعرف ذلك حتى يعرف المعنى فتصور المعاني

[Margin: على الحدود]

المفردة يجب أن يكون سابقا على فهم المراد بالالفاظ فلو استفيد تصورها من الالفاظ
لزم الدور وهذا أمر محسوس فان المتكلم باللفظ المفرد ان لم يبين للمستمع معناه حتى يدركه
بحسه أو بنظره والا لم يتصور ادراكه له بقول مؤلف من جنس وفصل ٥
السابع ان الحد هو الفصل والتمييز بين المحدود وغيره يفيد ما تفيده الأسماء من
التمييز والفصل بين المسمى وبين غيره فهذا لا ريب فيه انها تفيد التمييز فاما تصور
حقيقة فلا لكنها قد تفصل ما دل عليه الاسم بالاجمال وليس ذلك من ادراك الحقيقة
في شئ والشرط في ذلك ان تكون الصفات ذاتية بل هو بمنزلة التقسيم والتحديد للكل
كالتقسيم لجزئياته ويظهر ذلك بالوجه الثامن وهو ان الحس الباطن والظاهر يفيد
تصور الحقيقة تصورا مطلقا اما عمومها وخصوصها فهو من حكم العقل فان القلب يعقل
معنى من هذا المعين ومعنى يماثله من هذا المعين فيصير في القلب معنى عاما مشتركا
وذلك هو عقله أي عقله للمعاني الكلية فاذا عقل معنى الحيوان الذي يكون في هذا الحيوان
وهذا الحيوان ومعنى الناطق الذي يكون في هذا الانسان وهذا الانسان وهو مختص به
عقل ان في نوع الانسان معنى يكون نظيره في هذا الحيوان ومعنى ليس له نظير في الحيوان فالأول
هو الذي يقال له الجنس وهذا[1] الذي يقال له الفصل وهما موجودان في النوع فهذا حق
ولكن لم يستفد هذا اللفظ ما لم يكن يعرفه بعقله من ان هذا المعنى عام للانسان ولغيره
من الحيوان بمعنى أن ما في هذا نظير ما في هذا إذ ليس في الأعيان الخارجة عموم وهذا
المعنى يختص بالانسان فلا فرق بين قولك الانسان حيوان ناطق والانسان هو الحيوان
الناطق الا من جهة الاحاطة والحصر في الثاني لا من جهة تصور حقيقته باللفظ
والاحاطة والحصر هو التمييز الحاصل بمجرد الاسم وهو قولك انسان وبشر فان هذا الاسم
اذا فهم مسماه أفاد من التمييز ما افاده الحيوان الناطق في سلامته عن المطاعن وأما تصور
ان فيه معنى عاما ومعنى خاصا فليس هذا من خصائص الحد كما تقدم والذي يختص
بالحد ليس الا مجرد التمييز الحاصل بالاسماء وهذا بين لمن تأمله واما إدراك صفات فيه

جزئياته

[1] اى الثاني المختص بالانسان وهو النطق ٥

بعضها مشترك وبعضها مختص فلا ريب ان هذا قد لا يتفطن له بمجرد الاسم لكن هذا
يتفطن له بالحد وبغير الحد فليس في الحد الا ما يوجد في الاسماء أو في الصفات التي تذكر
المسمى وهذان نوعان معروفان الاول معنى الاسماء المفردة والثاني معرفة الجمل المركبة
الاسمية والفعلية التي يخبر بها عن الاشياء ويوصف بها الاشياء وكلا هذين
النوعين لا يفتقر الى الحد المتكلف فثبت ان الحد ليس فيه فائدة الا وهي موجودة في
الاسماء والكلام بلا تكلف فسقطت فائدة خصوص الحد ٥ الوجه التاسع ان العلم
بوجود صفات مشتركة ومختصة حق لكن التمييز بين تلك الصفات بجعل بعضها
ذاتيا يتقوم منه حقيقة المحدود وبعضها لازما لحقيقة المحدود تفريق باطل بل
جميع الصفات الملازمة للمحدود طردا وعكسا هي جنس واحد فلا فرق بين الفصل
والخاصة ولا بين الجنس والعرض[1] العام وذلك ان الحقيقة المركبة من تلك الصفات
اما ان يعني بها الخارجة او الذهنية أو شئ ثالث فان عني بها الخارجة فالنطق والضحك
في الانسان حقيقتان لازمتان يختصان به وان عني الحقيقة التي في الذهن فالذهن
يعقل اختصاص هاتين الصفتين به دون غيره وان قيل بل أحدى الصفتين
يتوقف عقل الحقيقة عليها فلا يعقل الانسان في الذهن حتى يفهم النطق واما الضحك
فهو تابع لفهم الانسان وهذا معنى قولهم الذاتي ما لا يتصور فهم الحقيقة دون
فهمه او ما تقف الحقيقة في الذهن والخارج عليها قبل ادراك الذهن أمر نسبي
اضافي فان كون الذهن لا يفهم هذا الا بعد هذا امر يتعلق بنفس ادراك الذهن
ليس هو شيئا ثابتا للموصوف في نفسه فلا بد ان يكون الفرق بين الذاتي والعرضي
بوصف ثابت في نفس الامر سواء حصل الادراك له أو لم يحصل ان كان أحدهما
جزء الحقيقة دون الآخر والا فلا ٥ الوجه العاشر ان يقال كون الذهن لا يعقل
هذا الا بعد هذا ان كان اشارة الى اذهان معينة التي تصورت هذا لم [يكن] هذا حجة
لانهم هم وضعوا[2] هكذا فيكون التقدير ان ما قدمناه في اذهاننا على الحقيقة فهو الذاتي

[1] مثاله النطق اى التعقل فصل لنوع الانسان والضحك أو انتصاب القامة خاصة له والحيوانية جنس القريب والمشي او التحرك بالاختيار عرض عام له والغيره ٥

[2] [illegible] بارسل [illegible] وضعوها

ومما أخرناه فهو العرضي ويعود الامر الى أنا تحكمنا بجعل بعض الصفات ذاتيا وبعضها عرضيا
لازما وان [كان] الامر كذلك [كان] هذا الفرقان مجرد تحكم بلا سلطان ولا يستنكر لهؤلاء
ان يجمعوا بين المفرقين ويفرقوا بين المتماثلين فما أكثر هذا في مقاييسهم التي ضلوا بها وأضلوا
وهم أول من افسد دين المسلمين وابتدع ما غير به مذهب الصابئة المهتدين أهل . وان قالوا
بل جميع أذهان بني آدم أو الاذهان الصحيحة لا تدرك الانسان الا بعد حظور نطقه بالها
دون ضحكه قيل لهم ليس هذا بصحيح ولا يكاد يوجد هذا الترتيب الا فيمن يقلد عنكم في
هذه الحدود من المقلدين لكم في الامور التي جعلتموها[1] ميزان المعقولات والا فبنو آدم
قد لا يخطر لاحدهم أحد الوصفين وقد يخطر له هذا دون هذا او بالعكس ولو خطر له الوصفان
وعرف أن الانسان حيوان ناطق ضاحك لم يكن بمجرد معرفة هذه الصفات مدركا لحقيقة
الانسان أصلا وكل هذا أمر محسوس معقول فلا يغلط العاقل نفسه في ذلك لهيبة التقليد
لهؤلاء الذين هم من أكثر الخلق ضلالا مع[2] دعوى التحقيق فهم في الاوائل كمتكلمة الاسلام في
الأواخر ولما كان المسلمون خيرا من أهل الكتابين[3] والصابئين كانوا خيرا منهم وأعلم
واحكم فتدبر فانه نافع جدا ومن هنا يقولون الحدود الذاتية عسرة وادراك الصفات
الذاتية صعب وغالب ما بأيدي الناس حدود رسميه وذلك كله لانهم وضعوا
تفريقا بين شيئين بمجرد التحكم الذي هم[4] ادخلوه . ومن المعلوم ان ما لا حقيقة له في الخارج
ولا في المعقول وانما هو ابتداع مبتدع وضعه وفرق به بين المتماثلين فيما تماثلا فيه
لا تعقله[5] القلوب الصحيحة اذ ذاك من باب معرفة المذاهب الفاسدة التي لا ضابط
لها واكثر ما تجد هؤلاء الاجناس يعظمونه من معارفهم ويدعون اختصاص
فضلائهم به هو من الباطل الذي لا حقيقة له كما نبهنا على هذا فيما تقدم ٠
الوجه الحادي عشر قولهم الحقيقة مركبة من الجنس والفصل والجنس هو الجزء المشترك
والفصل هو الجزء المميز يقال لهم هذا التركيب اما ان يكون في الخارج أو في الذهن فان
كان في الخارج فليس في الخارج نوع كلي يكون محدودا بهذا الحد الا الأعيان المحسوسة

[1] كان في الاصل جعلتموها ولعل الصواب ما اثبتناه وكتبه سليمان

[2] كان في الاصل ودعوى

[3] التوراة والانجيل واهلهما اليهود والنصارى واما الصابئون فهم مشركو الروم والهند والفرس ممن لا دين لهم سوى ما تواضعوه بافهامهم ٠

[4] كان في الاصل لهم

[5] خبر ان أي ان ما لا حقيقة له خارجا ولا ذهنا وكان عن ابتداع وتحكم فهو مما لا تعقله القلوب الصحيحة لانه فاسد لا ضابط له ٠

كراس ٨

والاعيان في كل عين صفة يكون نظيرها لسائر الحيوانات كالحس والحركة الارادية وصفة ليس
مثلها لسائر الحيوان وهي المنطق وفي كل عين يجتمع هذان الوصفان كما يجتمع سائر الصفات
والجواهر القائمة لامور مركبة من الصفات المجعولة فيها وان اردتم بالحيوانية والناطقية
جوهرا فليس في الانسان جوهران أحدهما حي والاخر ناطق بل جوهر واحد له صفتان
فان كان الجوهر مركبا من عرضين لم يصح وان كان من جوهر عام وخاص فليس فيه ذلك فبطل
كون الحقيقة الخارجة مركبة . وان جعلوها تارة جوهرا وتارة صفة كان ذلك بمنزلة قول
النصارى في الاقانيم[1] وهو من أعظم الأقوال تناقضا باتفاق العلماء . وان قالوا المركب
الحقيقة الذهنية المعقولة قيل اولا تلك ليست هي المقصودة بالحدود الا ان تكون مطابقة
للخارج فان لم يكن هناك تركيب لم يصح أن يكون في هذه تركيب وليس في الذهن الا تصور
الحي الناطق وهو جوهر واحد له صفتان كما قدمنا فلا تركيب فيه بحال واعلم انه لا نزاع أن
صفات الانواع والاجناس منها ما هو مشترك بينها وبين غيرها[2] كالجنس والعرض العام
ومنها ما هو لازم للحقيقة ومنها ما هو عارض لها وهو ما ثبت لها في وقت دون وقت كالبطيء
الزوال وسريعه وانما الشأن في التفريق بين الذاتي والعرضي اللازم فهذا هو الذي مداره
على تحكم ذهن الحاد ولا ننازع في ان بعض الصفات قد يكون أظهر وأشرف فان النطق
أشرف من الضحك ولهذا ضرب الله به المثل في قوله (انه لحق مثل ما انكم تنطقون) ولكن
الشأن في جعل هذا ذاتيا تتصور به الحقيقة دون الآخر الوجه الثاني عشر ان هذه
الصفات الذاتيه قد تعلم ولا يتصور بها كنه المحدود كما في هذا المثال وغيره فعلم
ان ذلك ليس بموجب لفهم الحقيقة الثالث عشر ان الحد اذا كان له جزءان فلا بد
لجزئيه من تصور كالحيوان والناطق فان احتاج كل جزء الى حد لزم التسلسل أو الدور
فان كانت الاجزاء متصورة بنفسها بلا حد وهو تصور الحيوان أو الحساس أو المتحرك بالارادة
أو النامي[3] أو الجسم فمن المعلوم أن هذه أعم واذا كانت أعم يكون ادراك الحس لافرادها
أكثر فان كان ادراك الحس لافرادها كافيا في التصور فالحس قد ادرك أفراد النوع

[1] المسماة عندهم الاب والابن وروح القدس ثم يقولون اله واحد ثلاثة كل واحد هو ثلاثة

[2] كان في الاصل غيره

[3] كان في الاصل الثاني

في القسم الاول وان لم تذكر بلفظ فلا تدرك بلفظ ولا تحد بمقال كما تقدم وهذه نكت
تنبه على جمل المقصود وليس هذا موضع بسط ذلك ه السادس عشر ان في
الصفات الذاتيه المشتركة والمختصة كالحيوانية والنطقية ان ارادوا بالاشتراك ان نفس
الصفة الموجودة في الخارج مشتركة فهذا باطل اذ لا اشتراك في المعينات التي يمنع
تصورها من وقوع الشركة فيها وان ارادوا بالاشتراك ان مثل تلك الصفه حاصلة
للنوع الاخر قيل له لا ريب ان بين حيوانية الانسان وحيوانية الفرس قدرا مشتركا
وكذلك بين صوتيهما وتمييزهما قدرا مشتركا فان الانسان له تمييز وللفرس تمييز ولهذا
صوت هو النطق ولتلك صوت هو الصهيل فقد خص كل صوت باسم يخصه فاذا كان
حقيقة أحد هذين يخالف الآخر ويختص بنوعه فمن أين جعلتم حيوانية احدهما مماثلة
لحيوانية الآخر في الحد والحقيقة وهلا قيل ان بين حيوانيتهما قدرا مشتركا ومميزا كما ان
بين صوتيهما كذلك وذلك ان الحس والحركة الارادية اما ان توجد للجسم وللنفس فان الجسم
يحس ويتحرك بالارادة والنفس تحس وتتحرك بالارادة وان كان بين الوصفين من الفرق
ما بين الحقيقتين وكذلك النطق هو للنفس بالتمييز والمعرفة والكلام النفساني وهو للجسم
ايضا بتمييز القلب ومعرفته والكلام اللساني فكل من جسمه ونفسه توصف بهذين الوصفين
وليست حركة نفسه وارادتها ومعرفتها ونطقها مثل ما للفرس ع وان كان بينهما قدر
مشتركا فان الذي يلائم جسمه من مطعم ومشرب وملبس ومنكح ومشموم ومرئي ومسموع
بحيث يحسه ويتحرك اليه حركة ارادية ليس هو مثل ما للفرس فالحس والحركة الارادية
هي بالمعنى العام لجميع الحيوان وبالمعنى الخاص ليس الا للانسان وكذلك التمييز سواء ولهذا
قال النبي صلى الله عليه وسلم «أحب الاسماء الى الله عبد الله وعبد الرحمن وأصدق الاسماء
الحارث وهمام واقبحها حرب ومرة» رواه مسلم فالحارث هو العامل الكاسب المتحرك والهمام
هو الدائم الهم الذي هو مقدم الارادة فكل انسان حارث فاعل بارادته وكذلك مسبوق
باحساسه فحيوانية الانسان ونطقه كل منهما فيه ما يشترك الحيوان فيه وفيه ما يختص به

[هامش: وكذلك ما يقوم بجسمه من الحس والحركة الارادية ليس مثل ما للفرس وان كان بينهما قدر مشترك ع]

[هامش: للفرس ع]

وان لم يكن كافيا في ذلك لم تكن الاجزاء معروفة فيحتاج المعرف الى معرف ولأجزاء الحد
الى حد ه الرابع عشر أن الحدود لا بد فيها من التمييز وكلما قلت الافراد كان التمييز
أيسر وكلما كثرت كان أصعب فضبط العقل لكلي يقل افراده مع ضبط كونه كليا أيسر
عليه مما كثرت افراده وان كان ادراك الكلي الكثير الافراد أيسر عليه فذاك إذا أدركه
مطلقا[١] لان المطلق يحصل بحصول كل واحد من الافراد واذا كان ذلك فأقل ما في
أجزاء المحدود ان تكون متميزة تمييزا كليا ليعلم كونها صفة للمحدود أو محمولة عليه أم
لا فاذا كان ضبطها كلية أصعب وأتعب من ضبط افراد المحدود كان ذلك تعريفا
للاسهل معرفة بالاصعب معرفة[٢] وهذا عكس الواجب ه الخامس عشر ان الله
سبحانه علم آدم الاسماء كلها وقد ميز كل مسمى باسم يدل على ما يفصله من الجنس
المشترك ويخصه دون ما سواه ويبين به ما يرتسم معناه في النفس ومعرفة حدود
الاسماء واجبة لانه بها تقوم مصلحة بني آدم في المنطق[٣] الذى جعله الله رحمة لهم لاسيما
حدود ما أنزل الله في كتبه من الأسماء كالخمر والربا فهذه الحدود هي الفاصله المميزة
بين ما يدخل في المسمى ويتناوله ذلك الاسم وما دل عليه من الصفات وبين ما ليس
كذلك ولهذا ذم الله من سمى الاشياء باسماء ما انزل الله بها من سلطان فانه أثبت
للشيء صفة باطلة كالهية الأوثان فالأسماء المنطقية[٤] سمعية واما نفس تصور المعاني
ففطري يحصل بالحس الباطن والظاهر وبادراك الحس وشهوده يبصر الانسان
بباطنه وبظاهره وبسمعه يعلم اسماءها وبفؤاده يعقل الصفات المشتركة والمختصة
والله اخرجنا من بطون أمهاتنا لا نعلم شيئا وجعل لنا السمع والأبصار والأفئدة
فاما الحدود المتكلفة فليس فيها فائدة لا في العقل ولا في الحس ولا في السمع الا ما هو
كالاسماء مع التطويل أو ما هو كالتمييز بسائر الصفات ولهذا المار أو لذلك جعلوا الحد
نوعين نوعا[٥] بحسب الاسم وهو بيان ما يدخل فيه ونوعا بحسب الصفة أو الحقيقة
او المسمى وزعموا كشف الحقيقة وتصورها والحقيقة المذكورة ان ذكرت بلفظ دخلت

[١] كان في الاصل مطلق
[٢] كان في الاصل مفردة
[٣] اى النطق والتكلم
[٤] اى الملفوظة
كذا ولعله كسائر
[٥] كان في الاصل نوع

عن سائر الحيوان وكذلك بناء بنيته فان نموه واغتذاءه وان كان بينه وبين النبات قدر مشترك
فليس مثله إذ هذا يغتذي بما يلذ به ويسر نفسه وينمي بنموحسه وحركته وهمه وحزنه
وليس النبات كذلك وكذلك اصناف النوع وأفراده فنطق العرب بتميز قلوبهم وبيان
السنتهم أكمل من نطق غيرهم حتى يكون في بني آدم من هو دون البهائم في النطق والتميز
ومنهم من لا يدرك نهايته وهذا كله يبين ان اشتراك افراد الصنف واصناف النوع وأنواع
الجنس والاجناس السافلة في مسمى الجنس الاعلى لا يقتضي ان يكون المعنى المشترك فيها
بالسواء كما انه ليس في الحقائق الخارجة شيء مشترك ولكن الذهن فهم معنى يوجد في هذا
ويوجد نظيره في هذا وقد تبين انه ليس مناظراً على وجه المماثلة لكن على وجه المشابهة
وان ذلك المعنى المشترك هو في احدهما على حقيقة تخالف حقيقة الآخر ومن هنا يغلط ع
القياسيون الذين يلحظون المعنى المشترك الجامع دون الفارق المميز والعرب من الأصناف
والمسلمون من أهل الاديان اعظم الناس ادراكاً للفروق وتميزاً للمشتركات وذلك يوجد
في عقولهم ولغاتهم وعلومهم واحكامهم ولهذا لما ناظر متكلموا الاسلام العرب لهؤلاء
المتكلمة الصابئة عجم الروم وذكروا فضل منطقهم وكلامهم على منطق اولئك وكلامهم
ظهر رجحان كلام الاسلاميين كما فعله القاضي ابو بكر بن الباقلاني في كتاب الدقائق الذي
رد فيه على الفلاسفة كثيراً من مذاهبهم الفاسدة في الافلاك والنجوم والعقول والنفوس
وواجب الوجود وغير ذلك وتكلم على منطقهم وتقسيمهم الموجودات كتقسيمهم الموجود
الى الجوهر والعرض ثم تقسيمهم الاعراض الى المعقولات التسعة وذكر تقسيم متكلمة
المسلمين الذي فيه من التميز والجمع والفرق ما ليس في كلام أولئك وذلك أن الله علم
الانسان البيان كما قال تعالى (الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان) الآية
وقال تعالى (وعلم آدم الاسماء كلها) وقال (علم الانسان ما لم يعلم) والبيان بيان
القلب واللسان كما ان العي والبكم يكون بالقلب واللسان كما قال تعالى (صم بكم عمي فهم
لا يرجعون) وقال النبي صلى الله عليه وسلم «هلا سألوا اذ لم يعلموا انما شفاء العي

السؤال» وفي الاثر العي عي القلب لا عي اللسان أو قال شر العي عي القلب وكان ابن مسعود
يقول انكم في زمان كثير فقهاؤه قليل خطباؤه ~~وتبيين الاشياء للقلب~~ وسيأتي عليكم زمان
قليل فقهاؤه كثير خطباؤه وتبيين الاشياء للقلب ضد اشتباهها عليه كما قال
صلى الله عليه وسلم «الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات» الحديث وقد
قرئ قوله (ولتستبين سبيل المجرمين) بالرفع والنصب أي ولتستبين أنت سبيلهم
فالانسان يستبين الاشياء وهم يقولون فبين الشيء وبينته وتبين الشيء وتبينته
واستبان الشيء واستبنته كل هذا يستعمل لازما ومتعديا ومنه قوله تعالى (ان
جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) هنا هو متعد ومنه قوله (بفاحشة مبينة) أي متبينة
فهنا لازم والبيان كالكلام يكون مصدر بان الشيء بيانا ويكون اسم مصدر لبين ع
كالكلام والسلام لسلم وبين .. فيكون البيان بمعنى تبين الشيء ويكون بمعنى بينت
الشيء أي أوضحته وهذا هو الغالب عليه ومنه قوله «ان من البيان سحرا» والمقصود
ببيان الكلام حصول البيان لقلب المستمع حتى يتبين له الشيء ويستبين كما قال تعالى
(هذا بيان للناس) الآية ومع هذا فالذي لا يستبين له كما قال تعالى (قل هو للذين آمنوا
هدى وشفاء) الآية وقال (وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم) الآية
وقال وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم) وقال (وما على الرسول الا
البلاغ المبين) وقال (وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون)
وقال (يبين الله لكم ان تضلوا) وقال (قل اني على بينة من ربي) الآية وقال (أفمن
كان على بينة من ربه) وقال (لقد انزلنا آيات بينات) وقال (يبين الله الآيات لقوم يعقلون)
فاما الاشياء المعلومة التي ليس في زيادة وصفها الا كثرة كلام وتفيهق وتشدق
وتكبر والافصاح بذكر الاشياء التي يستقبح ذكرها فهذا مما نهى عنه كما جاء في الحديث [1]
«ان الله يبغض البليغ من الرجال الذي يتخلل بلسانه كما تتخلل الباقرة بلسانها» وفي
الحديث «الحياء والعي شعبتان من الايمان والبذاء والبيان شعبتان من النفاق» [2] ولهذا

[1] اخرجه الامام احمد وابو داود في الادب من سننه والترمذي في الاستئذان من جامعه من حديث عبد الله بن عمرو وقال الترمذي حسن غريب.

[2] اخرجه الامام احمد في مسنده والترمذي في البر والصلة من جامعه من حديث ابي أمامة وقال حسن غريب انما نعرفه من حديث ابي غسان محمد بن مطرف ورواه الحاكم في مستدركه وصححه واقره الذهبي

وكتبه سليمان الصنيع

قال صلى الله عليه وسلم ان[1] طول صلاة الرجل وقصر خطبته مئنة من فقهه وفي حديث
سعد لما سمع ابنه [أ][2] ولما وجد ابنه يدعو [وهو يقول اللهم انى اسالك الجنة ونعيمها
وبهجتها وكذا وكذا وأعوذ بك من النار وسلاسلها وأغلالها وكذا وكذا فقال يابني
انى سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول سيكون قوم يعتدون في الدعاء
فاياك ان تكون منهم، إنك إن اعطيت الجنة اعطيتها وما فيهما من الخير وان اعذت
من النار أعذت منها وما فيهما من الشر] وعامة الحدود وهي من هذا الباب حشو لكلام
كثير يبينون به الأشياء، وهي ابين قبل بيانهم ابين منها بعد بيانهم فهي مع كثرة ما
فيهما من تضييع الزمان واتعاب الحيوان[1] لاتوجب الا العمى والضلال وتفتح باب المراء
والجدال اذ كل منهما يورد على حد الآخر من الاسئلة ما يفسد به ويزعم سلامة حده منه
وعند التحقيق تجدهم متكافئين أو متقاربين ليس لاحدهم على الآخر رجحان مبين
فاما أن يقبل الجميع أو يرد الجميع أو يقبل من وجه [ويرد من وجه] هذا في الحدود التي
تشترك في تمييز المحدود وفصله عما سواه واما متى ادخل أحدهما في الحد ما اخرجه الآخر
أو بالعكس فالكلام في هذا علم يستفاد به حد الاسم ومعرفة عمومه وخصوصه مثل
الكلام في حد الخمر هل هي عصير العنب المشتد أم هي كل مسكر وحد الغيبة ونحو ذلك
وهذا هو الذي يتكلم فيه العلماء كما قيل للنبي صلى الله عليه وسلم ما الغيبة قال «ذكرك
أخاك بما يكره» الحديث وكذلك قوله «كل مسكر خمر» وقول عمر على المنبر: الخمر ما خامر
العقل وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم لما قال «لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة
من كبر» فقال له رجل يا رسول الله الرجل يحب ان يكون نعله حسنا وثوبه حسنا أفمن
الكبر ذلك فقال «لا ان الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس» ومنه
تفسير الكلام وشرحه وبيانه فكل من شرح كلام غيره وفسره وبين تأويله فلابد له
من معرفة حدود الاسماء التي فيه فكل ما كان من حد بالقول فانما هو حد للاسم بمنزلة
الترجمة والبيان فتارة يكون لفظا محضا ان كان المخاطب يعرف المحدود وتارة يحتاج

[1] رواه الامام احمد ومسلم في صحيحه من حديث عمار بن ياسر

[2] كان في الاصل لما سأل ولعل الصواب ما اثبتناه كما في مسند احمد وسنن ابي داود واعلم ان الاصل المنقول عنه ذكر فيه الحديث وترك بياضا قدر كلمتين فاثبتنا الحديث بين قوسين واللفظ لابي داود وهو في باب الدعاء وكتبه سليمان الصنيع

[1] كذا اضاف مؤلف الجنان أ

الى ترجمة المعنى وبيانه اذا كان المخاطب لم يعرف المسمى وذلك يكون بضرب المثل
أو تركيب صفات وذلك لا يفيد تصوير الحقيقة لمن لم يتصورها بغير الكلام فليعلم
ذلك واما ما يذكرونه من حد المسمى أو الحد بحسب الحقيقة أو حد الحقائق فليس فيه
مع التمييز الا ذكر بعض الصفات التي للمحدود كما تقدم وفيه من التخليط ما قد نبهنا
على بعضه . واما القياس فالكلام عليه في مقامين (احدهما) في القياس المطلق الذي
جعلوه ميزان العلوم وحرروه في المنطق (والثاني) في جنس الأقيسة التي يستعملونها
في العلوم . (اما الاول) فنقول لا نزاع ان المقدمتين اذا كانتا معلومتين وألفتا
على الوجه المعتدل انه يفيد العلم بالنتيجة وقد جاء في صحيح مسلم مرفوعا «كل مسكر خمر
وكل خمر حرام» لكن هذا لم يذكره النبي صلى الله عليه وسلم ليستدل به على منازع ينازعه في
التركيب بل هذا كما قال أيضا في الصحيح «كل مسكر خمر وكل مسكر حرام» أراد ان يبين
لهم ان جميع المسكرات داخلة في مسمى الخمر الذي حرمه الله فهو بيان لمعنى الخمر وهم قد علموا
ان الله حرم الخمر وكانوا يسألونه عن أشربة من عصير العنب كما في الصحيحين عن ابي موسى
انه صلى الله عليه وسلم سئل عن شراب يصنع من الذرة يسمى المزر وشراب يصنع من
العسل يسمى البتع وكان قد اوتي جوامع الكلم فقال «كل مسكر حرام» فاراد ان يبين
لهم بالكلمة الجامعة وهي القضية الكلية ان كل مسكر خمر ثم جاء بما كانوا يعلمونه من أن
كل خمر حرام حتى يثبت تحريم المسكر في قلوبهم كما صرح به في قوله (كل مسكر حرام) ولو اقتصر
على قوله كل مسكر حرام لتأوله متأول على أنه اراد القدح الآخر كما تأوله بعضهم[1] ولهذا
قال الامام أحمد قوله كل مسكر خمر أبلغ فانهم لا يسمون القدح الآخر خمرا ولو قال كل
مسكر خمر [فقط] لتأوله بعضهم على أنه يشبه الخمر في التحريم فلما زاد[2] وكل خمر حرام
علم أنه اراد به دخوله في اسم الخمر التي حرمها الله والغرض هنا ان صورة القياس المذكورة
فطرية لا تحتاج الى تعلم بل هي عند الناس بمنزلة الحساب ولكن هؤلاء يطولون
العبارات ويغربونها. وكذلك انقسام المقدمة التي تسمى القضية وهي الجملة الخبرية

[1] وهم اهل الكوفة الذين لا يحرمون عصير غير العنب الا بمقدار ما يسكر

[2] كان في الاصل أراد

الى خاص وعام ومنفي ومثبت ونحو ذلك وأن القضية الصادقة يصدق عكسها وعكس
نقيضها ويكذب نقيضها وان جهاتها تختلف ونحو ذلك وكذلك تقسيم القياس الى
الحملي الافرادي والاستثنائي التلازمي والتعاندي وغير ذلك غالبه وان كان صحيحا ففيه
ماهو باطل والحق الذي هو فيه فيه من تطويل الكلام وتكثيره بلا فائدة ومن سوء التعبير
والعي في البيان ومن العدول عن الصراط المستقيم القريب الى الطريق المستدير
البعيد ماليس هذا موضع بيانه فحقه النافع فطري لايحتاج اليهم وما يحتاج اليهم
فيه ليس فيه منفعة الامعرفة اصطلاحهم وطريقهم أو خطئهم وهذا شأن كل
ذي مقالة من المقالات الباطلة فانه لابد منه في معرفة لغته وضلاله فاحتيج اليه
لبيان ضلاله الذي يعرف به المؤمنون حاله ويستبين لهم مابين الله من حكمه جزاء
وامرا وان هؤلاء داخلون فيما يذم به من تكلف القول الذي لايفيد وكثرة الكلام الذي
لاينفع. والمقصود هنا ذكر وجوه (احدها) ان القياس المذكور لايفيد علما الابواسطة
قضية كلية موجبة فلابد من كلية جامعة ثابتة في كل قياس وهذا متفق عليه معلوم
ايضا ولهذا قالوا لاقياس عن سالبتين ولا عن جزئيتين واذا كان كذلك وجب
ان تكون العلوم الكلية الكلمات الجامعة هي أصول الأقيسة والادلة وقواعدها
التي تبنى عليها وتحتاج اليها ثم قالوا ان مبادئ القياس البرهاني هي العلوم اليقينية
التي هي الحسيات الباطنة والظاهرة والعقليات والبديهية والمتواترات والمجربات
وزاد بعضهم الحدسيات وليس في شيء من الحسيات الباطنة والظاهرة قضايا كلية
اذ الحس الباطن والظاهر لايدرك الا امورا معينة لايكون الا اذا كان المخبر ادرك
ما أخبر به بالحس فهي تبع للحسيات وكذلك التجربة انما تقع على امور معينة محسوسة
وانما يحكم العقل على النظائر بالتشبيه وهو قياس التمثيل والحدسيات عند من
يثبتها منهم من جنس التجربيات لكن الفرق ان التجربة تتعلق بفعل المجرب كالأطعمة
والأشربة والأدوية والحدس بغير فعل كاختلاف أشكال القمر عند اختلاف

مقابلة الشمس وهو في الحقيقة تجربة علمية بلا عمل فالمستفاد به ايضا أمور معينة جزئية
لاتصير عامة الا بواسطة قياس التمثيل. واما البديهيات وهي العلوم الأولية التي
يجعلها الله في النفوس ابتداء بلا واسطة مثل الحساب وهي العلم بان الواحد نصف
الاثنين فانها لاتفيد العلم بشيء معين موجود في الخارج مثل الحكم على العدد المطلق والمقدار
المطلق كالعلم بأن الاشياء المساوية لشيء واحد هي متساوية في أنفسها فانا اذا حكمنا
على موجود في الخارج لم يكن الا بواسطة الحس مثل العقل فان العقل انما هو عقل ماعلمته
بالاحساس الباطن أو الظاهر بعقل المعاني العامة أو الخاصة فاما ان العقل الذي هو عقل
الامور العامة التي افرادها موجودة في الخارج يحصل بغير حس فهذا لايتصور واذا
رجع الانسان الى نفسه وجد ذلك انه يعقل مستغنيا عن الحس الباطن والظاهر
لكليات مقدرة في نفسه مثل الواحد والاثنين والمستقيم والمنحني والمثلث والمربع
والواجب والممكن والممتنع ونحو ذلك مما يفرضه هو ويقدره فاما العلم بمطابقة ذلك
المقدر للموجود في الخارج والعلم بالحقائق الخارجية فلابد فيه من الحس الباطن
أو الظاهر فاذا اجتمع الحس والعقل كاجتماع البصر والعقل امكن أن يدرك الحقائق
الموجودة المعينة ويعقل حكمها العام الذي يندرج فيه امثالها أو أضدادها ويعلم
الجمع والفرق وهذا هو اعتبار العقل وقياسه واذا انفرد الاحساس الباطن أو
الظاهر ادرك وجود الموجود المعين واذا انفرد المعقول المجرد علم الكليات المقدرة
فيه التي قد يكون لها وجود في الخارج وقد لايكون ولايعلم وجود اعيانها وعدم وجود
أعيانها الا باحساس باطن أو ظاهر فانك اذا قلت موجود المائة عشر الالف لم تحكم
على شيء في الخارج بل لو لم يكن في العالم مايعد بالمائة والالف لكنت عالما بان المائة المقدرة
في عقلك عشر الألف ولكن اذا أحسست بالرجال والدواب والذهب والفضة وأحسست
بحسك أو بخبر من أحس ان هناك مائة رجل أو درهم وهناك الف ونحو ذلك حكمت
على أحد المعدودين بانه عشر الاخر فاما المعدودات لاتدرك الا بالحس والعدد المجرد

يعقل بالقلب ويَعقِل القلبِ والحس يعلم العدد والمعدود جميعا وكذلك المقادير الهندسية
هي من هذا الباب فالعلوم الاولية البديهية العقلية المحضة ليست الا في المقدرات
الذهنية كالعدد والمقدار لا في الامور الخارجة الموجودة. فاذا كانت مواد القياس
البرهاني لايدرك بعامتها الا امورا معينة ليست كلية وهي الحس الباطن والظاهر والتواتر
والتجربة والحدس والذي يدرك الكليات البديهية الاولية انما يدرك أمورا مقدرة ذهنية
لم يكن في مبادئ البرهان ومقدماته المذكورة مايعلم به قضية كلية عامة للامور الموجودة
في الخارج والقياس لايفيد العلم الا بواسطة قضية كلية فامتنع حينئذ ان يكون فيما ذكروه
من صورة القياس ومادته حصول علم يقيني وهذا بين لمن تأمله وتحريره وجودة تصوره
تنفتح علوم عظيمة ومعارف وسنبين ان شاء من أي وجه وقع عليهم اللبس فقد برهذا
فانه من اسرار عظائم العلوم التي يظهر لك به مايجل عن الوصف من الفرق بين الطريقة
الفطرية العقلية السمعية الشرعية الايمانية وبين الطريقة القياسية المنطقية الكلامية
قد تبين لك باجماعهم وبالعقل ان القياس المنطقي لايفيد الا بواسطة قضية كلية
وتبين لك ان القضايا التي [هي] عندهم مواد البرهان واصوله ليس فيها قضية كلية
للامور الموجودة وليس فيها مايعلم به القضية الكلية الا العقل المجرد الذي يعقل [2]
المقدرات الذهنية واذا لم يكن في اصول برهانهم علم بقضية عامة للأمور الموجودة لم
يكن في ذلك علم وليس فيما ذكرناه مايمكن النزاع فيه الا القضايا البديهية فان فيها عموما
وقد يظن ان به تعلم الامور الخارجة فيفرض انها تفيد العلوم الكلية لكن بقية المبادي
ليس فيها علم كلي فكان الواجب الا يجعل مقدمة البرهان الا القضايا العقلية البديهية
المحضة اذ هي الكلية واما بقية القضايا فهي جزئية فكيف يصلح ان تجعل من مقدمات
البرهان الا ان يقال تعلم بها امورا جزئية وبالعقل امورا كلية فبمجموعهما يتم البرهان
كما يعلم بالحس ان مع هذا الف درهم ومع هذا ألفان ويعلم بالعقل ان الاثنين اكثر من
الواحد فيعلم ان مال هذا اكثر فيقال هذا صحيح لكن هذا انما يفيد قضية جزئية معينة

[1] مواد القياس هي ما يأتي تفسيرها بقوله الحس الباطن الخ والحس الباطن هو ما يسمونه الوجدانيات والحس الظاهر المحسات بالبصر والسمع واللمس والذوق والتواتر والتجربة معروفان والحدس لمن رأى القمر مختلف وجوهه بحسب قربه من الشمس وبعده عنها فحدس له ان نوره مستفاد من الشمس ٥

[2] كان في الاصل هكذا: لمن نور الموجوده لم يكن في علم الخ ولعل ما اثبتناه هو الصواب فقد تحرينا ذلك والله الموفق

وهو كون مال هذا اكثر من مال هذا والامور الجزئية المعينة لاتحتاج في معرفتها الى قياس
بل قد تعلم بلا قياس وتعلم بقياس التمثيل وتعلم بالقياس عن جزئيتين فانك تعلم بالحس
ان هذا امثل هذا او تعلم ان هذا امن نعته كيت وكيت فيعلم ان الآخر مثله ويعلم ان حكم
الشيء حكم مثله وكذلك قد يعلم ان زيدا اكبر من عمرو وعمرا اكبر من خالد وامثال هذه الامور المعينة
التي تعلم بدون قياس الشمول الذي اشترطوا فيه ما اشترطوا فقد تبين ان هذا القياس
العقلي المنطقي الذي وضعوه وحددوه لا يعلم بمجرده شيء من العلوم الكلية الثابتة
في الخارج فبطل قولهم أنه ميزان العلوم الكلية البرهانية ولكن يعلم به أمور معينة
شخصية جزئية وتلك تعلم بغيره أجود مما تعلم به وهذا هو الوجه الثاني فنقول
اما الأمور الموجودة المحققة فتعلم بالحس الباطن والظاهر وتعلم بقياس التمثيل وتعلم
بالقياس الذي ليس فيه قضية كلية ولا شمول ولا عموم بل تكون الحدود الثلاثة فيه
الأصغر والأوسط والأكبر أعيانا جزئية والمقدمتان والنتيجة قضايا جزئية وعلم
أن هذه الأمور المعينة بهذه الطرق أصح وأوضح واكمل فان من رأى بعينه زيدا
في مكانه وعمرا في مكان آخر استغنى عن أن يستدل على ذلك بكون الجسم الواحد
لايكون في مكانين وكذلك من وزن دراهم كل منها الف درهم استغنى عن ان يستدل
على أن كلا[1] منها الف درهم فانها مساوية للصنجة وهي شيء واحد والاشياء المساوية
لشيء واحد متساوية وامثال ذلك كثير ولهذا يسمي هؤلاء أهل كلام أي لم يفيدوا
علما لم يكن معروفا وانما أتوا بزيادة كلام قد لا يفيد وهو ما ضربوه من القياس لايضاح
ما علم بالحس وان كان هذا القياس وامثاله ينتفع به في موضع آخر ومع من ينكر الحس
كما سنذكره ان شاء الله وكذلك اذا علم الانسان ان هذا الدينار مثل هذا وهذا
الدرهم مثل هذا او ان هذه الحنطة والشعير مثل هذا ثم علم شيئا من صفات أحدهما
واحكامه الطبيعية مثل الاغتذا والانتفاع واما العادية مثل القيمة والسعر واما
الشرعية مثل الحل والحرمة علم أن حكم الآخر مثله فأقيسة التمثيل تفيد العقيدة بلا

[1] في الأصل ... كل منها ... اثبتناه هو الصواب ٥

ريب أعظم من أقيسة الشمول ولا يحتاج مع العلم بالتماثل[1] الى ان يضرب لهما قياس شمول
بل يكون من زيادة الفضول وبهذا الطريق عرفت القضايا الجزئية بقياس التمثيل ومن
قال ان ذلك بواسطة قياس شمول ينعقد فى النفس وهو ان هذا لو كان اتفاقيا لما كان
اكثريا فقد قال الباطل فان الناس العالمين بما جربوه لا يخطر بقلوبهم هذا ولكن بمجرد
علمهم بالتماثل يبادرون الى التسوية فى الحكم لان نفس العلم بالتماثل يوجب ذلك
بالبديهية العقلية فكما علم بالبديهية العقلية ان الواحد نصف الاثنين علم بها أن حكم
الشيء حكم مثله وأن الواحد مثل الواحد كما علم أن الاشياء المساوية لشيء واحد متساوية
فالتماثل والاختلاف فى الصفة والقدر قد يعلم بالاحساس الباطن أو الظاهر والعلم بأن
المثلين سواء وان الاكثر والاكبر أعظم وارجح يعلم ببديهة العقل وكذلك القياس المؤلف
من قضايا معينة مثل العلم بان زيدا أخو عمرو وأخو عمرو أبو بكر فزيد أبو بكر مثل العلم
بان ابا بكر افضل من عمر وعمر أفضل من عثمان وعلي فابو بكر افضل من عثمان وعلي وأن
المدينة أفضل من بيت المقدس والمدينة لا يجب ان يحج اليها فبيت المقدس لا يحج
أليه وقبر الرسول صلى الله عليه وسلم أفضل القبور ولا يشرع استلامه وتقبيله فقبر
فلان وفلان لا يشرع استلامه وتقبيله وأمثال هذه الاقيسة ملء العالم وهذا أبلغ
فى افادة حكم المعين من ذكر العام فدلالة الاسم الخاص على المعين ابلغ من الدلالة عليه
بالاسم العام وان كان فى العام امور أخرى ليست فى الخاص فتبين أن المعلوم من
الامور المعينة يعلم بالحس وبقياس التمثيل والأقيسة المعينة أعظم مما يعلم أعيانها
بقياس الشمول فاذا كان قياس الشمول الذي حرروه لا يفيد الأمور الكلية كما تقدم
ولا تحتاج اليه الامور المعينة كما تبين لم يبق فيه فائدة اصلا ولم يحتج اليه فى علم كلي ولا علم
معين بل صار كلامهم فى القياس الذي حرروه كالكلام فى الحدود وهذا هذا فتدبره
فانه عظيم القدر . (الوجه الثالث) أن يقال إذا كان لا بد فى القياس من قضية
كلية والحس لا يدرك الكليات وانما تدرك بالعقل ولا يجوز ان تكون معلومة بقياس

[1] كان فى الاصل بالتمثيل

آخر لما يلزم من الدور او التسلسل فلا بد من قضايا كليه تعقل بلا قياس كالبديهيات
التى جعلوها فنقول اذا وجب الاعتراف بان من العلوم الكلية العقليه ما يبتدأ
فى النفوس ويبدهها بلا قياس وجب الجزم بان العلوم الكلية العقليه قد تستغنى
عن القياس وهذا اما اعترفوا هم به وجميع بنى آدم أن من التصور والتصديق ما
هو بديهي لا يحتاج الى كسب بالحد أو بالقياس والا لزم الدور والتسلسل واذا كان
كذلك فنقول اذا جاز هذا فى علم كلي جاز فى آخر اذ ليس بين ما يمكن ان يعلم ابتداء
من العلوم البديهية وما لا يجوز أن يعلم فصل يطرد بل هذا يختلف باختلاف قوة
العقل وصفائه وكثرة ادراك الجزئيات التى تعلم بواسطتها الأمور الكلية فما
من علم من الكليات الا وعلمه يمكن بدون القياس المنطقى فلا يجوز الحكم بتوقف
شيء من العلوم الكلية عليه . وهذا يتبين (بالوجه الرابع) وهو أن نقول هب أن
صورة القياس المنطقي ومادته تفيد علوما كلية لكن من اين يعلم أن العلم الكلي
لا ينال حتى يقول هؤلاء المتكلفون القافون[1] ما ليس لهم به علم هم ومن قلدهم من
أهل الملل وعلمائهم أن ما ليس ببديهي من التصورات والتصديقات لا يعلم إلا
بالحد والقياس وعدم العلم ليس علما بالعدم فالقائل لذلك لم يمتحن أحوال نفسه
ولو امتحن احوال نفسه لوجد له علوما كليه بدون القياس المنطقى وتصورات
كثيرة بدون الحد وان علم ذلك من نفسه أو بنى جنسه فمن أين له أن جميع بني
آدم مع تفاوت فطرهم وعلومهم ومواهب الحق لهم هم بمنزلته وان الله لا يمنح
احدا منهم علما الا بقياس منطقي ينعقد فى نفسه حتى يزعم هؤلاء أن الانبياء
كانوا كذلك بل صعدوا الى رب العالمين وزعموا ان علمه بامور خلقه إنما هو بواسطة
القياس المنطقي وليس معهم بهذا النفي الذي لم يحيطوا بعلمه من حجة الا عدم
العلم فيدعون العلم وقد تكلموا بهذه القضية الكلية السالبة التى تعم ما لا
يحصى عدده الا الله بلا علم لهم بها أصلا ويزيد هذا ابانا (الوجه الخامس)

[1] اشارة الى قوله تعالى (ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤلا) .

وهو أن المبادئ المذكورة التي جعلوها مفيدة لليقين وهي الحسيات الباطنة والظاهرة عند والبديهيات والتجريبيات والحدسيات لا ريب أنها تفيد اليقين الحسي فمن اين لهم أن اليقين لا يحصل بغيرها لا بد من دليل على النفي حتى يصح قولهم لا يحصل اليقين بدونها فهذا صحيح لكنه ليس هو قول رؤسهم ولا ريب أن من له عقل وإيمان يجب أن يخالفهم في تكذيبهم بالحق الخارج عن هذا الطريق ومن هذا الموضع صار منافقا وتزندق من نافق منهم وصار عند عقلاء الناس من أهل الملل[1] وغيرهم ان المنطق مظنة التكذيب بالحق والعناد والزندقة والنفاق حتى حكي لنا بعض الناس أن شخصا من الأعاجم جاء ليقرأ على بعض شيوخهم منطقا فقرأ منه قطعة ثم قال خواجا[2] أي باب ترك الصلاة فضحكوا منه . وهذا موجود بالاستقراء [أن] من حسّن الظن بالمنطق واهله إن لم يكن له مادة من دين وعقل يستفيد بها الحق الذي ينتفع به وإلا فسد عقله ودينه وهذا يوجد فيهم من الكفر والنفاق والجهل والضلال وفساد الأقوال والأفعال ما هو ظاهر لكل ناظر من الرجال ولهذا كان أول من خلطه بأصول الفقه ونحوه من العلوم الإسلامية كثير الاضطراب فان كان كثيرا من فضلاء المسلمين وعلمائهم يقولون المنطق كالحساب ونحوه مما لا يعلم [به] صحة الإسلام ولا فساده ولا ثبوته ولا انتفاؤه فهذا الكلام من رأى ظاهره وما فيه من الكلام على الأمور المفردة لفظاً ومعنى ثم على تأليف المفردات وهو القضايا وتقيضها وعكسها المستوى وعكس النقيض ثم على تأليفها بالحد والقياس وعلى مواد القياس وإلا فالتحقيق أنه مشتمل على أمور فاسدة ودعاوي باطلة كثيرة لا يتسع هذا الموضع لاستقصائها والله أعلم والحمد لله رب العالمين

[1] كان في الأصل الملك ولعله مصحف عن الملل الذي اثبتناه في الأصل

[2] أي أستاذ

[illegible] اسمها عبد المعطي المذكور وبيده الأصل والأستاذ محمد [illegible] علي الركابي [illegible] هذه النسخة وذلك حسب رغبة الشيخ الوجيه المفضال الأستاذ محمد حسين نصيف والله أعلم وأعز وأكرم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

قد تم نسخ هذه الوريقات على يد افقر المخلوقات الى من استوى
على عرشه فوق سبع سموات وكتبها بيده عبد المعطي بن السيد يوسف
علي وذلك عن اصل في ضمن مجموعة خطية لشيخ الاسلام ابي العباس
احمد بن تيمية رحمه الله تعالى مودعة بالمكتبة المحمودية في بلدة خير البرية
مسماة تلك المجموعة ببيان المسائل المشكلة في الفقه
تحت نمرة ٣٣ من كتب الفقه الحنفي وكان الفراغ من نسخها
في يوم الاثنين الموافق ثمانية وعشرين من جمادى الثاني سنة
١٣٥٨هـ ولم يذكر ناسخ الاصل اسمه في اخر هذه الرسالة
ولا تاريخ نسخه لها والذي يظهر من رسائل اخرى في هذه المجموعة
يشابه خطها خط هذه الرسالة ان اسمه عبد الله بن زيد بن
ابراهيم بن محمد بن سليمان وان تاريخ النسخ هو في حدود ١١٨٧هـ
والله اعلم وصلى الله على نبينا محمد وعلى اله وصحبه وسلم
وقد كان الفراغ من مقابلة هذه الرسالة على اصلها المذكور
في يوم الخميس الموافق احد عشر من شهر رجب الفرد ١٣٥٨ على يد